

التدوين التاريخي عند ابن حزم الظاهري

الدكتور

عبد الباقي السيد عبد الهادي

الناشر

دار الآفاق العربية

عبد الهادي، عبد الباقي السيد
التدوين التاريخي عند ابن حزم الظاهري
ط ١، القاهرة: دار الآفاق العربية ٢٠١٧
٢٨٢ ص، ٢٤ سم

- ١- التاريخ .
- ٢- المؤرخون .
- ٣- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري
٩٩٤ - ١٠٦٤ .

أ. العنوان ٩٠٧.٢

تدمك: ٥ - ٤٠٧ - ٣٤٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨
رقم الإيداع : ٢٥٥٦ / 2016
الطبعة الأولى
1438هـ / 2017 م

جميع الحقوق محفوظة
لدار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
٥٥ شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس : ١٦٤ - ٢٢٦١٠ - 00202

تليفون : ٢٢٦١٧٣٣٩ - 00202

إهداء

إلى من تولانى بالرعاية والحوطة منذ أن وطأت قدمى جامعة عين شمس العريقة .
إلى من أوقفنى على حقيقة المعرفة التاريخية ، والعلوم البينية فى تدوين التاريخ .
إلى من علمنى كيف أتعامل مع المصادر على اختلافها وتناكرها .
إلى أحد أبرز المنظرين والمفكرين والمؤرخين فى مصر والعالم العربى .
إلى العالم الجليل صاحب المنهج المحمودى فى تدوين التاريخ .
إلى صاحب سوسيولوجيا الفكر الإسلامى والمصنفات التاريخية الماتعة .
إلى عملاق الفكر العربى .
إلى أبى الروحى البروفيسور محمود إسماعيل عبدالرازق .
تقبل منى هذا العمل المتواضع . فإنما هو فكرة مقتبسة من طروحاتكم .

المقدمة

يعتبر ابن حزم الظاهري أحد أبرز رجال المدرسة التاريخية التي بزت وظهرت في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بمزاج وفكر أندلسي محض في عصر ملوك الطوائف ، وكان من أقطابها ابن حيان مؤرخ الأندلس العظيم ، وصاحب المقتبس والميتين .

لقد استغل ابن حزم التراكم المعرفي الخاص بالفكر التاريخي الذي اختمر بالأندلس منذ القرن الثالث الهجري على يد عبد الملك بن حبيب (179هـ - 238 / 796 - 854) حتى عصره ، ونجح في تأسيس مدرسة حزمية تاريخية تعددت أفكارها وطروحاتها ، واعتمدت على توسيع فروع التاريخ بضم علم النسب إليها ، فضلاً عن تبنيها فلسفة التاريخ التي نسبت لابن خلدون مؤخرًا ، وهي في الأساس من بنيات أفكار ابن حزم مؤسس المدرسة الحزمية التاريخية .

ويهمنا في هذا المقام رأس المدرسة الحزمية التاريخي ، والذي ترك لنا تراثاً متنوعاً في جل أجناس الكتابة التاريخية ، فكان بمشاركاته الفريدة رائداً في مجال الدراسات التاريخية كما كان في الفقه والأصول والحديث والتفسير والمعتقد والفلسفة والمنطق وعلم الكلام والعلوم اللسانية المتعددة وغيرها من علوم المعقول والمنقول.

لقد نجحت المدرسة الحزمية التاريخية في أن تبرز وتظهر خلال عصر ملوك الطوائف منطلقاً من القواعد والأصول التي قعدها وأصلها ابن حزم ، فأريتها واضحة في مصنفات تلميذيين من تلاميذ مؤسس المدرسة وهما صاعد بن أحمد والحميدى ، ثم تأصلت تماماً في عهد الدولة الموحدية التي انحازت لابن حزم وفكره ومذهبه بصفة عامة ، ومن ثم وجدنا ثلة من المؤرخين الذين تأثروا بابن حزم ونهجوا نهجه في العديد من القضايا التاريخية ، ومن هؤلاء ابن دحية الكلبي ،

وابن الرومية ، وابن القطان ، وابن عربى الصوفى وغيرهم (1) ، وهو ما دفعنا لتخصيص دراسة مفردة عن المدرسة الحزمية التاريخية بالأندلس فى عصر الموحيدين بدأنا فيها بالفعل بعد صراع فكرى مرير، ونسأل الله تعالى أن يعين على إتمامها هى وغيرها من الدراسات المتعلقة التى لم تر النور بعد.

لقد شغلت بابن حزم وبمذهبه منذ أن كنت فى بداية الطلب ، وتحديداً فى تسعينيات القرن المنصرم ، ومن وقتها إلى يوم الناس هذا لا زلت على حالة الانشغال بهذه الشخصية الموسوعية الفريدة ، ورغم ما قدمته بشأن ابن حزم من دراسات وأبحاث متعددة - منها ما ظهر للنور ، ومنها ما هو حبيس الأدراج - فلا تزال هناك العديد من الموضوعات الخاصة بابن حزم وفكره وتراثه فى حاجة إلى دراسات مفردة لعلاجها ، ومن هذه الموضوعات التدوين التاريخي عند ابن حزم .

وهذا الموضوع تحديداً كان يراودنى منذ أن أشار على به أستاذنا العلامة الكبير الدكتور محمود إسماعيل وهو يناقشنى فى أطروحة الماجستير فى العام 2004م ، حيث قال لى : لقد استطعت أن تعارك عملاقاً مثل ابن حزم بجدارة واقتدار ، واستفدت منه إفادات جمة ، ومن ثم أنتظر منك تحليلاً لمصنفات ابن حزم التاريخية ، وكنت أود أن تضمنه أطروحتك التى بين يدي .

كنت أشعر فى الحقيقة وقتها أننى لا أستطيع أن أفى بهذا الطلب لا سيما وأن أستاذنا الراحل المفكر والمؤرخ الرصين الدكتور عبدالحليم عويس أخرج دراسة أكاديمية رائعة عن ابن حزم المؤرخ طبعت تحت عنوان : " ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخي والحضارى " الأمر الذى أعاقنى تماماً عن تحقيق طلب أستاذي المفكر الكبير الدكتور محمود إسماعيل .

1) تقصينا هؤلاء بالدراسة فى كتابنا تاريخ أهل الظاهر فلترجع هناك .

مرت الشهور والسنون والموضوع معلق في ذهني ، وأستاذنا الدكتور محمود إسماعيل يفاجئني في كل مرة ألتقيه فيها باهتمام غير مسبوق بابن حزم ومصنفاته ، فتبادل أطراف الحوار تارة عن طوق الحمامة ، وما حواه من تأريخ للمجتمع الأندلسي ، وتارة عن كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل وما حواه من تدوين مبهر لتاريخ الفرق والأفكار والمعتقدات ، وتارة عن جمهرة أنساب العرب وتفنن ابن حزم وإبداعه في صياغته وطرح أفكاره ... وتارة عن نقط العروس ... وتارة عن رسالة في فضل الأندلس إلخ ... إلى أن تطرق الحديث عن تلاميذ ابن حزم لا سيما صاعد والحميدي . ثم كانت المفاجأة الكبرى عندما طرح أستاذنا الدكتور محمود إسماعيل على طلبة الدراسات العليا موضوعات تخص التدوين التاريخي في الأندلس ، وكانت إحدى الدراسات لزميلة لي تحتص بالكتابة التاريخية في عصر ملوك الطوائف الأمر الذي حرك بداخلي السواكن للعودة إلى ابن حزم ثانية ، والتدقيق في تراثه التاريخي ، وتأثيره على مؤرخي الأندلس بدءاً من عصر ملوك الطوائف حتى سقوط غرناطة . فعلق بذهني أن أعالج الموضوع المطلوب مني ضمن كتاب أتناول فيه المدرسة الحزمية التاريخية من القرن الخامس الهجري حتى القرن السابع الهجري حيث سقوط دولة الموحدين ، تلك الدولة التي تبنت فكر ابن حزم ومذهبه ، ورغم ذلك ظللت فترة بين إقبال وإدبار على الموضوع . ماذا عساني أن أفعل !! هل أتناول في الكتاب رأس المدرسة وجهوده التاريخية ؟ ثم أتناول أتباعه في مدرسته الحزمية التاريخية ؟ مع إبراز حقيقة تأثيرهم بابن حزم مؤسس المدرسة من خلال المقارنة بين منهجهم في الكتابة ومنهجه ، فضلاً عن مرجعيتهم التاريخية ، وأجناس الكتابة التاريخية التي تناولوها ، والأفكار الحضارية التي عالجوها في كتبهم ولها صلة من قريب أو بعيد بأفكار عاجلها ابن حزم ؟ وهل أقصر المدرسة الحزمية التاريخية على من تابع ابن حزم في مذهب الظاهري فقط ؟ أم أوسع المجال لتشمل المدرسة من تأثر بابن حزم في الكتابة التاريخية من غير الظاهرية ؟ أم أتوقف على مدرسة ابن حزم التاريخية في القرن الخامس الهجري ؟ إلخ.

تساؤلات عديدة ألحت على ذهني ، وظلت تطاردني فترة ليست بالقصيرة إلى أن استقر رأيي على تناول التدوين التاريخي عند ابن حزم الظاهري ، مع إبراز منهجه ومرجعياته التاريخية قدر المستطاع ، وهو ما أتاح لي فرصة المقارنة بين ما قدمه ابن حزم ، وبين ما قدمه أتباع مدرسته الحزمية التاريخية ، والتي دلفنا إليها وأفردنا لها دراسة تختص بالحديث عنها عبر عدة قرون ، أمل أن ترى النور قريباً بمشيئة الله تعالى .

وتكمن مشكلة هذه الدراسة في أن الحديث عن المدارس الفكرية بعامة والتاريخية بخاصة يحتاج إلى جهد مضني . إذ لا بد للباحث أن يقف على دور وجهه مؤسس المدرسة أولاً ويطبق القواعد والأصول التي وضعها على أتباع مدرسته ، وهو أمر لا يخفى على أحد صعوبته . كما أن هذه الموضوعات تحتاج إلى إلمام شبه كامل بطبيعة الشخصية الموسوعية المؤسسة للمدرسة ، والعلوم المتعددة التي عالجها ومدى إفادتها للبحث في الجانب التاريخي . لا سيما وأن استخدام العلوم المساعدة أو العلوم البينية في تدوين التاريخ أصبح من الأمور الحتمية في أيامنا هذه ، وهو أمر من أخطر المشكلات والصعاب التي تواجه من يلج هذه الموضوعات .

هذا وقد اعتمدت في هذه الدراسة على منهج استقرائي يعتمد إلى تحليل الخبر ورده إلى أصله ودوافعه ، كما استعنت بالمنهج النقدي في مناقشة الروايات التاريخية المختلفة لترجيح رواية على أخرى ، فضلاً عن المنهج الوصفي السردى ، والبنوي التفكيكي . وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

تناول الفصل الأول الكتابة التاريخية بالأندلس منذ نشأتها حتى عصر ابن حزم . وعالج الفصل الثاني وعنوانه : " منهج ابن حزم ومرجعياته التاريخية " أربعة مباحث هي :

شروط المؤرخ عند ابن حزم - ابن حزم وفلسفة التاريخ - منهج ابن حزم وأسلوبه في الكتابة التاريخية - المرجعية التاريخية لابن حزم الظاهري .

واختص الفصل الثالث وعنوانه : " أجناس الكتابة التاريخية عند ابن حزم " بدراسة أنماط الكتابة التاريخية التي تناولها ابن حزم وهي : السيرة النبوية - التراجم والطبقات - التاريخ المحلي (تاريخ المدن) - تاريخ الدول والحكام - تاريخ الفتوح - الأنساب ومعاجم الشيوخ -تاريخ الأديان والفرق والأفكار .

واختتمت الدراسة بخاتمة تناولت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها.

وأخيراً آمل أن أكون قد قدمت شيئاً مفيداً بشأن ابن حزم الظاهري وفكره خاصة ، والمعرفة التاريخية عامة ، وأتمنى أن ينال هذا العمل إعجاب الباحثين والقراء والنخب المثقفة المتابعة بنهم لكل ما يصدر عن ابن حزم الظاهري من مصنفات ودراسات وأبحاث ، وأن يكون لبنة جديدة تضاف إلى المكتبة العربية والإسلامية بعامة ، وإلى المكتبة التاريخية خاصة ، والله تعالى أسأله التوفيق والسداد في سائر أعمالنا .. إنه ولي ذلك والقادر عليه .

دكتور

عبدالباقي السيد عبدالهادي

الفصل الأول الكتابة التاريخية بالأندلس نشأتها وتطورها حتى عصر ابن حزم

ارتبط علم التاريخ في الأندلس بجذوره التي نشأ فيها بالشرق الإسلامي ، ففي الفترة التي فتح المسلمون فيها الأندلس سنة 92هـ / 711م كانت الكتابة التاريخية في المشرق لا تزال في بدايتها، لكنها ازدهرت وتطورت بعد ذلك. وعندما انتشر الإسلام بالأندلس ، وجد الأندلسيون أنفسهم بحاجة إلى تدوين تاريخ بلادهم وطرق الفتح ، ومن شارك فيه من القادة ، ومن تولى الحكم من الأمراء ، ومن ثم بدأت عملية التدوين التاريخي.

كان للتابعين والفقهاء الأوائل في الأندلس، السبق في وضع البذور الأولى لفكرة كتابة التاريخ على أرض الأندلس، بما روه بخصوص سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه، وسير الخلفاء الراشدين، والفتوحات الإسلامية، التي شاركوا فيها، وأخبار المسلمين في المشرق، مما يوحى بوجود رواية شفوية تاريخية تردد صداها في الأندلس⁽¹⁾.

بدأ التدوين التاريخي في الأندلس مع بداية العصر الأموي ، وكان أكثر الإخباريين والمؤرخين من موالى الأمويين الذين قصدوا بكتاباتهم إظهار ما للأندلس من فضائل وسما ت تتميز بها⁽²⁾، كذلك فإن أوضاع الأندلس نفسها المتمثلة في الصراع المستمر

1 محمد عبد الحميد عيسى: المدرسة التاريخية في الأندلس في القرنين الثالث والرابع من الهجرة ، مركز الشرق الأوسط ، القاهرة ، 1992م ، ص 6 ؛ عبد الواحد ذنون طه : نشأة تدوين

التاريخ العربي في الأندلس ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2004 ، ص 5.

2 لطفى عبد البديع: الإسلام في أسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1958 ، ص 66.

داخليا وخارجيا، قد أثرت في كتابات المؤرخين، وجعلتهم يشعرون بأن للأندلس تاريخاً يستحق التدوين⁽¹⁾.

ويعتبر عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238 هـ / 852 م)⁽²⁾ أول أندلسي يصنف كتابا يطرح فيه تاريخ بلاده وسمه بـ (مبتدأ خلق الدنيا) أو (استفتاح الأندلس) المعروف بتاريخ عبد الملك بن حبيب الألبيري⁽³⁾، وقد اختلف أصحاب التراجم في

1 شوقي الجمل : علم التاريخ نشأته وتطوره ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2010 م ، ص 51.

2 فقيه الأندلس أبو مروان ، عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن الصحابي عباس بن مرداس ، السلمي العباسي الأندلسي القرطبي المالكي ، أحد الأعلام . ولد في حياة الإمام مالك بعد السبعين ومائة وأخذ عن : الغاز بن قيس ، وزيد شبطون ، وصعصعة بن سلام ثم ارتحل في حدود سنة عشر ومائتين ، وحج ، وحصل عن : عبد الملك بن الماجشون ، ومطرف بن عبد الله اليساري ، وأسد بن موسى السنة ، وأصبغ بن الفرج ، وأبي صالح ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي ، وعدة من أصحاب مالك والليث ، ورجع إلى قرطبة بعلم جم ، وفقه كثير . وكان موصوفا بالحدق في الفقه ، كبير الشأن ، بعيد الصيت ، كثير التصانيف إلا أنه في باب الرواية ليس بمتقن ، بل يحمل الحديث تهورا كيف اتفق ، وينقله وجادة وإجازة ، ولا يتعاني تحرير أصحاب الحديث . صنف كتاب " الواضحة " في عدة مجلدات ، وكتاب " الجامع " ، وكتاب " فضائل الصحابة " ، وكتاب " غريب الحديث " ، وكتاب " تفسير الموطأ " ، وكتابا في " حروب الإسلام " ، وكتاب " فضل المسجدين " ، وكتاب " سيرة الإمام فيمن أهدى " ، وكتاب " طبقات الفقهاء " ، وكتاب " مصابيح الهدى . " أنظر ، ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966 م ، ص 269.

(3) أنخل جثالث بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط 2 ، 2008 ، ص 229 ؛ وانظر : Makki, Mahmoud: (Egipto y los origenes de la historia grafia Arabe-Espanola), Rev. del instituto de estudios Islamicos, vol. V, Fasc 1-2, Madrid, 1957. p. 193; جب: دراسات في حضارة الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 3 ، 1979 ، ص 153 ؛ شاکر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، 1 / 202 ؛ عبد الواحد ذنون : نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988 م ، ص 7.

أصله هل هو من موالي بني سُليم؟! أم أنه من بني سليم أنفسهم⁽¹⁾. في حين أرجعوا نسبه إلى الصحابي الجليل العباس بن مُرداس السُّلمي ، عبر سلسلة من الآباء تمتد لأربعة أو خمسة أجيال⁽²⁾.

عاش ابن حبيب في مدينتي البيره وقرطبة⁽³⁾ ثم رحل إلى المشرق ، وتردد على حلقات الدرس هناك ، لاسيما في المدينة المنورة ، حيث درس الفقه على مذهب مالك بن أنس ، ثم رحل إلى مصر ، ودرس على علمائها ثم عاد إلى بلاده واشتغل معلما بمسجد قرطبة⁽⁴⁾، وهذا ما يفسر اعتماده على الروايات المصرية التي كان يرويها

(1) قارن : ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، القاهرة ، ط5، 1982، ص263 ؛ الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، ط2 ، 1989، 447/2؛ الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، القاهرة ، ط1، 1989، 490/2.

(2) الحشني: أخبار الفقهاء ، ص245؛ وانظر : ابن الفرضي: تاريخ العلماء، 312/1-313؛ عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، نشره: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1998، 381/1.

(3) البيرة : كانت تقع في جنوب الأندلس و كانت كورة كبيرة و كانت حاضرتها يعنى عاصمة هذه الكورة هي مدينة قسطله عرفت مدينة قسطله فيما بعد بـ غرناطة ، وكان يكثر فيها المولدين "أهل الأندلس الذين دخلوا في الاسلام" ، وقد أنشأها عبد الرحمن الداخل وأسكنها مواليه ، لكن ترجح الدراسات الحديثة و ما وجد فيها من آثار على انها كانت عامرة كمنطقة ريفية او قرية صغيرة منذ عهد الرومان . أنظر ، المقرئ : نفع الطيب ، 148/1. وأما قرطبة : فكانت قاعدة الأندلس ، ومستقر الخلافة ودار الإمارة ، تقع على نهر كبير فوهته بجبل شقورة . أنظر ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، ص113، 114.

(4) بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص193، 194.

الشيخون المصريون من أمثال الليث سعد (ت 175هـ/791م) ⁽¹⁾ وعبد الله بن وهب (ت 197هـ/812م) ⁽²⁾.

ويأتى كتاب ابن حبيب ضمن جنس التاريخ العالمى من أجناس الكتابة التاريخية ، وذلك على غرار ما كان سائداً فى المشرق من تواريخ عالمية ⁽³⁾ ؛ إذ إنه يبدأ الكتاب بالحديث عن أولية خلق الدنيا ، حيث يتحدث عن خلق السماوات والبحار والجبال

(1) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهري إمام أهل مصر فى عصره حديثاً وفقهاً. كبير الديار المصرية ورئيسها . ولد سنة 94هـ/713م فى قلقشنده بإحدى قرى طوخ الحالية . توفى بالقاهرة سنة 175هـ/791م ؛ وقد أفرده بدراسة شاركتها فى إحدى مسابقات وزارة الثقافة حول أعلام القليوبية ، وكذا تناولناه بالدراسة فى كتابنا تاريخ أئمة المذاهب الإسلامية . لمزيد من التفاصيل أنظر: الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، 1/207 ؛ ميزان الاعتدال 2/361.

(2) هو أبو محمد الفهري مولاهم عبد الله بن وهب بن مسلم الفقيه المالكي المصري المولود فى الفسطاط سنة 125هـ ، لزم الإمام مالكا أكثر من عشرين سنة ، وقضى حياته كلها فى طلب العلم . لقبه الإمام سفيان بن عيينة بشيخ أهل مصر ، سمع ابن وهب من شيخ مصر والحجاز والعراق ، قد قيل : إن شيوخه الذين أخذ عنهم يزيدون عن أربعمئة . إلا أنه أطال الجلوس عند الإمام مالك ، تعلم على يديه حتى صار عالماً جليلاً . كان يحبه الإمام مالك ويقدره حتى قيل : إنه ما نجا أحد من زجر الإمام مالك إلا ابن وهب . وقد كان يلقبه بالفقيه ، وكان يسمح له بالكتابة عنه ثم لا يجد مانعاً لمراجعة ما كتبه عليه ، وكان ابن وهب أحد ناشري المذهب المالكي فى مصر لأن أكثر الناس كانوا لا يستطيعون السفر إلى المدينة المنورة فكانوا يذهبون إلى ابن وهب يتعلمون منه الفقه المالكي ، وقد عُرف ابن وهب بكثرة رواية الأحاديث . وعندما كان الناس يختلفون فى شيء على الإمام مالك كانوا ينتظرون قدوم ابن وهب من مصر ليسأله ، وقد رفض أن يتولى القضاء فى مصر عندما كتب إليه الخليفة بذلك ، فحجب نفسه ولزم بيته . أنظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 9/224-234.

(3) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط 1 ، 1982م ، ص 238 ؛ ومن المؤرخين المشاركة الذين ظهروا فى القرن الثالث الهجرى وكتبوا تواريخ عالمية ابن قتيبة (ت 270هـ/882م) فى كتابه "المعارف" ، أبو حنيفة الدينورى (ت 282هـ - 898م) فى كتابه "الأخبار الطوال" ، واليعقوبى (ت 281هـ - 897م) فى كتابه "تاريخ اليعقوبى" ، راجع : هاملتون جب : المرجع السابق ، ص 155 ؛ فاروق عمر فوزى : التدوين التاريخي عند المسلمين ، ص 108-113.

والجنة والنار ، وآدم وحواء ، وما وقع بينهما وبين إبليس ، ثم يذكر سير الأنبياء تباعاً حتى عيسى عليه السلام ، وكم منهم تكلم بالعربية والسريانية وخلافه (1) ، ثم يتحدث عن الكتب المنزلة وعدتها مائة وأربعة ، ثم يذكر حمل حواء ، ويتحدث عن هابيل وقايل ، ويفصل الحديث عن الأنبياء حتى عيسى ، ثم يفرد سيرة النبي محمد وحدها (2) ، ثم يذكر الخلفاء الراشدين ، ومن تلاهم من بنى أمية حتى خلافة الوليد بن عبد الملك ، وفي عهده فتحت الأندلس (3) ، ثم يتحدث عن تاريخ الأندلس فيبدأ بالحديث عن افتتاحها ، ثم يذكر من دخلها من التابعين ، ثم يذكر ما وجده موسى بن نصير من ثروات وخيرات بطليطلة ، ثم يذكر مائدة سليمان ، ثم يتحدث عن من غزاها من الفاتحين ومن حكمها من الولاة ، ويذكر بعض الأساطير التي راجت على ألسنة الناس بشأن الأندلس (4) ، ويتحدث عن طبقات الفقهاء من لدن النبي بمكة والمدينة والشام والعراق ومصر والأندلس حتى زمانه (5) ، ثم يتحدث عن تفسير موطأ مالك ، وعن آداب الحكماء ونوادر العلماء ، والرغبة في جمع المال ، واختلاف الناس في غناهم وفقرهم ودينهم ، والتوسط في الأمور ، وما جاء في الطويل والقصير والربعة من

(1) أنظر : كتاب التاريخ ، اعتنى به عبدالغنى مستور ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1429هـ/2008م ، ص 13-33.

(2) نفسه ، ص 34-101.

(3) نفسه ، ص 102-139.

(4) نفسه ، ص 143-158 ؛ وقد قام أستاذنا الدكتور محمود مكى بتحقيق ونشر القسم الخاص بالأندلس ، تحت عنوان : "باب استفتاح الأندلس" في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد 1957 ، المجلد الخامس ، عدد 1 - 2 ، الصفحات 221 - 248 ، كملحق على مقال له بالإسبانية عن مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي . كما نشر المستشرق الإسباني خورخي أغوادي Jorge Aguade الجزء الخاص بتاريخ الأندلس من الكتاب بالمجلس الأعلى للأبحاث العلمية - معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، 1991م .

(5) نفسه ، ص 165-182.

الرجال⁽¹⁾، وتنتهي النسخة التي اعتمدنا عليها من الكتاب عند هذا الحد . إلا أن بالثيا يذكر أن ابن حبيب اختتم كتابه بالحديث عن قضاة الأندلس بناء على مخطوطة الكتاب التي اطلع عليها ، وتوجد منها نسخة بالمكتبة البودلية بأكسفورد⁽²⁾.

ويتضح من بعض التواريخ والأحداث أن أحد تلاميذ ابن حبيب وهو ابن أبي الرقاع أضاف للكتاب إضافات وزاد عليه زيادات . لا سيما إذا علمنا أن سلسلة أمراء الأندلس تصل إلى سنة 275هـ/888م ، وابن حبيب توفي في العام 238هـ/852م⁽³⁾. بل إن ابن أبي الرقاع يوضح تدخله في صياغة الكتاب بقوله : " وسمعت عبد الملك بن حبيب يقول .. "⁽⁴⁾ ، وقبل ذلك بقليل نرى ابن أبي الرقاع يجرى الحديث على لسانه في متن الكتاب ذاته فيقول : " قال ابن أبي الرقاع : أخبرني رجل من أهل العلم "⁽⁵⁾.

ورغم قدم هذا الكتاب فإن قيمته التاريخية ضئيلة لاختلاط المادة التاريخية التي قدمها ابن حبيب عن الأندلس بالأساطير حتى بدت وكأنها من روايات ألف ليلة وليلة إذ إنه يذكر لنا ما رآه طارق بن زياد في نومه من الرؤى ، ويطيل في وصف حصار المسلمين لمواقع يسكنها الجن ، ويدافعون عنها ، ويطنب في ذكر مائدة سليمان عليه السلام⁽⁶⁾ ، ومثل هذه الأساطير نجد طرفا منها عند ابن عبدالحكم في رواياته عن فتوح الأندلس⁽⁷⁾.

(1) نفسه ، ص 182-193.

(2) أنظر : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 194، 195.

(3) ابن حبيب : التاريخ ، ص 153 وما بعدها ؛ وانظر : بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 195.

(4) أنظر : التاريخ لابن حبيب ، ص 156.

(5) نفسه ، ص 156.

(6) أنظر : التاريخ ، ص 146 وما بعدها ؛ بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 195 ؛ طه

عبدالواحد : نشأة تدوين التاريخ ، ص 8.

(7) بالثيا : مرجع سابق ، ص 196.

ومهما يكن من أمر هذا الكتاب وما حواه من أساطير فقد كان مصدرا لمن كتب عن تاريخ الأندلس بعده . إذ توجد شذرات ومرويات منه ضمن كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية تقترب من العشرة⁽¹⁾، نفح الطيب للمقري⁽²⁾.

لم تكن اهتمامات ابن حبيب بجنس التاريخ العالمي فحسب بل وجدناه يهتم بأحد أهم أجناس الكتابة التاريخية وهو جنس السير النبوية ومغازي النبي حيث صنف كتابين أحدهما في فضائل النبي ، والثاني في مغازي الرسول⁽³⁾ ، كذلك اهتم ابن حبيب بجنس ثالث من أجناس الكتابة التاريخية هو تاريخ الدول فيصنف كتابه : " حروب الإسلام " ، واهتم بالطبقات والتراجم فصنف كتابه : : فضائل الصحابة " ، وله أيضا " طبقات الفقهاء والتابعين " ⁽⁴⁾، والذي بلا شك ضمن جزءاً من مادته بكتابه التاريخ ، وكذا صنف كتاباً في فضائل مالك بن أنس لكونه من أوثق أصحاب الإمام مالك على حد تعبير المالكية⁽⁵⁾. كذلك اهتم ابن حبيب بجنس خامس من أجناس الكتابة التاريخية ، وهو الأنساب حيث صنف كتابه : " أخبار قريش وأنسابها " ⁽⁶⁾.

ومن اشتهر بالتدوين التاريخي في الأندلس بالقرن الثالث الهجري يحيى بن حكم الجياني المشهور بالغزال (ت 250هـ/864م) ، والذي نظم أرجوزة عن فتح الأندلس - لم تصلنا - عرفناها من خلال ابن حيان الذي وصفها وصفا حسنا ، وذكر أنها

(1) أنظر : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الإيباري ، دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة - بيروت ، ط 2 ، 1410هـ/1989م ، ص 20، 21، 32.

(2) لطفى عبدالبديع : الإسلام في أسبانيا ، ص 67 ؛ وانظر : عباس رضا : المكتبة الأندلسية ، مطبعة الكتاب ، بغداد ، 2008 ، ص 10.

(3) ابن فرحون : الديباج ، 12/2.

(4) ابن الفرصى : تاريخ علماء الأندلس ، ص 269.

(5) الحشنى : أخبار الفقهاء والمحدثين ، تحقيق ماريالويسا آيالا ولويس مولينا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1992 ، ص 246 ؛ وانظر : ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص 12.

(6) ابن فرحون : الديباج المذهب ، 12، 11/2.

منتشرة بأيدي الناس حتى عصره بالقرن الخامس الهجري فقال : " وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الأندلس ، أرجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظماً ، وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها ، وعداد الأمراء عليها وأسماءهم ، فأجاد وتقصى ، وهي بأيدي الناس موجودة " ⁽¹⁾. كذلك لعب الشاعر الغزال دوراً مهماً في التدوين التاريخي فيما يمكن أن ندرجه ضمن جنس تاريخ الدول والحكام من أجناس الكتابة التاريخية ، من خلال سفارته إلى القسطنطينية التي قام بها بأمر من الأمير عبدالرحمن الأوسط ، وحواراته مع الإمبراطورة تيودورا زوجة الإمبراطور تيوفيل وإحداها حول الختان ، وكذا حواراته مع الإمبراطور وإحداها حول جمال الإمبراطورة ، وكذا حواراه مع ولي العهد ميخائيل ، فضلاً عن مشاهداته وتوصيفاته لما رآه في عاصمة الدولة البيزنطية ⁽²⁾.

ومن أبرز مؤرخي الأندلس في القرن الثالث الهجري محمد بن موسى الرازي (ت 277هـ/890م) ⁽³⁾ شيخ المؤرخين في تلك الحقبة ، وعميد آل الرازي ،

(1) نقلاً عن المقرئ : نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 301/1.
(2) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ، الرياض ، ط 1 ، 1424هـ/2003م ، السفر الثاني قطعة الأمير الحكم وبداية حكم الأمير عبدالرحمن ، ص 350-365 ؛ وانظر : المقرئ : نفح الطيب ، 7/ 371، 372 ؛ العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ص 153 ؛ ولمزيد من التفاصيل عن رحلات يحيى الغزال أنظر : محمد صالح البنداق : يحيى بن الحكم الغزال ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 1 ، 1979م ، ص 84-86 ؛ شريف مفلح : رحلات يحيى الغزال الأندلسي ، التراث العربي ، سوريا ، 1997م ، يناير - شعبان ، عدد 66 ، مجلد 17 ، ص 129-140.

(3) محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن القيط الكناني الرازي : رأس أسرة الرازي في الأندلس والتي نبغ فيها ابنه أحمد وحفيده عيسى ، وكان محمد تاجراً مشرقياً متجولاً . وفد الأندلس سنة 249هـ/864م ، وسكن قرطبة ، ونال ثقة الأمير محمد بن عبد الرحمن وابنه من بعده الأمير المنذر بن محمد (ت 277هـ/890م) ، وقام بالوساطة للصلح بين العرب والمولدين في غرناطة بأمر الأمير محمد ، وتوفي عقب عودته من هذه المهمة سنة 277هـ/890م . أنظر : ابن حيان القرطبي : المقتبس في أبناء أهل الأندلس ، تحقيق محمود علي مكي ، بيروت ، 1973 ، ص 265-269 ؛ بالنسبة : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 196.

والذي اشتهر بكتابه : " الرايات " ⁽¹⁾ ، وفيه عالج أحد أجناس الكتابة التاريخية ، وهو جنس الفتوح ، وقد ضم معلومات قيمه عن دور القائد موسى بن نصير في فتح الأندلس وكيفية دخوله إلى البلاد وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته ، مع ذكر تفصيلات عن هذه القبائل وتجمعاتها وراياتها التي كانت تحملها حال دخولها الأندلس ، وأحصى هذه الرايات فبلغت نيفا وعشرين راية ، منها رايتان لموسى بن نصير عقد له إحداها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك على أفريقية وما وراءها ، والأخرى عقدها له الوليد على أفريقية أيضا وما يفتحها من بلاد المغرب ، وراية ثالثة لعبد العزيز بن موسى بن نصير ، وسائر الرايات لمن دخل مع موسى من قريش ومن قواد العرب ووجوههم ، كما ذكر سائر بيوت من دخل مع موسى بن نصير بدون راية ، وذكر إجراءات موسى بن نصير في تقسيم أراضي الأندلس وتعيين الأخماس وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضلوا دفع الجزية مع الاحتفاظ بديانتهم ⁽²⁾.

ورغم أن كتاب الرايات من جملة الكتب المفقودة إلا أن ثلة من المؤرخين أشاروا إليه ونقلوا منه مثل أبي بكر محمد بن عيسى بن مزين (كان حيا سنة 471هـ/1078م) الذي عثر على الكتاب في إحدى مكتبات إشبيلية سنة 471هـ/1078م ونقل بعض نصوصه ، وعنه اقتبس محمد بن عبد الوهاب الغساني في روايته عن سفارة اسبانيا سنة 1102هـ/1690م التي كلفه بها سلطان المغرب مولاي إسماعيل إلى كارلوس الثاني ملك اسبانيا ⁽³⁾.

(1) أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، دمشق ، 1972م ، 1/177 وما بعدها.

(2) بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 192 ؛ وانظر : لطفي عبد البديع : الإسلام في أسبانيا ، ص 66 ؛ عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، 4/130 ، 131.

(3) طه عبد الواحد ذنون : تراث وشخصيات من الأندلس ، دار المدار الاسلامي ، طرابلس ، 2009 ، ص 70-71.

ومن اشتهر بالتدوين التاريخي في القرن الثالث الهجري تمام بن عامر بن علقمة الوزير (ت283هـ)⁽¹⁾، والذي نظم أرجوزة في فتح الأندلس وتسمية ولايتها والخلفاء فيها ووصف حروبها، من وقت دخول طارق بن زياد إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206هـ-238هـ/822م-852م)⁽²⁾؛ وقد عول ابن القوطية في كتابه تاريخ افتتاح الأندلس على هذه الأرجوزة في أربعة مواضع⁽³⁾.

ومن المحاولات الرائدة في التدوين التاريخي بالأندلس في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ما قام به أحد أحفاد موسى بن نصير وهو معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، والذي أُلّف كتاباً ضمن جنس الفتوح؛ وهو "تاريخ الأندلس" تناول فيه دور موسى بن نصير في فتح الأندلس، وما جرى له فيها من الأحداث⁽⁴⁾، ورغم ضياع الكتاب. فإن المعلومات الواردة بكتاب الإمامة والسياسة - المنسوب لابن قتيبة الدينوري - عن حياة موسى بن نصير مأخوذة من كتاب معارك بن مروان حفيد موسى بن نصير، ويغلب عليها صفة الأساطير

(1) هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة، مولى عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي؛ وأم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية ابن أبي سفيان، عرف بها ابنه لشرفها. ودخل تمام بن علقمة أبو غالب الأندلس في طالعة بلج، وقد ولد تمام بن عامر وقت أن كان جده غالب بن تمام والياً على طليطلة، وقتله سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية وصلبه ومثله به في انتزائه على أخيه هشام بن عبد الرحمن الأمير بعد أبيهما. وولى تمام بن عامر خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله، فانتظمت وزارته لثلاثة من الحكام. وعمر عمراً طويلاً زائداً على عمر جده الأكبر، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة 283هـ وقد بلغ ستاً وتسعين سنة. أنظر: ابن الأبار: الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، 144، 143/1.

(2) ابن الأبار: الحلة السيرة، 144/1.

(3) أنظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص32، 47، 113، 114.

(4) الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص338.

والروايات الخرافية التي تهدف إلى إضفاء صفة البطولة الأسطورية على موسى بن نصير⁽¹⁾.

ويأتى معاوية بن محمد بن هشام الشبنسى (ت 298هـ/910م) فى آخر القرن الثالث الهجرى كأحد من اهتم بالتدوين التاريخى حيث صنف فى جنسين من أجناس الكتابة التاريخية: أولهما: تاريخ الدول والحكام ، والذي صنف فيه كتابه : " تاريخ دولة بنى مروان فى الأندلس " (2). وثانيهما : الأنساب ، حيث صنف كتابا فى نسب العلويين وسمه بـ " التاج السنى فى نسب آل على " (3).

ومما سبق يتضح الآتى :

أولا : اتسمت الكتابة التاريخية خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى بغزارة الروايات والأسانيد وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعلم الحديث ، والسيرة ، والأنساب ، واللغة والأدب ، واختلفت مستوياتها من حيث الصحة ، والدقة ، والشمول ، وتأثرت بالأهواء السياسية والمذهبية والدينية⁽⁴⁾.

ثانيا : ظهرت بدايات التأليف التاريخى بمعناه الواسع مع منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى حيث تطور الكتابة التاريخية ، ووفرة المادة التاريخية من كتب ومصادر وروايات فى الأمصار المختلفة.

ثالثا : امتاز المؤرخون فى القرن الثالث الهجرى بفهمهم التاريخ بالمعنى الشامل ، حيث أظهروا اندفاعاً للرحلة فى طلب العلم ، وجمع المعلومات. كما استفادوا من أسلوب المحدثين فى توثيق الرواة والسند.

(1) طه عبدالواحد : نشأة التدوين ، ص 11.

(2) ابن الآبار : التكملة ، 2/183.

(3) ابن الآبار : التكملة ، 2/183.

(4) سيدة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1960 ، ص 24.

رابعا : اهتم مؤرخو الأندلس في القرن الثالث الهجري بالعديد من أجناس الكتابة كالتدوين في التاريخي العالمى أو العام ، وجنس التراجم والطبقات ، وجنس الفتوح.

وما أن أطل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادى، حتى بلغ التدوين التاريخي ذروته ، حيث شهدت الكتابة التاريخية تطورا ملحوظا من حيث تدوين المادة، وتنظيمها، وتطور الفكر التاريخي، وفلسفته ، ورغبة المؤرخين في الاختصار، الأمر الذى أدى إلى سقوط الإسناد. وبدأت الصلة تضعف بين علم التاريخ وعلم الحديث، ومن ثم استقل التاريخ عن الحديث ولكن دون أن يهمل التوثيق. إذ تزايد الاعتماد على الوثائق وذلك بعد أن عمل على هذا التدوين، الكتاب، والموظفون الرسميون، وأدخلوا في مصنفاتهم ما يقع تحت أيديهم من محفوظات الدواوين، ونصوص المعاهدات، أو الرسائل والخطب، وأحيانا نصوص الكتب التى يكتبونها هم أنفسهم⁽¹⁾.

وهكذا فقد جاء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لينهي محاولات التدوين التاريخي المتأثر بالمشرق والابتعاد عن الروح الأسطورية حيث ظهر مؤرخون حاولوا التجديد والتركيز على موضوعات خاصة بواقع الحياة في الأندلس ، ومن المؤرخين الذين اشتهروا بالتدوين التاريخي في القرن الرابع الهجري عثمان بن ربيعة (ت 310هـ/922م) والذى أخرج لنا كتابا في جنس التراجم والطبقات وسمه ب : " طبقات الشعراء بالأندلس " ⁽²⁾. كذلك كان محمد بن عمر بن لبابة الفقيه (225 - 314هـ/840 - 927م) ، حافظا لأخبار الأندلس ⁽³⁾ ؛ وكان موسى بن محمد بن موسى بن حدير المعروف بالزاهد (ت320هـ/932م) . إخباريا يدون ما يتصل بأخبار

(1) شاكر مصطفى: التاريخ العربى، 1 / 378.

(2) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص272 ، ترجمة 701.

(3) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، 2 / 34 .

الأسرة الأموية في الأندلس، وكان الأمير عبد الله يحثه على تدوين المهم مما كان يدور في مجلسه⁽¹⁾.

ومن برز في التدوين التاريخي بالقرن الرابع الهجري ابن عبد ربه (ت 328هـ)⁽²⁾ ، والذي اهتم بجنس تاريخ الدول والحكام في كتابه الماتع العقد الفريد ، حيث ضمنه كتاباً عنوانه بـ " كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم " بدأه بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحديث عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن بن علي⁽³⁾ ، ثم تحدث عن خلفاء بني أمية بدءاً من معاوية حتى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية⁽⁴⁾ ، ثم تحدث عن الدولة العباسية ونشأتها⁽⁵⁾ ثم تحدث عن حكام الأمويين بالأندلس بدءاً من عبدالرحمن الداخل حتى عبدالرحمن الناصر الذي بدأ الحديث عن حكمه بقوله : " ثم ولي الملك القمر الأزهر، الأسد الغضنفر، الميمون النقيبة، المحمود الضريبة، سيد الخلفاء، وأنجب النجباء، عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين، صبيحة هلال ربيع الأول سنة ثلثمائة، فقلت فيه:

(1) ابن حيان : المقتيس ، ص 34، 35 .

(2) أبو عُمَر شهاب الدين أحمد بن محمد عبد ربه بن حبيب بن حُذَيْد بن سالم القرطبي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان في الحكم الأموي . وُلِدَ سنة 246 هـ ، ونشأ في قرطبة وتثقف ثقافة عصره ، من فقه وتفسير وحديث ونحو وعروض وتاريخ وأدب ، واتصف بصفات الندماء من حب للموسيقى ، وغرام بالصوت الحسن والوجه الحسن ، وقد لازم الأمير (عبد الله) وناداه زمناً ، ومدحه بمدائح ، فلما مات الأمير عبد الله سنة 300 هـ ، تولى بعده (عبد الرحمن الناصر) أول من لُقِبَ بأمير المؤمنين ، فاتصل به ولازمه ومدحه ، وتوفي (ابن عبد ربه) بالفالج سنة 328 هـ - بعد أن عُمِرَ إحدى وثمانين سنة وشهراً .

(3) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق عبدالمجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1404 هـ ، 3/5-79 .

(4) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، 5/80-218 .

(5) نفسه ، 5/218-228 .

بدا الهلال جديدا ... والملك غض جديد

يا نعمة الله زيدي ... ما كان فيه مزيد

وهي عدة أبيات، فتولى الملك، والأرض حمرة تحترق، ونار تضطرم، وشقاق ونفاق، فأخذ نيرانها، وسكن زلازلها، وافتتحها عودا كما افتتحها بدءا سميها عبد الرحمن بن معاوية، رحمه الله. وقد قلت وقيل في غزواته كلها أشعار، قد جالت في الأمصار، وشردت في البلدان، حتى أتهمت أنجدت وأعقرت، ولولا أن الناس مكتفون بما في أيديهم منها لأعدنا ذكرها أو ذكر بعضها..⁽¹⁾.

ولابن عبد ربه في جنس تاريخ الدول والحكام أرجوزة في فتوحات ومغازي عبد الرحمن الناصر أول خليفة أندلسي قال عنها : " ولكننا سنذكر ما سبق إلينا من مناقبه التي لم يتقدمه إليها متقدم، ولا أخت لها ولا نظير، فمن ذلك أول غزاة غزاها، وهي الغزاة المعروفة بغزاة المتتلون، افتتح بها سبعين حصنا، كل حصن منها قد نكلت عنه الطوائف، وأعياء على الخلاف ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والإسلام. وله غزاة مارشن، التي كانت أخت بدر وحنين، وقد ذكرناها على وجهها في الأرجوزة التي نظمتها في مغازيه كلها من سنة إحدى وثلثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة، وأوقعناها في أسفل كتابنا - العقد الفريد - لتكون جامعة لمغازي أمير المؤمنين، وجعلتها رجزا لخفة الرجز وسهولة حفظه وروايته " ⁽²⁾ ، ويصدر ابن عبد ربه أرجوزته هذه بقوله : " وهذه الأرجوزة التي ذكرت جميع مغازيه، وما فتح الله عليه فيها في كل غزاة " ⁽³⁾.

(1) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، 239/5.

(2) أنظر : العقد الفريد ، 240/5، 241.

(3) نفسه ، 241/5.

وتحتوى الأرجوزة على أربعمئة وسبعة وأربعين بيتاً من الشعر ، وقد قسمها على السنين ، وبدأ بالحديث عن فتوحاته ومغازيه من العام 301هـ ، حتى العام 322 هـ⁽¹⁾. ولا بن عبد ربه أرجوزة أخرى في الخلفاء ، وهى من جنس تاريخ الدول والحكام أيضاً ، وقد طالعها قاضى قضاة الأندلس منذر بن سعيد البلوطى ، ووجده ذكر فيها الخلفاء وجعل معاوية رابعهم ولم يذكر علياً فيهم ثم واصل ذكر الخلفاء إلى عبدالرحمن بن محمد فغضب المنذر وسب ابن عبدربه وكتب فى حاشية الكتاب :

أو ما على لا برحت ملعنا يا ابن الخبيثة عندكم بإمام.

رب الكساء وخير آل محمد ... دانى الولاء مقدم الإسلام⁽²⁾.

وبرز محمد بن هشام بن عبدالعزيز (ت 340هـ / 951م) - حفيد الأمير الحكم بن هشام الأموى - فى جنس التراجم والطبقات حيث صنف كتابه : " أخبار الشعراء فى الأندلس " ⁽³⁾.

واشتهر قاسم بن أصبغ (ت 340هـ / 951م) بكتابين أحدهما فى " الأنساب " وصفه ابن حزم بقوله : " فى غاية الحسن والإيعاب والإيجاز " ⁽⁴⁾ ، والآخر فى " فضائل قریش " ⁽⁵⁾ وقد سماه ابن حزم : " فضائل بنى أمية " ⁽⁶⁾ ; ومن ثم يكون بكتابه هذين قد ساهم بالكتابة فى جنسين من أجناس الكتابة التاريخية هما الأنساب ، والتراجم .

(1) أنظر : العقد الفريد ، 5/ 242-265.

(2) المقرئ : نفع الطيب ، 2/ 511/512 ; وانظر : عبد الباقي السيد : تاريخ أهل الظاهر ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2014م ، ص 156.

(3) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 85 ترجمة 156.

(4) أنظر : رسالة فى فضائل الأندلس ، 2/ 184.

(5) الحميدى : الجذوة ، ص 330-331.

(6) أنظر : رسالة فى فضائل الأندلس ، 2/ 184.

وممن بز في هذا القرن من مؤرخي الأندلس عبدالله بن عبيد الله الأزدي الملقب بالحكيم (341هـ/952م)، والذي كان عالماً باللغة وحفظ الأخبار والأنساب، وقول الشعر⁽¹⁾.

عاش الأزدي في عصر الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (300-350هـ/912-961م)، واهتم بالتصنيف في جنس الأنساب من أجناس الكتابة التاريخية. حيث صنف كتاباً في الأنساب أهداه إلى الخليفة الناصر سنة 330 هـ / 941 م وجعل عنوانه: "أنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم". ذكر فيه الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس وقريش ومواليهم وأهل الخدمة والتصرف ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق في غير قريش ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا إلى الأندلس⁽²⁾.

غير أن هذا الكتاب قد ضاع في جملة ماضع من كتب الأندلس، ولكن نقل عنه بعض المؤرخين اللاحقين شذرات عن استقرار بعض الأسر العربية الشهيرة في الأندلس من أمثال المؤرخ المراكشي (ت 703 هـ/1303 م) في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة⁽³⁾.

(1) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954م، ص 327؛ وانظر: ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، عني بنشره السيد عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة بمصر، القاهرة، 1956م، 2/783.

(2) ابن الأبار: التكملة، 2/233؛ وانظر: المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريف، بيروت، د. ت، السفر الأول، القسم الأول، ص 213؛ السفر السادس، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 208.

(3) المراكشي: الذيل والتكملة، تحقيق احسان عباس، السفر الخامس القسمين الأول والثاني، ص 574 - 654؛ السفر السادس، ص 205؛ وانظر: طه عبدالواحد: نشات التدوين، ص 11 - 13.

ومن الأندلسيين الذين صنفوا في تاريخ بلادهم لا سيما في جنسى تاريخ الدول ، والطبقات ، قبل انتهاء النصف الأول للقرن الرابع الهجري محمد بن عبد الرؤوف (ت343هـ/955م) ؛ والذي صنف في الأخبار والتواريخ ، وطبقات الشعراء بالأندلس، فجود في ذلك، وبلغ الغاية في الإتقان على حد قول الزبيدي⁽¹⁾.

بيد أن المحاولات الجادة الأولى لوضع أساس علم التاريخ في الأندلس بالقرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ظهرت على يد أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت344هـ/955م) ، والذي كان امتداداً لوالده محمد بن موسى الرازي شيخ المؤرخين في عصره وعميد مؤرخي الأندلس . تتلمذ أحمد الرازي على شيوخ قرطبة من أمثال قاسم بن أصبغ الجياني (ت340هـ/951)⁽²⁾ ، والذي ترك اثراً كبيراً على الرازي ، لأن ابن أصبغ اشتهر بمؤلفه في الأنساب والموسوم بـ : الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس، كما استفاد الرازي أيضاً من شيخه قاسم بن أصبغ باستخدامه الترجمة التي قام بها ابن اصبغ لكتاب التاريخ لهروشيش (باولوس أوريوس) بالاشتراك مع الوليد بن الخيزران قاضي النصارى في قرطبة⁽³⁾ ، وقد استفاد الرازي من هذه الترجمة في وضع مقدمة جغرافية لتاريخه كما فعل هروشيش ، ومن ثم صارت هذه قاعدة سار عليها كل مؤرخي الأندلس من بعده⁽⁴⁾.

(1) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، ص 309 .

(2) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم في الأندلس ، ص 338 ؛ وقاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء القرطبي هو : محدث حافظ مكثراً عارف بالرجال والأنساب والنحو والشعر . سكن قرطبة وولد سنة 248هـ/862م ، وتوفي سنة 340هـ/954م . أنظر : ابن الفرضي المصدر نفسه، 1/406، 407.

3- عبد الواحد ذنون : تراث وشخصيات من الأندلس، ص 75.

(4) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيه والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي ، ط 2 ، القاهرة 1986، ص 56-72.

وقد أحصى ابن حزم الأندلسي في رسالته النفيسة في فضل الأندلس مصنفات أحمد الرازي⁽¹⁾ ، وجميعها تدور حول تاريخ الأندلس وطرقها ومسالكها وبعض ثوارها والمتمردين فيها ، ويمكننا من خلال إحصاء ابن حزم أن نقف على أجناس الكتابة التاريخية عند أحمد الرازي والتي شملت التالي :

أولاً: الأنساب : حيث صنف الرازي كتابه : " الاستيعاب في أنساب الأندلس " ، وكتاب " أنساب مشاهير أهل الأندلس " يحتوي على خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الأنساب وأوسعها على حد قول ابن حزم⁽²⁾ ، وقد اعتمد ابن الأبار اعتماداً كبيراً في كتاباته على أنساب مشاهير أهل الأندلس للرازي⁽³⁾.

ثانياً : تاريخ الدول والحكام : حيث صنف الرازي : كتاب " أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم وركبانهم " ⁽⁴⁾ وصفه الحميدى بأنه كتاب كبير⁽⁵⁾ ، وكتاب " مسالك الأندلس ومراسيها وأمهاات أعيان مدنها وأجنادها الستة ، وهو كتاب ضخمة ، وكتاب " طرق الأندلس وموانئها ، ومدنها الرئيسية وتجمعات جندها وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره .

ثالثاً : التراجم والطبقات : ومن مصنفاته في هذا المجال كتاب : " أخبار عمر بن حفصون القائم بريه ووقائعه وسيره وحروبه " ، وكتاب " أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف " ، وكتاب " أخبار بني قسي والتجيين وبني الطويل في الثغر " ⁽⁶⁾ ، وكتاب " كبار الموالى الأندلسيين " أو أعيان الموالى بالأندلس " ⁽⁷⁾.

(1) ابن حزم : رساله في فضائل الأندلس، رسائل ابن حزم ، 183، 184/2.

(2) نفسه ، 184/2.

(3) بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 197.

(4) نفسه ، 183/2.

(5) أنظر : الجذوة ، ترجمة رقم 175.

(6) نفسه ، 183/2.

(7) بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 197 ; وانظر : لطفى عبدالبديع : الإسلام في أسبانيا ، ص 69.

رابعاً : تاريخ المدن : حيث صنف الرازي كتابه : " صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها " (1).

ومن سوء الحظ أن تلك المصنفات لم تصل إلينا (2) شأنها شأن الكثير من كتب الأندلس ، ولعل ما يعوض هذه الخسارة هو قيام المؤرخون المتأخرون باقتباس الكثير من رواياته ونصوصه في مؤلفاتهم ، ومن ثم كانت معظم كتب الرازي المصادر الأساسية الأولى لكثير من المؤلفين العرب الذين بحثوا في تاريخ وجغرافية الأندلس (3) . فقد استفاد منه ابن حيان ونقل عنه روايات كثيرة منها خبر خروج عبدالله بن عبدالرحمن الداخل على ابن أخيه الحكم بن هشام (4) ، وخبر مصالحة الأمير الحكم لعمه عبدالله الشهير بالبلنسى (5) ، وخبر غزو الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث لدار الحرب (6) . كما استفاد منه ابن سعيد ونقل عنه نقولات مطولة منها ما ذكره في ترجمته للحكم الربضي (7) ، وما نقله بخصوص دار السكة بقرطبة التي أسسها عبدالرحمن بن الحكم (8)

(1) نفسه ، 2/ 183.

(2) لم يصلنا من تراث الرازي سوى مقدمته الجغرافية عن وصف الأندلس ، والتي ترجمها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال إلى الفرنسية ، ونشرها بمجلة الأندلس ، سنة 1953م ، مجلد 18 ، ص 51-108.

(3) من أمثال ابن حيان ، ابن الآبار ، ابن الأثير ، ابن عذاري ، ياقوت الحموي ، ابن الخطيب ، الحميري ، المقري.

(4) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق مكي ، السفر الثاني ، ص 93-99.

(5) نفسه ، ص 102، 101.

(6) نفسه ، ص 103 ، 104.

(7) أنظر : المغرب ، 1/ 39، 40.

(8) نفسه ، 1/ 46.

وممن اهتم بتاريخ الدول والحكام صاحب كتاب : " أخبار مجموعة " ، وهو مؤلف مجهول عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أو مجموعة من المؤلفين على قول خوليان ريبيرا ⁽¹⁾ ، والكتاب عبارة عن مجموعة من المذكرات ، والفقرات التاريخية ، سجلها صاحبها شيئاً فشيئاً دون أن يربط بينها ، أو يرتبها ترتيباً تاريخياً . وتدور أحداثه حول وقائع التاريخ الأندلسي ، من الفتح الإسلامي إلى خلافة عبد الرحمن الناصر ، وأهم فقراته وأوفرها مادة تلك التي تتعلق بدخول طارق بن زياد الأندلس ، وفتح قرطبة وماردة ، ودور موسى بن نصير في الفتح ، ودخول بلج بن بشر الأندلس ، والفتن والحروب التي دارت بين العرب عقب ذلك ، ثم ولاية يوسف الفهري ، والصميل بن حاتم على الأندلس ، ثم الحديث عن عبدالرحمن بن معاوية الداخل وخططه وانتصاراته على خصومه ، وتأسيسه الإمارة الأموية بالأندلس ⁽²⁾ . ويعتبر هذا الكتاب مصدراً أساسياً في تاريخ الفترة التي تناولها ، إذ إن مؤلفه تتبع أخباره من جميع مصادرها السمعية والكتابية ، وتوخى فيها الدقة بشكل جعل لرواياته قيمة تاريخية كبيرة ⁽³⁾ .

وقد فحص المستشرق الأسباني كتاب أخبار مجموعة ، وقام بتحليل مادته ، وخلص إلى القول بأنه صنف في عصر عبدالرحمن الناصر ، وأن الكتاب لم يصنه شخص واحد بل أشخاص مختلفون في الثقافة والطبع والفكر والذوق ⁽⁴⁾ .

(1) بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 199 .

(2) مجهول : أخبار مجموعة ، تحقيق محمد زينهم ، دار الفرجاني ، القاهرة ، ط 1 ، 1414هـ / 1994م ، ص 49 - 133 ; وانظر : بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 199 ; الطاهر مكى: دراسات أندلسية ، ص 34.

(3) أحمد مختار العبادي: من التراث العربي الأسباني، ص 43، مقال نشر بمجلة عالم الفكر، مجلد 8، عدد 1، الكويت، 1977.

(4) بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 199 ، 200.

ويعتبر عبدالله بن مغيث (ت 352هـ/693م) - والد شيخ ابن حزم أبى الوليد بن يونس المشهور بابن الصفار - أحد أبرز من صنف عن شعراء بنى أمية إذ كلفه الحكم المستنصر أن يصنف له كتاباً عن شعراء الخلفاء من بنى أمية بالأندلس والمشرق مع ذكر أشعارهم فأجابه إلى ذلك ، وكان قد اعتذر عن غزو الروم مع المستنصر لضعف في جسمه فأذن له المستنصر شريطة أن يصنف له كتاباً عن شعراء بنى أمية⁽¹⁾، وهو في جنس التراجم والطبقات .

ومن صنف في جنس التراجم والطبقات في عهد الحكم المستنصر أحمد بن فرج الجياني ، والذي صنف كتاباً في المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم⁽²⁾.

ويلحق بالجياني في ذات الجنس من الكتابة التاريخية حسين بن عاصم الذي صنف كتاباً في سيرة المنصور بن أبى عامر وغزواته وأوقاتها وسمه بـ : " المآثر العامرية " ⁽³⁾.

وقد صنف في جنس التراجم والطبقات كل من الأقيشتين محمد بن هاشم النحوى الذى صنف كتاباً في طبقات الكتاب بالأندلس ، وعلى نفس نهجه فعل سكن بن سعيد حيث صنف كتاباً هو الآخر حمل نفس العنوان⁽⁴⁾.

ويعد محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني (ت 361هـ/) أبرز مؤرخ اهتم بالتراجم والطبقات ، وهو قيرواني المولد ، ورحل إلى الأندلس فحل بقرطبة وتلمذ على كبار علمائها من أمثال محمد بن عبد الملك بن أيمن⁽⁵⁾. وقاسم بن أصبغ ، وأحمد بن

(1) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 221 ترجمة 533.

(2) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 92 ترجمة 176.

(3) ابن حزم : رسالة في فضائل الأندلس ، 2/184.

(4) ابن حزم : رسالة في فضائل الأندلس ، 2/184.

(5) محمد بن عبد الملك بن أيمن (ت330هـ/942م) : أبو عبد الله محدث أندلسي رحل إلى العراق وحدث بالمشرق وبالأندلس وله كتاب في السنن احتوى من صحيح الحديث وغريبه على مائيس في كثير من المصنفات. أنظر: ابن حزم : رسالة في فضل الأندلس ، 2/179 ; الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 63.

عباده⁽¹⁾ ; وكان للخشني اهتمامات متعددة ، أهمها الحديث والفقه واللغة ، وقد نال تشجيع الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله الذي طلب منه تأليف كتاب القضاة بقرطبة ويسر له الاستفادة من مكتبة القصر الملكي التي كانت عامرة بالكتب والمصادر المختلفة⁽²⁾ ، وقد عالجت مصنفاته جميعها جنس واحد من أجناس الكتابة التاريخية وهو جنس التراجم والطبقات ، ومن مصنفاته كتاب " تاريخ علماء الأندلس " ، وكتاب " تاريخ الأفريقيين " ، وكتاب " أخبار الفقهاء والمحدثين " ، وكتاب " رجال الأندلس " ، وكتاب " المولد والوفاة " ، وكتاب " أخبار القضاة بالأندلس " ⁽³⁾ .

وهناك مؤرخ آخر وهو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن عبدالله الوراق القيرواني (ت 363هـ) ولد بالقيروان في أسرة يرجع أصلها إلى مدينة وادي الحجارة بالأندلس وقد نشأ وترعرع في مدينة القيروان وأصبحت له شهرة واسعة في تاريخ وجغرافية شمال أفريقيا رحل إلى قرطبة في أيام الخليفة الحكم المستنصر بالله (350هـ - 395هـ/961-976م) واتصل بالبلاط الأموي حيث رحب به الخليفة وقربه إليه وعهد إليه بتأليف عدة أعمال تتعلق بتاريخ وجغرافية أفريقية والمغرب الأوسط أشار إليها ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس⁽⁴⁾ .

وبمطالعة عناوين الكتب التي صنفها الوراق يتضح أنه شغل نفسه بجنسين من أجناس الكتابة التاريخية : الأول : تاريخ الدول والحكام : وفيه صنف كتابه : " مسالك

(1) أحمد بن عباده (ت332هـ/944م) : هو أحمد بن عباده بن علكده بن نوح أبو عمر الرعيني المالكي إمام جامع قرطبه كان زاهدا فاضلا أنظر : الذهبي : تاريخ الإسلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1987م ، 67/25.

(2) عباس رضا : المكتبة الأندلسية ، ص28.

(3) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، 2/113 ; وأنظر : الحميدي : جذوة المقتبس ، ص531 ; عياض اليعصبي ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965 ، 2/531.

(4) ابن حزم : رساله في فضائل الأندلس ، رسائل ابن حزم ، 2/175.

أفريقيه وممالكها" الذى وصفه ابن حزم بالديوان الضخم⁽¹⁾، فضلا عن تصنيفه العديد من الكتب حول أخبار ملوك أفريقية وحروبهم والقائمين عليها⁽²⁾.
أما الجنس الثانى من أجناس الكتابة التاريخية والذى نشط فيه الوراق فهو تاريخ المدن أو التاريخ المحلى ، وله فيه المصنفات الجمة التى وصفها ابن حزم بقوله : " تأليف حسناً"⁽³⁾ ، ومنها تاريخ تيهرت ، وتاريخ وهران ، وتاريخ تونس ، وتاريخ سجلماسة ، وتاريخ نكور ، وتاريخ البصرة وغيرها من المصنفات على حد قول ابن حزم⁽⁴⁾.

ورغم فقدان هذه الكتب فقد بقيت نصوص منها فى بطون المصادر التى نقل أصحابها منها ، ومن ذلك ما قام به أبو عبيد البكري من تضمين كتابه المسالك والممالك نصوصاً كثيرة من كتاب الوراق (مسالك أفريقية وممالكها) ، وأشار إلى الوراق صراحة فى غير ما موضع من كتابه⁽⁵⁾. كما أشار ابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) إلى بعض النصوص التى ذكرها الوراق ، نقلها عنه فى بيانه⁽⁶⁾.
وبرز أيضا فى القرن الرابع الهجري مؤرخ تخصص فى جنس الفتوح من أجناس الكتابة التاريخية فى الأندلس ، وهو أبو بكر محمد عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية - حفيد الأميرة سارة ابنة المند بن غيطشة آخر القوط بالأندلس - (ت

(1) أنظر : رسالة فى فضل الأندلس ، 175/2.

(2) ابن حزم : رسالة فى فضل الأندلس ، 175/2.

(3) أنظر : رسالة فى فضل الأندلس ، 175/2.

(4) أنظر : رسالة فى فضل الأندلس ، 175/2. والبصرة هى إحدى مدن المغرب ، وكان موضعها بالقرب من مدينة أصيلا .

(5) البكري : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، نشر دي سلان ، الجزائر ، 1857م ، ص 4، 6، 9، 10، 12، 28، 52، 60، 58، 68، 70، 91.

(6) - ابن عذارى : البيان المغرب ، 1/ 124، 26- 139، 129، 179- 180، 223.

367هـ / 977م⁽¹⁾ ، ولد بقرطبة ودرس في إشبيلية وكان عالماً بالنحو واللغة متقدماً فيهما على أهل عصره ، حافظاً لأخبار الأندلس، ملماً برواية سير أمرائها وأحوال فقهاء وشعرائها، وكان يميل ذلك عن ظهر قلب⁽²⁾ .

وأهم ما تبقى من مؤلفاته كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) الذي يتناول الكلام فيه عن تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد سنة 300هـ / 912م⁽³⁾، وهذا الكتاب كتب من قبل طلاب ابن القوطية إذ كان الأخير يروي الأخبار والطلبة يكتبون ولذلك جاءت الأخبار بصيغة : أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال ...⁽⁴⁾ ; ورغم كل ذلك فهذا الكتاب من المحاولات الرائدة الأولى في التدوين التاريخي بالأندلس، لما تميز به من خصائص تتعلق بطبيعة وتكوين المجتمع الأندلسي، وانتساب المؤلف إلى هذا المجتمع، ومحاولته رسم صورة واقعية للإحداث التي مرت على بلده منذ الفتح وإلى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي⁽⁵⁾ .

ومن مؤرخي الأندلس في القرن الرابع الهجري عريب بن سعد القرطبي (ت370هـ / 980م) كان أديبا شاعرا، لغويا، مؤرخا، طبيا، ينتمي بالأصل إلى بيت

(1) لطفى عبد البديع : الإسلام في أسبانيا ، ص70.

(2) ابن الفرزي : تاريخ علماء الأندلس ، ص76 .

(3) الأمير عبد الله بن محمد (275 - 300هـ / 888-912م) : ولي الحكم بعد أخوه المنذر ، وكان خراج الأندلس قبله ثلاثمائة ألف دينار، فأنفق الوفير حين اضطربت عليه نواحي الأندلس بالثورات والمتغلبين في تلك السنين ، وقل الخراج ، وتوفي سنة ثلاثمائة ومدة ملكه نحو خمس وعشرين سنة . أنظر : ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار أحياء التراث العربي ، ط4، بيروت ، 1971م ، 133/4.

(4) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص22-29، 24.

(5) طه عبد الواحد : نشأة التدوين ، ص17 - ص18 .

من بيوت الموالي يعرفون ببني التركي⁽¹⁾. عمل في عدة وظائف إدارية مهمة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (300 - 350هـ / 912 - 961م) منها تقليده كورة أشبونة سنة 942/331م ، وكذلك خزانة السلاح . كما عمل كاتباً في ديوان الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله (350_366 هـ / 961 - 977م)، وكانت له علاقات واسعة وصلات قوية بكبار رجالات الدولة في عصره أمثال الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي⁽²⁾ وكذلك كانت منزلته عالية عند الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر⁽³⁾.

وقد صنف عريب بن سعد في جنسين من أجناس الكتابة التاريخية حسب ما وصلتنا الأخبار عن مصنفاته ، الأول : في التاريخ العالمى أو العام حيث اختصر تاريخ الطبري (ت310هـ/922م) المعروف بتاريخ الرسل والملوك ثم وضع له ذيلًا بدأه من سنة 291 - 320 هـ⁽⁴⁾، وأما الثانى فجاء فى تاريخ الدول وتحديدًا فى تاريخ المغرب والأندلس ، وهذا الكتاب الذى يمثل رواية لعريب بن سعد حول تاريخ المغرب والأندلس ، رغم ضياعها ، فيمكننا الوقوف على بعض ملاحظاتها من خلال

(1) المراكشي : الذيل والتكملة، 142/5.

(2) الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي: جعفر بن عثمان بن نصر، ابو الحسن الحاجب المعروف بالمصحفي، وزير، أديب، أندلسي، من كبار الكتاب وله شعر كثير جيد قتل سنة 372هـ/982م. أنظر: ابن خلدون : العبر، 4/144.

(3) الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر : حاجب الأندلس الشهير ، ومؤسس الدولة العامرية التى نازعت الخلافة سلطانها فترة من الزمن ، توفى بأقصى الثغور بالبطن (أصابته علة في بطنه) سنة 393هـ/1003م. أنظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 13/17.

(4) نشره المستشرق دي غويه في ليدن سنة 1797 بعنوان صلة تاريخ الطبري ؛ وأعاد محمد أبو الفضل إبراهيم تحقيقه ونشره في دار المعارف بالقاهرة ضمن ذيول تاريخ الطبري سنة 1977م.

الشذرات التي احتفظ بها ابن عذاري قد في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب⁽¹⁾.

ومن أبرز مؤرخي القرن الرابع الهجري عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي الكناني (379هـ / 989م)⁽²⁾ ، والذي أكمل كتاب الرايات لجدّه محمد بن موسى الرازي ، وكذا أكمل كتاب والده أحمد الموسوم بأخبار ملوك الأندلس . اشتغل عيسى بن أحمد في البلاط الأموي بقرطبة ، وسار على خطى والده أحمد الرازي في تدوين تاريخ الأندلس فكتب تاريخاً عاماً للأندلس حتى نهاية عصر الخليفة الحكم المستنصر⁽³⁾، وسمه (بتاريخ الأندلس) ، وكان قد صنّفه للخليفة الحكم المستنصر وابتدأه منذ الأحداث الأولى التي مرت على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس ، وقد ضمن عيسى الرازي كتابه معلومات أساسية عن الجذور التاريخية للأحداث التي تناولها، فنجده حين يتحدث عن استعادة الخليفة الناصر لدين الله (300 - 350هـ / 912 - 961م) لطاعة مدينة طليطلة، يعرف بتاريخها منذ أقدم العصور، ويسهب في ذكر الأحداث التي مرت عليها خلال العصر الروماني، وموافقها إزاء الحكام والأباطرة، ولا سيما غزوها من قبل يوليوس قيصر، الذي يسميه "يوليوش مالك روما الأكبر"⁽⁴⁾. وقد استفاد جل مؤرخي الأندلس من كتاب عيسى بن أحمد الرازي الخاص بتاريخ الأندلس ونقلوا عنه نقولات مطولة ، ومنهم المؤرخ الفذ ابن حيان الذي نقل أخباراً وروايات مطولة عنه في مقتبسه منها ما نقله عن منازعة سليمان وعبدالله ولدا عبدالرحمن الداخل لابن أخيها الحكم بن هشام⁽⁵⁾ ، ونقله خبر خروج بهلول بن أبي

(1) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1951 ، 4/2 ، 5.

(2) ابن عذاري : البيان المغرب ، 2/5.

(3) عباس : المكتبة الأندلسية ، ص 10.

(4) ابن حيان : المقتبس ، ص 274 .

(5) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق مكى ، السفر الثاني ، ص 99-101.

الحجاج على الأمير الحكم بسر قسطة ، ومحنة أهل طليطلة ⁽¹⁾، ونقله خبر سفارة الغزال إلى القسطنطينية بأمر من الأمير عبدالرحمن بن الحكم ⁽²⁾ ، كذلك أشار أبو عبد الله محمد بن الآبار (ت 658هـ/1260م) إلى بعض رواياته عن الأمير عبد الرحمن الداخل ⁽³⁾ . كما نقل عنه المقري (ت 1041هـ/1631م) شذرات تعود إلى عصر الولاة وتشير بوضوح إلى كيفية نشوء المقاومة الإسبانية بقيادة بلاي Pelaye في منطقة جليقة Galicia ⁽⁴⁾.

ولم يقصر عيسى بن أحمد الرازي نشاطه في الكتابة التاريخية على جنس تاريخ الدول والحكم ، بل اعتنى بالتأليف في مجال التراجم والطبقات حيث صنف كتاباً فريداً عن الحجابة في الأندلس ، وسمه باسم : " حجاب خلفاء الأندلس " ، وهو أيضاً من كتبه المفقودة ⁽⁵⁾ ؛ وقد وقفنا على خبر أحد الحجاب نقله ابن الآبار في حلته وأسبق ذلك بقوله : " وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازي في كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس من تأليفه " ⁽⁶⁾ ، وهذا الخبر يخص هاشم بن عبدالعزيز الذي استحجبه الأمير المنذر بن محمد ثم قتله في نفس العام الذي استحجبه فيه ، ونكب بأسرته وأهله ⁽⁷⁾.

ومما سبق يتضح أن عيسى بن أحمد بن محمد الرازي شغل نفسه بثلاثة أنواع من أجناس الكتابة التاريخية وهي الفتوح حيث أتم كتاب جده الرايات ، وتاريخ الدول

(1) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق مكى ، السفر الثانى ، ص 104 ، 106 ، 107.

(2) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق مكى ، السفر الثانى ، 350-365.

(3) ابن الآبار : الحلة السراء ، 1/37.

(4) المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 ، 4/350 ، 351.

(5) بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ص 198 ؛ وانظر : لطفى عبدالبديع : الإسلام في اسبانيا ، ص 69.

(6) أنظر : الحلة السراء ، 1/138.

(7) أنظر : الحلة السراء ، 1/138-140.

حيث أتم كتاب والده عن أخبار ملوك الأندلس ، وأفرد الأندلس بتاريخ خاص بز فيه وتميز عن من سبقوه وللأسف فهو من جملة الكتب المفقودة . كذلك صنف في مجال التراجم والطبقات كما سبق.

وممن شارك في التدوين التاريخي بالأندلس في هذا القرن محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ/989م) ، والذي صنف كتابا في جنس التراجم والطبقات وسمه بـ : " طبقات النحويين واللغويين " (1).

ويلحق بالزبيدي في جنس التراجم والطبقات سليمان بن جلجل (ت 384هـ/994م) والذي صنف كتابا وسمه بـ : " طبقات الأطباء والحكماء " ، وذكره ابن حزم باسم : " أخبار أطباء الأندلس " (2).

كما كتب أبو عامر بن شهيد (ت 392هـ / 1002م) تاريخاً كبيراً في جنس التاريخ العام أو العالمي روى فيه الحوادث من سنة أربعين للهجرة أى من وفاة على بن أبى طالب إلى أيامه . ويقع في أكثر من مائة جزء ، وجعله على طريقة الحوليات (3) ، ويبدو أنه كان أموى الهوى والنزعة ، ومن ثم جعله خاصاً بالدولة الأموية في بدايته إذ بدأه من العام الذى توفي فيه على بن أبى طالب.

وصنف إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيني (ت 399هـ/1008م) في تاريخ المدن أو التاريخ المحلي ، حيث خص مدينة رية الأندلسية بكتاب وقف عليه ابن حزم وصفه بقوله : " كتاب مجزأ في أجزاء كثيرة في أخبار رية وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها " (4).

(1) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 42 ترجمة 34.

(2) أنظر : رسالة في فضائل الأندلس ، 2/184.

(3) بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 207.

(4) أنظر : رسالة في فضائل الأندلس ، 2/183.

ومما سبق يمكننا أن نصيغ السمات العامة للكتابة التاريخية بالقرن الرابع الهجري في النقاط التالية :

أولاً : تنوعت الكتابة التاريخية ، وشملت الكثير من الأجناس والمجالات وشجع على ذلك بالدرجة الأولى أمراء الأندلس وخلفاؤها ، لما تحققة هذه المصنفات من استقرار وتوثيق للأنساب والأخبار ، وتخليد لقادة الفتح ، وحكام الأندلس ، والدولة الأموية ، وليس أدل على ذلك من أن الخليفة الحكم المستنصر نفسه كانت له تقييدات وتدوينات خاصة بالعديد من أجناس الكتابة التاريخية كالأنساب والطبقات والتراجم وتاريخ المدن ، وتاريخ الدول ، والتاريخ العام أو العالمى ، ومعاجم الشيوخ وخلافه⁽¹⁾.

ثانياً : شهدت الكتابة التاريخية تطوراً ملموساً في جنس التراجم والطبقات ، حيث سجل المؤرخون تطور الثقافة والفكر الإسلامى بمختلف أنواعه ، ولم تقتصر الكتابة على الترجمة لأعلام المذاهب والفرق ، وإنما اتجهت اتجاهاً دنيوياً؛ للحديث عن كل من يز من المبدعين في أى مجال من المجالات العلمية والمعرفية ، ومن ثم رأينا تخليداً للأدباء والأطباء والحكماء والنحويين والشعراء واللغويين وغيرهم⁽²⁾.

ثالثاً : غلب على المؤرخين تحرى المصادقية والتثبت من صحة المرويات وليس أدل على ذلك من العبارات التى استخدموها كقولهم : "ذكر فلان"⁽³⁾، "وقال بعض

(1) ابن الأبار: الحلة السيرة ، 1 / 203، 202.

(2) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام ، ص 161؛ وانظر : شاکر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون، 1 / 382؛ فاروق عمر فوزى: التدوين التاريخي، ص 76.

(3) أنظر على سبيل المثال : الحشنى : قصة قرطبة وعلماء أفريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص 30، 31، 32؛ الحشنى : أخبار الفقهاء والمحدثين ، ص 9، 10، 11 .

أهل العلم⁽¹⁾، "قرأت في كتاب كذا"، "وذكر بعض الرواة من أهل الثغر"⁽²⁾، "و أخذت عن ثقة من أصحاب"⁽³⁾.

رابعا : بدأ المؤرخون يخففون بعض الشيء من التعويل على الإسناد ، واكتفوا بذكر المصادر المكتوبة في مقدمات كتبهم .

خامسا : تميزت كتابات المؤرخين بأسلوب نثرى مرسل^١ ، بسيط سلس ، بعيد عن السجع المتكلف ؛ إضافة إلى اقتباسهم من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ما يخدم أغراض الكتابة التاريخية عندهم ، كذلك اقتبسوا من دواوين فحول شعراء عصرهم بالإضافة لاعتمادهم على الأمثال المشتهرة على الألسنة.

سادسا : ابتعد المؤرخون عن رواية الأساطير والخرافات في مصنفاتهم ، واتجهوا اتجاهاً دنيوياً في تفسير الأحداث التاريخية ؛ فعولوا مثلاً على التفسير الاقتصادي لبعض الأحداث ؛ ومن ذلك ربط كتاب "أخبار مجموعة" بين تدهور الجباية وسوء الحالة الاقتصادية للبلاد وبين الحركات الانفصالية .

وحيثما نصل إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي - وهو القرن الذي شهد بزوغ نجم ابن حزم - نجد مجموعة من المؤرخين الأندلسيين من أبناء قرطبة أمثال ابن حيان وابن عبد البر وابن حزم الذين عاصروا عظمة الدولة الأموية في مقتبل شبابهم ، ثم رأوا تمزقها وسقوطها من خلال فتنة دامية، ولا شك أن هذه الأحداث المؤلمة قد أثرت في نفسية هذا الجيل من أبناء قرطبة، وصبغت تفكيرهم وكتاباتهم بالمرارة والقسوة والأسى، كما فتحت أذهانهم وشحذت همهم إلى تقص

(1) الحشني : قصة قرطبة ، ص 30 ؛ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، ط 1 ، 1982 ، ص 35 .

(2) الحشني : أخبار الفقهاء ص 41 .

(3) نفس المصدر السابق والصفحة .

الحقيقة والبحث عن أسباب هذه المحنة التي أصابت بلدهم، وعن وسائل علاجها⁽¹⁾، وهو ما سنرى أثره جلياً على ابن حزم وكتابته التاريخية خلال هذه الدراسة.

ويعتبر ابن حيان القرطبي (469هـ / 1070م) من أعظم مؤرخي أسبانيا الإسلامية والنصرانية على السواء في العصر الوسيط، فهو مؤرخ عاصر الخلافة الأموية، وشاهد عيان لأحداث عصره لا سيما فترة الأحداث الدامية التي أدت إلى سقوط الخلافة⁽²⁾. وقد أثنى عليه العديد من المؤرخين⁽³⁾ ويرى أحد الباحثين المحدثين أن ابن حيان يضارع المشاركة المؤرخين أمثال المسعودي وابن الأثير⁽⁴⁾.

وتتجلى عظمة ابن حيان في كتاباته الكثيرة ومنها كتاب "المقتبس في أخبار أهل الأندلس"، والذي يعد في جنس تاريخ الدول والحكام، وهو في عشرة أجزاء، تناول فيه تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى عصر ملوك الطوائف. وقد وصفه ابن حزم بقوله: "من أجل كتاب ألف في هذا المعنى"⁽⁵⁾، وله كتاب "المتين" وهو تاريخ للأندلس يقع في ستين جزءاً على حد وصف المصادر، وهو أيضاً في جنس تاريخ الدول والحكام، ولابن حيان كتاب آخر في نفس جنس الكتابة التاريخية، وهو كتاب أخبار "الدولة العامرية" أو "المآثر العامرية"، وهو مؤلف ضخمة، تقصى فيه ابن حيان سيرة المنصور بن أبي عامر وتفاصيل غزواته.

(1) أنظر، العبادي: من التراث العربي الأسباني، ص 47.

(2) انتصار عبد النبي: لسان الدين بن الخطيب مؤرخاً، أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية

البنات، جامعة عين شمس، 2015م، ص 22.

(3) الحميدى: الجدوة، ص 200؛ وانظر: الضبي: البغية، ص 275.

(4) محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ص

273.

(5) أنظر: رسالة في فضائل الأندلس، 184/2.

أما كتاب "البطشة الكبرى" فقد خصصه لدولة بنى جهور والنكبة الجهورية وتفصيل سقوطها⁽¹⁾، وهو أيضا في جنس تاريخ الدول والحكام، وللأسف لم يصلنا من هذه المؤلفات غير القطع الخمس التي حققت ونشرت من المقتبس، فضلا عن شذرات وروايات في ثنايا المصادر التاريخية.

ومن أبرز مؤرخى الأندلس وأعظمهم في القرن الخامس الهجري ابن حزم الظاهري الذى نقل التاريخ من مجرد رواية للخبر إلى النقد المعتمد على أصول عقلية ومنطقية مبينا ما بالتاريخ من أساطير وخرافات وروايات كاذبة⁽²⁾.

ويعتبر ابن حزم من مؤسسى فلسفة التاريخ والأسبق لابن خلدون - وإن كان الأخير نال شهرة أكثر من الأول في التأسيس لفلسفة التاريخ إلا أنه كان تابعا له - وهو ما ذهبنا إليه في كتابنا "ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي"، واحتججنا على ذلك بما يلي:

أولا: استناد ابن خلدون على ابن حزم في أكثر من موضع في كتابه (العبر) وترجيحه لأراء ابن حزم.

ثانيا: مناقشة ابن خلدون بعض القضايا التي ناقشها ابن حزم سالكا في تحليلها نفس أسلوب ابن حزم، مثل مسألة جيوش بنى إسرائيل وعدد من يطبق حمل السلاح في عهد موسى عليه السلام⁽³⁾.

(1) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، تحقيق ليفى بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006؛ 151، 98/2؛ بالشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 247، محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، ص 276.

(2) عبد الباقي السيد: ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، دار الآفاق العربية، ص 258.

(3) المرجع نفسه، ص 259.

الفصل الثاني

منهج ابن حزم ومرجعياته التاريخية

المبحث الأول : شروط المؤرخ عند ابن حزم

المبحث الثاني : ابن حزم وفلسفة التاريخ

المبحث الثالث : منهج ابن حزم وأسلوبه في الكتابة التاريخية :

المبحث الرابع : المرجعية التاريخية لابن حزم الظاهري

المبحث الأول شروط المؤرخ عند ابن حزم

وضع منظرو الفكر التاريخي عدة شروط أو صفات يجب توافرها في المؤرخ أو الشخص الذي يعالج التاريخ ومنها :

أولا : الصدق ، وأحيانا يعبر عنه بالعدالة ، وقد قرن السخاوي العدالة بالضبط التام الناشئ عن مزيد الإتيان (1).

ثانيا : الضبط وقوة الحافظة ، وهو ما أشار إليه السبكي بقوله : " وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى " (2) ، وهذا الأمر له من الخطورة ما له ، ومن ثم رأينا بعض المؤرخين كالذهبي وابن حجر وغيرهما ينتقدون ابن حبان لأنه كان يتصرف في الألفاظ فيعبر بنفسه عن عبارات الأئمة السابقين (3).

ثالثا : أن لا يكون الخبر المنقول أو الرواية قد أخذها المؤرخ أو كاتب التاريخ حال المذاكرة ، وكتبها بعد ذلك (4).

رابعا : أن يسمى المؤرخ الشخص الذي ينقل عنه (5).

خامسا : وينبغي للمؤرخ أن يكون صاحب إحساس وذوق وعاطفة وتسامح وخيال ، بالقدر الذي يتيح له أن يدرك آراء الغير ونوازع الآخرين (6) ، وهو ما عبر عنه السبكي بقوله : " أن يكون حسن التصور حتى يتصور حال ترجمته " (7).

1 قارن : السبكي : قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، القاهرة ، ط2 ، 1978م ، ص71 ؛ السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص63.

2 أنظر : قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، القاهرة ، ط2 ، 1978م ، ص71.

3 الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، 507/3.

4 السبكي : مصدر سابق ، ص73.

5 نفسه ، ص73.

6 كاسرر أرنست : في المعرفة التاريخية ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، القاهرة ، د.ت ، ص33.

7 أنظر : قاعدة في الجرح والتعديل ، ص75.

سادسا : ويلزم للمؤرخ أن تتوفر له ملكة النقد ، فلا يجوز له أن يقبل كل كلام أو يصدق كل وثيقة أو مصدر بغير الدرس والفحص والاستقراء (1).

سابعا : أن يكون أميناً مخلصاً ، فلا يكذب ، ولا ينتحل ، ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطان ، ولا يخفى الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره في بعض الأحيان (2).

ثامنا : من الضروري للمؤرخ أن يكون ذا عقل واع مرتب منظم ، لكي يستطيع أن يميز بجلاء بين الحوادث ، وينسق أنواع الحقائق ، ويفيد بها في الوضع المناسب (3) ، وهو ما عبر عنه السخاوي بالتحري في تناوله للوقائع (4).

تاسعا : الموضوعية التامة ، وعدم التحيز (5) ، وهو ما عبر عنه السبكي بقوله : " أن لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطئاب في مدح من يحبه ، والتقصير في غيره ، بل إما أن يكون مجرداً عن الهوى وهو عزيز ، وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ، ويسلك طريق الإنصاف " (6). وفي موضع آخر يعبر السبكي عن ذلك بقوله : " فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً عادلاً عارفاً بحال من يترجمه ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغض منه " (7).

ويتضح مما سبق أن الصدق والضبط وقوة الذاكرة والذكاء والدقة وقوة الملاحظة وحسن الاستدلال وجودة الاستنباط ، وربط الأحداث بعضها ببعض ، كل ذلك

1 عاصم الدسوقي : البحث في التاريخ ، مكتبة القدسي ، ص 207-209.

2 شوقي الجمل : علم التاريخ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2010 م ، ص 98، 99.

3 نفسه ، ص 101.

4 أنظر : الإعلان بالتوبيخ ، ص 63.

5 شوقي الجمل : علم التاريخ ، ص 104 ؛ وانظر : عاصم الدسوقي : البحث في التاريخ ، ص 204.

6 أنظر : قاعدة في الجرح والتعديل ، ص 75.

7 أنظر : معيد النعم ومبيد النقم ، ص 74.

صفات وشروط تجعل من يكتب التاريخ راويةً أميناً، ومحققاً نزيهاً، وهو ما ينطبق على ابن حزم كما سيتضح من خلال العرض التالي :

أولاً : بخصوص الصدق وعدم الكذب فقد وصفه من ترجموا له بالصدق ⁽¹⁾. بل إنه ذاته جبل على الصدق وكراهية الكذب ، ومن ثم رأيناه يقول : " وما أحببت كذاباً قط، وإني لأسامح في إخاء كل ذي عيب وإن كان عظيماً، وأكل أمره إلى خالقه عز وجل، وأخذ ما ظهر من أخلاقه، حاشى من أعلمه يكذب فهو عندي ماح لكل محاسنه، ومعف على جميع خصاله، ومذهب كل ما فيه ... " ⁽²⁾.

ولأن هذه الصفة من أخطر الصفات لدى من يكتب أخبار الناس ، ومن ثم رأيناه يتزايد في جمع أقوال الحكماء ، وما ورد في السنة وفي القرآن من تنفير الناس من الكذب ، وحثهم على الصدق فيقول : " وقال بعض الحكماء: آخ من شئت واجتنب ثلاثة: الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك والملول فشأنه أوثق ما تكون به لطول الصحب وتأكدها يخذلك والكذاب فإنه يجني عليك آمن ما كنت فيه من حيث لا تشعر. وحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: حسن العهد من الإيمان. وعنه عليه السلام: لا يؤمن الرجل بالإيمان كله حتى يدع الكذب في المزاح والله عز وجل يقول: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل هل يكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: نعم. قيل: فهل يكون المؤمن جباناً؟ فقال: نعم. قيل: فهل يكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا..... وروى أنه أثناه صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، إني أستتر بثلاث الخمر والزنا والكذب. فمرني أيهما أترك. قال: اترك الكذب فذهب منه. ثم أراد

(1) الحميدي : حذوة المقتبس، 489/2-491؛ وانظر: ابن بسام الذخيرة ، مجلد 1 قسم 1 ص 167؛ الفتح بن خاقان : مطمع الأنفسى ، تحقيق محمد علي شوابكه ، دار عمار مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1403 هـ / 1983 م ، ص 279، 280؛ الذهبي : سير الأعلام ، 18/201، 187، 184؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص 436؛ ابن العباد ، شذرات الذهب ، 3/299.

(2) (أنظر : طوق الحمامة ، دار الجيل ، ص 80، 81.

الزنا ففكر فقال: آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألني: أزنيت؟ فإن قلت: نعم، حدني، وإن قلت: لا. نقضت العهد، فتركه. ثم كذلك في الخمر. فعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني تركت الجميع. فالكذب أصل كل فاحشة، وجامع كل سوء، وجالب لمقت الله عز وجل..... وهل الكفر إلا كذب على الله عز وجل، والله الحق وهو يحب الحق وبالحق قامت السموات والأرض. وما رأيت أخزى من كذاب، وما هلكت الدول ولا هلك الممالك ولا سفكت الدماء ظلماً ولا هتكت الأستار بغير النائم والكذب" (1).

والمطالع لمصنفات ابن حزم يجد أن الصدق هو أبرز سمة لهذه المصنفات فابن حزم كتبها دفاعاً عن مبادئه التي يؤمن بها، ولم يكتب تملقاً لأحد أو بغية كسب مادي أو دنيوي، بل إن كتبه لم يرض عنها معظم أهل الأندلس، وتكالبوا عليها وأحرقوها لمخالفتها لمعارفهم ومناهجهم. بل إن واقعة حرق كتبه كانت بسبب صدقه وصدعه بالحق إلى جانب أسباب أخرى ليس هذا مجال تفصيلها (2).

ثانياً : وبخصوص ملكة النقد فابن حزم رائد من رواد نقد الخبر التاريخي، ومضاربة الروايات بعضها ببعض للخروج بالقول الفصل بشأن الروايات المتعددة أو المتعارضة. بل إنه كان اسبق من ابن خلدون في ذلك. حيث نجح في تأسيس ما عرف لاحقاً بفلسفة التاريخ، وسبق بها ابن خلدون بعدة قرون، وهو ما سنفصله بالفصل الخامس والأخير من هذه الدراسة.

1 أنظر: طوق الحمامة، ص 81.

2 عبد الباقي السيد: ابن حزم الظاهري، ص 123، 124.

والمطالع لكتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل يقف على حقيقة النقد عند ابن حزم بما لا مزيد عليه⁽¹⁾.

والمتتبع لمصنفات ابن حزم تجده حريصاً على إثبات قدرته الفذه في تتبع الأخبار وإثبات رواياتها الثقات ، وبعده عن كل نقل فاسد ، ومن ثم فهو القائل : " والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك ، والاقتصار على ما رأيت أوضح عندي بنقل الثقات ، ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين ، فسبيلهم غير سبيلنا ، وقد كثرت الأخبار عنهم ، وما مذهبي أن أنضي مطية سواي ، ولا أتحملي بحلى مستعار ، والله المستغفر والمستعان لا رب غيره . " ⁽²⁾.

ثالثاً : وبخصوص الاعتماد على العقل فهذا أمر اشتهر به ابن حزم فرغم ظاهرية ووقوفه على النصوص إلا أنه كان معملاً لعقله في جل طروحاته ومصنفاته⁽³⁾ ، ومن ثم فهو القائل : " حد العقل استعمال الطاعات والفضائل ، وهذا الحد ينطوي فيه اجتناب المعاصي والرذائل . وقد نص الله تعالى في غير موضع من كتابه على أن من عصاه لا يعقل . قال تعالى حاكياً عن قوم } : وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير { (الملك : 10) ثم قال مصداقاً لهم : { فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير { (الملك : 11) ⁽⁴⁾ .

1 أنظر : الفصل ، 1/192، 244 ; زكريا إبراهيم : ابن حزم ، ص 214، 215 ; عبد الباقي السيد : ابن حزم ، ص 318-321.

2 أنظر : طوق الحمامة ، دار الجليل ، بيروت ، ص 14.

3 عن ذلك بالتفصيل أنظر : أحمد طاهر النقيب : منهج المدرسة الظاهرية في تفسير النصوص الدينية ، دار ابن حزم ، الرياض ، ط 1 ، 1425 هـ / 2004 م ، ص 29-127.

4 أنظر : مداواة النفوس ، رسائل ابن حزم ، 1/378.

وفي غير ما موضع من كتبه نجده يشيد بأهمية العقل ودوره ، ومن ذلك قوله :
 "علمنا بضرورة العقل" ⁽¹⁾ "يدرك فسادَه بأول العقل وضرورته" ⁽²⁾ "بضرورة العقل
 وبديته" ⁽³⁾ "بضرورة العقل وبالنص علمنا" ⁽⁴⁾ "وبضرورة العقل علمنا أن ما أوجبه
 الله علينا في أموالنا فإنه يقع عليه اسم دين بلا شك، ثم بالنصوص علمنا - وبضرورة
 العقل" ⁽⁵⁾

وكذلك يعرف العقل في كتابه (الإحكام) في باب إثبات حجج العقول بقول: "إنما
 العقل الفهم عن الله لأوامر" ⁽⁶⁾ وفي باب لاحق يقول وبالصيغة الحصرية "إنما العقل
 فهم عن الله تعالى ومميز للأشياء التي قد رتبها الباري تعالى على ما هي عليه فقط" ⁽⁷⁾
 أيضاً "إنما هو تمييز الموجودات على ما هي عليه وفهم الخطاب فقط" ⁽⁸⁾.

فالعقل عن ابن حزم هو هذه المبادئ الأولية الضرورية الفطرية والتي لا يطلب
 على صحتها برهان، إذا أوقعها الله في نفس كل إنسان فتكون مصدراً من مصادر علمه
 ومعرفته ويقول ابن حزم في هذا المعنى: " فهذه المقدمات، الصحاح التي ذكرنا هي
 التي لا شك فيها، ولا سبيل إلى أن يطلب عليها دليلاً إلا مجنون أو جاهل لا يعلم
 حقائق الأشياء ومن الطفل أهدى منه، وهذا أمر يستوى في الإقرار به كبار جميع بني
 آدم وصغارهم في أقطار الأرض، إلا من غالط حسه، وكابر عقله، فيلحق بالمجانين،

(1) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد شمس الدين، مصدر سابق، 3/ 179.

(2) المصدر السابق، 3/ 314.

(3) المصدر السابق، 3/ 307.

(4) المصدر السابق، 2/ 96.

(5) ابن حزم: الفصل، 3/ 252.

(6) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 1/ 44.

(7) المصدر السابق، 1/ 85.

(8) نفس المصدر والصفحة.

لأن الإستدلال على الشيء لا يكون إلا في زمان، ولا بد ضرورة أن يُعلم ذلك بأول العقل، لأنه قد علم بضرورة العقل أنه لا يكون شيء مما في العالم إلا في وقت، وليس بين أول أوقات تميز النفس في هذا العالم، وبين إدراكها لكل ما ذكرنا مهلة ألبتة، لا دقيقة ولا أقل ولا أكثر فلا سبيل إلى الإستدلال عليها.. فصح أنها ضرورات أوقعها الله في النفس" (1).

ومما سبق يتضح ان ابن حزم يبحث في كل حال عن مبدأ عقلي يستند إليه في تمييز صحيح الخبر من سقيمه ، ومن ثم فهو القائل في مبحث إثبات حجج العقول من كتابه الأحكام : " يقال لجميعهم: بأي شيء عرفتم صحة ما تدعون إليه، وصحة التوحيد والنبوة، ودينك الذي أنت عليه، أبعقل ذلك على صحة كل ذلك أم بغير عقل ؟ وبأي شيء عرفت فضل من قلدت، أو صحة ما ادعيت أنك ألهمته بعد أن لم تكن ملهماً إليه ولا مقلداً له برهة من دهرك ؟ وبأي شيء عرفت صحة ما بلغك من الأخبار بعد أن لم تكن بلغتك ؟ وهل لك من عقل أم لا عقل لك ؟ (2). بل إن العقل كان له نصيب كبير في دراسة ابن حزم للعقائد ، ومن ثم فقد عول على العقل في تقرير أصل الوحداية وإثباتها ، وكذا في إثبات اصل النبوة ، ودلالة معجزات الرسل ، ودلالة القرآن على صدق النبي محمد ... (3).

وهكذا نجد ابن حزم يعلى من شأن العقل في الثبوت من صحة الروايات ، حتى تقوم دراسة التاريخ على أسس موضوعية كافية .

(1) ابن حزم : الفصل ، 40 / 1.

(2) ابن حزم : الأحكام ، 18 / 1.

(3) محمد أبو زهرة : ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط 1، 1954م ، ص 226.

رابعا : أما بشأن الموضوعية التامة فلعل أبرز ما يؤكد ذلك أن ابن حزم كان أموى النزعة ، إلا أنه حال عرضه لقضية الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وقف بجانب علي بن أبي طالب ، ورجح بالحجج والبراهين موقفه ، وجعله هو الإمام الحق الواجب طاعته ، وأن معاوية هو الخارج عليه ، ورد على كل من رجح كفة معاوية على كفة علي (1).

أضف إلى ذلك أن ولاء ابن حزم لبنى أمية لم يمنعه من أن يعلن رأيه صراحة بحيادية وموضوعية تامة في حكام وأمراء بنى أمية بالشرق والمغرب فانتقد يزيد بن معاوية لما فعله بالصحابية في موقعة الحرة سنة 63هـ/683م، ووصف كل من يزيد عبدالملك، والحكم الربضي، وعبدالرحمن الناصر بالانهاك في المعاصي واللذات والمجاهرة بذلك، ووصف للمستكفي بالحماقة والبعد عن كل خلة خير والجمع لكل خلة سوء، ووصف هشام بن الحكم المستنصر، وهشام المعتد بالله بالضعف والتغلب عليها(2).

خامسا : أما بخصوص الإحساس والذوق والعاطفة والتسامح والخيال فالمطالع لكتابه طوق الحمامة ، وكذا لرسالته النفيسة مداواة النفوس يجد كل هذه الصفات متأصلة في طبعه (3).

سادسا : أما بشأن الضبط . فقد اشتهر بذلك وجل من ترجموا له أجمعوا على هذا الأمر يقول تلميذه الحميدى : " وما رأينا مثله رحمه الله في ما اجتمع له من الذكاء

(1) أنظر: الفصل، 82،83،85،87،88/3.

(2) ابن حزم: أسماء الخلفاء، ص 112؛ وانظر: نقط العروس، رسائل 73/2، 75، 76؛ عبد الباقي السيد: ابن حزم الظاهري، ص 178.

(3) أنظر: مقدمة طوق الحمامة، رسائل 1/ 73-78؛ مداواة النفوس، رسائل ابن حزم، 347/1.

وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وكان له في الآداب والشعر نفس واسع وباع طويل قال: وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه وشعره كثير قال: وقد جمعناه على حروف المعجم " (1).

وقال الغزالي (وجدت في أسماء الله تعالى كتابا لأبي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنة) (2)

ويؤكد هذه الخصال لا سيما الضبط وقوة الحفظ ما ذكره الذهبي عن ابن حزم قائلا : " ورأيت قد ذكر قول من يقول : أجل المصنفات الموطأ . فقال : بل أولى الكتب بالتعظيم صحيحا البخاري ومسلم ، وصحيح ابن السكن ومنتقى ابن الجارود ، والمنتقى لقاسم بن أصبغ ، ثم بعدها كتاب أبي داود ، وكتاب النسائي ، والمصنف لقاسم بن أصبغ ، مصنف أبي جعفر الطحاوي ثم : قال ومسند البزار ، ومسند ابني أبي شيبة ، ومسند أحمد بن حنبل ، ومسند إسحاق ، ومسند الطيالسي ، ومسند الحسن بن سفيان ، ومسند ابن سنجر ، ومسند عبد الله بن محمد المسندي ، ومسند يعقوب بن شيبة ، ومسند علي بن المديني ، ومسند ابن أبي غرزة ، وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صرفا ، ثم الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره ، مثل مصنف عبد الرزاق ، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ، ومصنف بقي بن مخلد ، وكتاب محمد بن نصر المروزي ، وكتاب ابن المنذر الأكبر والأصغر ، ثم مصنف حماد بن سلمة ، وموطأ مالك بن أنس ، وموطأ ابن أبي ذئب ، وموطأ ابن وهب ، ومصنف وكيع ، ومصنف محمد بن يوسف الفريابي ، ومصنف سعيد بن منصور ، ومسائل أحمد بن حنبل ، وفقه أبي عبيد ، وفقه أبي ثور. " (3).

(1) أنظر : جذوة المقتبس ، 1/489-491.

(2) نقلا عن الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، 3/347.

(3) سير أعلام النبلاء ، 18/202، 203.

ويرتبط بالضبط مسألة الدقة والأمانة في النقل والعزو ، وهو ما غلب على ابن حزم في أسلوبه . فدوما نراه حال النقل يعزو لمن ينقل عنه ، ويذكر أحيانا أماكن النقل ، ومن ذلك قوله : وقد قال يوحنا في أول إنجيله ⁽¹⁾ ، وقوله : وقد قال لوقا في آخر إنجيله ⁽²⁾.

وإذا حدث بحادثة عن أحد أصحابه نراه يذكره باسمه ، ومن ذلك قوله : وقد أخبرني بعض أصدقائنا وهو محمد بن عبد الرحمن بن عقبة رحمه الله تعالى أنه عارض بهذا البرهان بعض الملحدّين وهو عبد الله بن عبد الله بن شنيف فعارضه الملحد في قوله بخلود الجنة والنار وأهلها ⁽³⁾.

بل رأيناه يؤكد للقارئ مطالعته للنص الذي ينقل عنه ويصفه بدقة كما فعل مع النص التوراتي حيث وصفه بقوله : " فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة في مقدار توراتهم وإنما هي مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق في كل صفحة منها من ثلاثة وعشرين سطرا إلى نحو ذلك بخط هو إلى الانفساخ أقرب يكون في السطر بضع عشرة كلمة " ⁽⁴⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن مرتبة التاريخ عنده تأتي بعد مجموعة من العلوم وهي : النحو واللغة والمنطق والعلوم الرياضية والطبيعية . فإذا أحكم ذلك ... فلا يكن منه إغفال لمطالعة أخبار الأمم السالفة والخالفة ، وقراءة التواريخ القديمة والحديثة ... ⁽⁵⁾ ولكن نظراً لأسباب عديدة ، قلّ التأليف والتدوين التاريخيّ عند ابن حزم ، ومنها :

1 أنظر : الفصل ، 73/1

2 أنظر : الفصل ، 72/1

3 أنظر : الفصل ، 31/1.

4 أنظر : الفصل ، 213/1.

5 ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، رسائل ابن حزم ، 72/4.

أولا : حرق معظم كتبه والذي تسبب في ضياع الكثير منها ، وإن وجدنا من تلاميذه من احتفى واهتم بها ، وكذا ابن حزم نفسه تفرغ في نهاية عمره لإعادة ما أحرق. إلا أن عملية الإحراق زهدت الناس في كتبه بلا شك ، ومن جملتها المصنفات التاريخية.

ثانيا : الأذى السياسي والفقهني الذي لحق بابن حزم لم يجعله يتفرغ للتدوين التاريخي .

ثالثا : المعارك العلمية التي كان يخوض غمارها فقهيا وفلسفيا وكلاميا وسياسيا ؛ حيث أنه فتح على نفسه جبهات قتال مع سائر المذاهب والطوائف الإسلامية وغير الإسلامية، كل ذلك ساهم في عدم تفرغ أبي محمد للتأليف في التاريخ.

رابعا : المعارك السياسية التي خاضها ابن حزم ، لأجل مساندة الدولة الأموية في الأندلس ، وتعرضه للسجن غير ما مرة .

ورغم كل ما سبق من أسباب قللت التدوين التاريخي عند ابن حزم فإن همّة التاريخي كان كامنا في البحث عن القانون التاريخي، فقيمة التاريخ الحقيقية عنده، تنكشف عندما تتم صياغة خلاصات تاريخية سليمة من مجموع الوقائع والأحداث والحقائق بحيث تكون لهذه الخلاصات القدرة على أن تلّم بمدى تأثير الماضي على الحاضر. (1) ولقناعة ابن حزم بأهمية التاريخ، وحبّه الشديد له واعتماده عليه، كل ذلك دفعه للعناية به. (2).

1 أنظر : سعيد بنكروم وآخرون : ابن حزم الأندلسي: المنهج والمعرفة ، منشورات كلية الآداب، جامعة الحسن الثاني، المغرب ، 2005م ، ص 203.

2 ابن حزم: رسالة مراتب العلوم ، رسائل ابن حزم ، 4/72-73.

ولذا فإنه لم يكن من قبيل الصدفة أن يكون ابن حزم مؤرخاً ممتازاً، فقد اجتمعت له من الصفات الذاتية والموضوعية، ما أهله ليكون رائداً من رواد التاريخ الإسلامي، ومن ذلك مثلاً: الصدق والضبط وقوة الذاكرة والذكاء والدقة، وقوة الملاحظة وحسن الاستدلال وجودة الاستنباط، وربط الأحداث بعضها ببعض، كل ذلك جعل منه راويةً أميناً، ومحققاً نزيهاً، فلا غرو إذن، أن يطلق عليه كبار النقاد والمؤرخين في هذا العصر من دارسي فكره التاريخي والمعاشين له لقب: "المؤرخ" (1).

وتجدر الإشارة إلى أن النزعة التاريخية لابن حزم تتجلى من خلال التراث التاريخي الذي تركه. ونحن نستطيع أن نعتبر مصنفه الجامع "الفصل في الملل والأهواء والنحل" تاريخاً مقارناً للأديان والمذاهب الدينية... ولم تخل معظم رسائله ومؤلفاته من الإشارات التاريخية ذات المغزى، خاصة: "طوق الحمامة" والذي يشير في مواطن عديدة منه إلى حوادث تاريخية عاصرها، كما تحوي كتبه الأخرى مجموعة من النوادر والنظائر التاريخية المدهشة، التي يقتضي اقتناصها وتنسيقها مقدرة فائقة ومعرفة شاملة بمختلف التواريخ... (2).

وأما المادة التاريخية فهي موجودة في مؤلفاته ورسائله المطبوعة والموجودة بين أيادي الناس، ومنها: "نقط العروس في تواريخ الخلفاء"، "أمهات الخلفاء"، "جمل فتوح الإسلام"، "أسماء الخلفاء"، "فضل الأندلس وذكر رجالها"، "طوق الحمامة"، "جوامع السيرة"، وجمهرة أنساب العرب، ومصنفه الضخم: "الفصل في الملل

1 أنظر: عبد الحليم عويس: ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام، القاهرة، 1988م، ص 198-213.

2 عنان: ابن حزم المؤرخ الذي أرخ لعصر ملوك الطوائف، مجلة العربي، 1988م، ص 81.

والأهواء والنحل " تأريخا لاهوتيا مقارنا للأديان ، مع إشارات تاريخية لمذاهب النصارى واليهود وغيرهم⁽¹⁾.

لقد كان للمذهب الظاهري أثر كبير في كتابات ابن حزم التاريخية؛ ذلك لأن التاريخ يشكل إطارا معرفياً لخدمة المشروع النهضوي الحزمي⁽²⁾ إذ شهد عصر ابن حزم أحداثا كبرى كسقوط الخلافة الأموية، وظهور ملوك الطوائف وتفاقم الخطر النصراني وتعاضل دور اليهود في كثير من مدن الأندلس؛ ناهيك عن النزاعات العرقية والطائفية التي أسهمت في تصدع وحدة الأندلس. لذلك اهتم ابن حزم ومدرسته بدراسة التاريخ مفيدا من فقهه المستقل الذي يحارب التقليد ويعول على الدليل، مما أحدث طفرة في الفكر التاريخي الأندلسي، وهو ما يتضح من خلال موسوعته الشهيرة في تاريخ الأديان: " الفصل في الملل والأهواء والنحل " ، وكذا في رسالته العظيمة في فضل الأندلس ، وكذا جهمته في الأنساب ، وهذه الكتب الثلاثة ، وغيرها أحدث تغييرا جذريا في نظرة المؤرخين النمطيين للتاريخ ، ومن ثم كان ابن حزم بنظرته الواسعة والتميزة صاحب فضل على جل من أتى من بعده في تناوله للتاريخ⁽³⁾.

وبناء على النزعة النقدية فقد انفرد ابن حزم بالسكوت عن الكثير من الأخبار المشكوك في صحتها، والتي تبارى المؤرخون في بسطها والاستطراد في عرضها دون روية . كما انفرد أيضا بإيراد الكثير من المسكوت عنه ، خصوصا في مجال العقائد والأفكار. ولا غرو، فقد نبه مرارا إلى أهواء مؤرخي السلطان وما ترتب عليها من مغالط وأوهام.

1 عفت الشرقاوي: في فلسفة الحضارة ، دار النهضة العربية، بيروت ، ط4 ، 1985م ، ص 177.

2 محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، سينا للنشر ، القاهرة ، 2000م ، عصرا لآزدهار، 3/ 126 وما بعدها.

3 أنظر عن ذلك : عبد الباقي السيد : ابن حزم الظاهري ، ص 260.

بيد أن اهتمام ابن حزم بتحقيق الأخبار لم يحل دون اهتمامه بالتفسير والتأويل. وحق قول من ذهب إلى أنه وعى بأن وراء الجزئيات في رصد أحداث التاريخ عوامل كبرى تؤثر في حركته ⁽¹⁾، ولاغرو، فالتاريخ في مخيال ابن حزم نتيجة فعاليات بشرية، ومن ثم رفض مفهوم العناية الإلهية وطرح بديلا عنه مفهوم الطبيعة الممكنة في التصرف؛ بمعنى أن الفعل التاريخي لا يخضع للجبر والقسر، بل هو رهين مشيئة واختيار.

ومن مميزات ابن حزم ونظريته الرائدة للحركة التاريخية رفضه ما درج عليه معاصروه من ربط الأحداث التاريخية بحركة الكواكب؛ فشهر بهم وبالاشتغال بأحكام النجوم، بديهي أيضا أن يعزف عن الأسطورة والسحر والخرافة في تفسير التاريخ؛ إنها وقائعه وأحداثه إلى العقل والتجربة ⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن حزم استفاد كثيرا من طريقة أهل الحديث والفكر الفلسفي في التدوين التاريخي، ومن المعروف أن طريقة أهل الحديث تعتمد على نقد السند أي على التعديل والتجريح للرواة، ونظرا لأهمية الخبر بالنسبة للمذهب الظاهري، وكونه الدعامة الثاني - بعد القرآن - في ذلك المذهب؛ الأمر الذي يستدعي معرفة شاملة دقيقة لعلم الرجال، مثلما يفترض الحذر الشديد في تقبل الخبر، وفي هذه الناحية وضع ابن حزم بين المتعنتين في التوثيق ⁽³⁾، وانتقده بعضهم لارتكابه عدة أخطاء في حق رواة مشهورين وصفهم بأنهم مجهولون مثل محمد بن عيسى الترمذي صاحب السنن، والبغوي وإسماعيل بن محمد الصفار وأبي العباس الأصم ⁽⁴⁾، حتى لقد قال ابن حجر في ترجمة الترمذي: "وأما أبو محمد ابن حزم فإنه نادى على نفسه

1 عبدالحليم عويس: ابن حزم، ص 125.

2 نفس المرجع والمكان والصفحة.

3 السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص 205.

4 ابن حجر: تهذيب التهذيب، حيدر آباد الدكن، 1325هـ-1327هـ، 388/9؛ وانظر:

السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص 205.

بعدم الاطلاع فقال في كتاب الفرائض من الإيصال : محمد بن عيسى بن سورة مجهول، ولا يقولن قائل: لعله ما عرف الترمذي ولا اطلع على حفظه ولا على تصانيفه، فإن هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة في خلق من المشهورين من الثقات الحفاظ ⁽¹⁾. وقد حاول الذهبي أن يعتذر عن ابن حزم لتجهيله الترمذي - أى قوله فيه أنه مجهول- بأن سنن الترمذي لم تعرف في الأندلس إلا بعد وفاة ابن حزم فقال : " ما ذكر - أى ابن حزم- سنن ابن ماجة ولا جامع أبى عيسى فإنه ما رأهما ولا أدخلهما إلى الأندلس إلا بعد موته. "

هذا الكلام الذى دافع به الذهبي عن ابن حزم ، ومن قبله ابن القطان تلقفه البعض ليشنعوا على ابن حزم ، وليؤكدوا أنه جهل الترمذي وأنه مات ولم يعرف كتابه الجامع وهذا وهم واضح وباطل بين البطلان للآتى:

أولا : أن ذكر الترمذي كان مشهورا بالأندلس حتى على السنة مشايخ ابن حزم وفي كتبهم ومنهم العلامة ابن الفرضى المالكي شيخ ابن حزم والذى ذكر الترمذي ونبه على قدره في كتابه " المؤتلف والمختلف " ⁽²⁾

ثانيا : أن الكتاب كان يدرس بالأندلس في أواخر القرن الرابع الهجرى والذى شهد مولد ابن حزم ، وممن درسه يحيى بن محمد الجياني (توفي 390هـ) وعن الجياني روى ابن عبد البر جامع الترمذي من طريقه .

1 ابن حجر : نفس المصدر والمكان والصفحة .

2 أشار إلى هذا الكتاب كل من ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس ضمن مجموعة رسائله بتحقيق العلامة إحسان عباس وعده من الأعمال الكبيرة التي قدمها الأندلسيون وتفوقوا بها على أهل المشرق ، وأنه في أسماء الرجال وأن الحفاظ عبد الغني الأزدي المصرى لم يبلغ عند هذا المعنى إلا كتابين ، وبلغ أبو الوليد نحو الثلاثين ، كما وضح ابن حزم أنه لا يعلم مثله في فنه البتة ، وذكره الحميدي في جذوة المقتبس، والضبي في بغية الملتبس ، والذهبي في سير أعلام النبلاء وفي تذكرة الحفاظ ، كما ذكره ، وقد ذكره ابن بشكوال في صلته بقوله : (وجمع في المؤتلف والمختلف كتابا حسنا) . وللأسف هذا الكتاب الفريد في حكم المفقود في حدود علمي .

ثالثا : أن ابن عبد البر ذكر الترمذى فى كتابه العظيم التمهيد ، وابن حزم قرظ هذا الكتاب أيضا فى رسالته الباهرة (1).

ومما أخذ على ابن حزم من أخطاء حال نقد الروايات والأخبار الحديثية والتاريخية تجهيله كدام بن عبد الرحمن السلمى (2) ، وخلطه بين كثير بن زيد الأسلمى وكثير بن عبد الله بن زيد بن عمرو . فيقول فى الثانى : ساقط متفق على إطرأحه والرواية عنه ، فيتعقبه البغدادى فى ذلك (3) ؛ كما تعقبه الحافظ قطب الدين الحلبي ثم المصرى فيما وقع فيه من أخطاء فى كتاب المحلى خاصة ، ومن ذلك عند إيراده حديث لا صلاة بعد طلوع الفجر إلا ركعتي الفجر ، قال : الرواية فى هذا الباب ساقطة مطروحة مكذوبة ، فذكر منها طريق يسار مولى ابن عمر عن كعب بن مرة وقال : يسار مجهول ومدلس ، وكعب لا يدري من هو ، قال القطب : يسار قال أبو زرعة مدني ثقة .

وقال ابن حزم فى حديث عائشة ، قلت : يا رسول الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال : أصبت يا عائشة ، انفرد به العلاء بن زهير وهو مجهول ، قال القطب : أخرج الحديث النسائي والدارقطني وروى عن العلاء وكيع وأبو نعيم والفريابي وغيرهم وقال ابن معين : ثقة .

وقال ابن حزم فى حديث أم سلمة : كنت ألبس أوضاحا من ذهب ... الحديث ؛ عتاب : مجهول ؛ قال القطب : أخرج الحديث أبو داود محمد بن عيسى بن الطباع عن عتاب وهو ابن بشير ، عن ثابت بن عجلان عن عطاء عنها ؛ وعتاب هو ابن بشير الجزري روى عنه إسحاق بن راهويه ومحمد بن سلام البيكندي وغيرهما ، وأخرج له البخاري ، وأخرج الحديث المذكور الحاكم فى المستدرک ، وقال ابن معين : ثقة .

1 عبد الباقي السيد : سؤالات وتساؤلات عن أهل الظاهر ، مقال بمجلة فقه الوحى الإلكترونية ، العدد الأول رجب 1433 هـ / يونية 2012 م ، ص 22-24 .

2 ابن حجر : تهذيب التهذيب ، 431/8 .

3 ابن حجر : تهذيب التهذيب ، 415، 414/8 .

وقال ابن حزم في الحديث الذي أخرجه النسائي من طريق المرقع بن صيفي عن جده رباح بن الربيع: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لرجل: أدرك خالدا فقل له لا تقتل ذرية ولا عسيفا؛ المرقع مجهول؛ قال القطب روى عنه ولده عمر ويحيى بن سعيد الأنصاري ويونس بن أبي إسحاق وأبو الزناد وموسى بن عقبة، وذكره ابن حبان في الثقات، فليس بمجهول (1).

ومما أخذ على ابن حزم بشأن الجرح والتعديل تصحيف جميل بن كريب لديه فأصبح جميل بن جرير (2) وحنة بن مسلم فأصبح حنة بن سهل (3).

ومما أخذ على ابن حزم أيضا وقوعه فيما يعرف عند المحدثين والمؤرخين بأخطاء قلب النسب، أو الاختصار فيه أو سقوط بعض أجزائه، ومن ذلك ما ذكره ابن حزم بشأن: نصر بن عاصم الأنطاكي وصحح له حديثا في كتابه المحلى؛ واسم الراوى خطأ وصوابه عبد الله بن نصر الأصم؛ فسقط عبد الله من النسب وصحف الأصم بعاصم (4).

ومما أخذ عليه وقوعه فيما عرف من خطأ التشابه في الاسم والنسب معا، ومن ذلك ما قاله ابن حزم بشأن عبد الله بن عمرو بن لويم، حيث قال ابن حزم فيه: مجهول، وعده غيره في الصحابة، فقال ابن حجر معلقا: "ثم ظهر لي أن ابن حزم ما عنى هذا وإنما عنى آخر يوافقه في الاسم والأب والجد" (5).

1 ابن حجر: لسان الميزان، 4/201، 202.

2 نفسه، 2/135.

3 نفسه، 2/166، 167.

4 نفسه، 6/155.

5 نفسه، 3/321.

وأيا ما كان فلا جدال في أن ابن حزم قد وقع في أخطاء بشأن الجرح والتعديل ، ولكن لهذه الأخطاء أو الاجتهادات عند من يعدونها أخطاء أو اجتهادات تفسيرات مختلفة، منها:

أولا : اختلاف مناهج المحدثين في المشرق عنهم في المغرب ، لا سيما فيما يخص التعديل والتجريح ، ومكانة الراوى .

ثانيا : عدم إحاطة ابن حزم ببعض الرواة كان يدفعه إلى تجهيله ، رغم أنه كان معروفا عند غيره .

ثالثا : عدم خروج ابن حزم لرحلة مشرقية يتعرف من خلالها على منهج المشاركة عيانا جهارا ويقف على مكانة المشاهير اثر عليه قطعاً في معرفة البعض من الرواة .

رابعا : سعة حافظة ابن حزم كانت تدفعه لأن يهجم على القول في التعديل والتجريح فيقع له من ذلك أوهام شنيعة على حد قول ابن حجر العسقلاني (1) .

خامسا : وقوع التصحيف في بعض الرواة ، أو سقوط اسم من نسب أحد الرواة ، وهذا وقع لابن حزم كما سبق وان أشرنا إليه آنفا .

سادسا : الخلاف في التعديل والتجريح بين العلماء على توثيق أحد الرواة ، وابن حزم في كثير من علمه في الرجال يعتمد على من سبقوه ، فإذا اختار تجريح أحدهم فمعنى ذلك أنه - في أغلب الأحيان - اتبع في الحكم عليه أحد السابقين ، ولذلك فليس حجة على ابن حزم أن يقال: فلان وثقه ابن معين أو عده ابن حبان في الثقات. فهذا محمد بن سليمان المشمولى المخزومي ذكره ابن حبان في الثقات، كما ذكره العقيلي

والساجي والدولابي وابن الجارود في الضعفاء، فليس أحد الموقفين بملزم لابن حزم، وإنما هو يحكم رأيه فيما يراه مناسبا، ولهذا يقول فيه: منكر الحديث (1)، ومن ثم فإن ابن حزم كان متميزا في نظريته لتعديل وتجريح الرواة، الذين عليهم مدار نقد الرواية التاريخية والحديثية في آن واحد، كما كان متميزا في نظريته للتاريخ، وكذا في دفاعه عن مذهبه الظاهري.

لقد أصبح لابن حزم منظوره الخاص في محاكمة الروايات التاريخية والذي استمده من علم الحديث، ومن ثم كان يتحرى الدقة ويتشدد في محاكمة السند، وكذا كانت له نظرة متميزة في مناقشة المتون، ومعرضة الروايات بعضها ببعض، من خلال ما عرف بفلسفة التاريخ والتي سبق بها ابن خلدون بقرون، وهو الأمر الذي سنفصل الحديث عنه بالفصل الخامس.

وتجدر الإشارة إلى أن منظور ابن حزم للتاريخ لم يكن نمطيا ولا تقليديا قاصرا على ما كان مشتهرا بين مؤرخي زمانه ومن سبقهم. بل تفتح فكره على الدراسات الفلسفية والمنطقية، وتزبد منها وعكف عليها فشرح بعضها وانتقد البعض الآخر، ومن ثم فقد مهدت له هذه الدراسات تحكيم العقل في الرواية نفسها لا في روايتها، ورفضها على أساس عقلي، كما وسعت لديه الآفاق بحيث تجاوز موقفه الظاهري الذي يحرص عليه في باب التشريع؛ وقد لحظ ذلك ابن كثير فعبر عنه بقوله: "والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهريا حائرا في الفروع لا يقول بشيء من القياس لا الجلي ولا غيره، وكان مع هذا من أشد الناس تأويلا في باب الأصول وآيات الصفات وأحاديث الصفات لأنه كان أولا قد تضلع من علم المنطق... " (2).

1 نفسه، 186/5.

2 أنظر: البداية والنهاية، 92/12.

ولابد مما ليس منه بد أن نقرر أن ابن حزم رغم جهوده في علم التاريخ ونظرته المتميزة له فإنه قد اكتفى بموقف هامشي أو ثانوي للتاريخ في مؤلفاته، ومرجع ذلك إلى النقاط التالية:

أولاً : أن نظرة ابن حزم إلى التاريخ كانت قائمة على أنه أداة لا غاية في ذاته، وأنه يفيد في شيئين: التربية النفسية الأخلاقية، وخدمة الشريعة فإن اشتغل مغفل عن علم الشريعة بعلم غيره فقد أساء النظر وظلم نفسه، إذ أثر الأدنى والأقل منفعة على الأعلى والأعظم منفعة، فإن قال قائل إن في علم العدد والهيئة والمنطق معرفة الأشياء على ما هي عليه، قلنا إن هذا حسن إذا قصد به الاستدلال على الصانع للأشياء بصنعه، ليتدرج بذلك إلى الفوز والنجاة والخلاص من العذاب والنكد⁽¹⁾ ، فكل العلوم ومنها التاريخ أدوات توصل في النهاية إلى الفوز والنجاة، وهي المطلب الأسمى، وذلك عن طريق ما تؤديه تلك العلوم من فهم للخالق وإقرار بالنبوة، وإسعاف على فهم علم الشريعة جملة.

ثانياً : الإخفاق السياسي الذي منيت به الأندلس بعد الفتنة البربرية، وإخفاق ابن حزم نفسه في الاحتفاظ بالمجد الديني أو في العمل السياسي، وفي ما أصبح يعانيه من وضع اقتصادي، وكان البديل عن كل ذلك زهدية معتدلة توجه خطواته، وتحدد غايته على نحو واضح، وهي التوجه الكلي إلى الآخرة، والإكباب على الشريعة وتسخير جميع القوى والروافد في خدمتها.

ثالثاً : تأثره ببعض الزهاد فضلاً عن والده في استثمار وقته فيما يعود عليه بالنفع في اليخرة ، والبعد عن كل ما من شأنه يذهب بوقته دون استفاده ، ومن ثم لجأ إلى قضية عدم تفريع التاريخ ، وعدم السير وراء أحداثه واختصارها في رسائل بسيطة تقرّبها

للناس كي يستفيدوا منها الفائدة المرجوة ، ولذا فهو القائل : " واعلم أن من طلب علم الشريعة ليدرك به رياسة أو يكسب به مالا فقد هلك ، لأنه طلبه لغير ما أمره به خالقه أن يطلبه ، لأن خالقنا ، عز وجل ، إنما أمرنا أن نطلب ما شرع لنا لننجو به بعد الموت من العذاب والسخط ... (1) ، ومن ثم فقد فعلت في نفسه تلك الكلمة التي سمع محمد بن إسحاق الزاهد يقولها لأبيه : " احرص على أن لا تعمل شيئا إلا بنية فإنك تؤجر في جميع أعمالك ، فإنك ترى ذلك في ميزان حسناتك " (2) ؛ وقد لقنته الفتنة درسا عميقا وأملت عليه قبول التقلب في ارتفاع وهبوط ، دون تدمير أو شكوى ، وكانت تعرض له تلك الحكمة التي سمعها من أبيه ذات يوم :

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن ... على حالة إلا رضيت بدونها (3).

رابعا : أن ابن حزم أخذ يبحث في التاريخ عن النموذج الأعلى الذي يتمثله ويسير على دربه ، فوجده في الرسول ، ولهذا لخص طريقته في الحياة بكلمات عميقة الدلالة : يلبس الشعر إذا حضره ، ويلبس الوشي من الحبرات إذا حضره ، ومرة يأكل التمر دون خبز ، والخبز يابساً ، ومرة يأكل العناق المشوية ... يأخذ القوت ويترك الفضل ، ويترك ما لا يحتاج إليه ، ولا يتكلف فوق مقدار الحاجة إليه (4).

1 أنظر : رسالة التوقيف على شارع النجاة ، ص 55.

2 الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 41.

3 ابن بشكوال : الصلة ، ص 31.

4 أنظر : رسال ابن حزم ، 377/1.

المبحث الثاني

ابن حزم وفلسفة التاريخ

إذا كانت الفلسفة هي نتاج للتأمل العقلي في موضوعات ما، فإن فلسفة التاريخ أو تفسير التاريخ في العصر الحديث، صارت مصطلحا يشير إلى جانبين مختلفين من جوانب دراسة التاريخ:

أحدهما تلك الدراسة التي تتضمن في جملتها، الفحص النقدي الدقيق لمنهج المؤرخ، واختبار ما يدّعيه أصحاب المنهج التاريخي من معارف أو حقائق.

وثانيهما تفسير التاريخ، ومحاولة استخلاص بعض القوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ، ومحاولة التنبؤ العقلي بحدوث وقائع تاريخية مستقبلا. ⁽¹⁾. لذلك نجد الفقيه الظاهري ابن حزم، يعلن عن اعتماده على العقل، فالعقل عنده هو المعيار الدقيق للثبوت من صحة الروايات، حتى تقوم دراسة التاريخ على أسس موضوعية كافية. فابن حزم المؤرخ الواقعي الذي لم يعتدّ إلاّ بشهادة الحس والعقل، هو بعينه أيضا ابن حزم فيلسوف التاريخ الذي أراد أن يقيم دراسة الوقائع التاريخية على أسس موضوعية دون تجاوز لأوليات الحس والعقل، ومن ثم فقد جمع بين منهجي النقل والعقل في تأزر وتكامل، موقنا بأن هذا هو المنهج الصحيح للبحث. ⁽²⁾ أي أنه جمع بين المنهجين الضروريين وهما:

أولا: منهج التحقيق في السند وتقييم الرواة.

1 عبد الحليم عويس: تفسير التاريخ علم إسلامي، دار الوفاء، القاهرة، 1998م، ص. 15-17.

2 عبد الحليم عويس: تفسير التاريخ، ص 227، 231.

ثانيا : منهج النظر في النص - المتن - من حيث المحتوى.

ولأن التاريخ يستدعي كمًّا هائلا من المعلومات ووعيا واسعا، وإماما شاسعا بمجموعة من المعارف. وليس هذا فحسب؛ بل نقدها وتمحيصها وإعادة تحليلها وتركيبها، للاستفادة منها وجعلها فاعلة، فلهذا أخضع ابن حزم الخبر لميزان العقل، فلم يُسلم بكل ما ورد في الأخبار، بل قام بتمحيص الخبر التاريخي، لأن ذلك من مهام المؤرخ، وهذا ما نلاحظه جلياً من خلال عرضه لآراء الفرق والملل التي ناقشها في كتابه: "الفصل". حيث تجلت براعة ابن حزم المؤرخ، من حيث الدقة البالغة في تحليل النصوص، واختيار الرواية الصائبة بعد النظر والنقد والمقارنة، مع الإختصار والإستيعاب، مما يتيح للقارئ مواصلة القراءة بنوع من الإستمتاع والإنبساط، والإستزادة من المعارف التاريخية والأدبية والدينية وغيرها.⁽¹⁾

فالإختصار وشهادة الحس وتحكيم العقل من أسس فلسفة التاريخ عنده، وهذه العناصر هي التي سيؤكدها ابن خلدون بعده بثلاثة قرون ونصف على حد قول منظر كبير من المحدثين.⁽²⁾.

لقد كان ابن حزم يشعر شعورا واضحا، بأن الحاضر ثمرة الماضي، وأن المستقبل لن يكون إلا صدى للماضي والحاضر، وكل ذلك قد أتيح لابن حزم أن يقوم به. ولذلك فإنّ منهجه النقدي تميّز بالأحكام القاطعة، نتيجة اعتماده على المذهب الظاهري

1 عبدالحليم عويس : ابن حزم ، ص 214-235.

2 عمر فروخ : ابن حزم الكبير ، دار لبنان للنشر، بيروت، ط. 1، 1980م ، ص 118.

في توثيق سند الرواية ومُتْنها، وعلى أخذه بأسلوب التحليل المنطقي العقلي، مما حَقَّق له قدرا كبيرا من الثقة في نتائج دراساته.⁽¹⁾

على أن أهمية ابن حزم كمؤرخ، لا تنحصر فقط فيما خَلَّف لنا من مصنفات تاريخية، وإنما تتجلى بصفة خاصة في المنهج الذي اصطنعه لدراسة أحداث التاريخ وفلسفته لها، وحُكمه على وقائع عصره.⁽²⁾ ولهذا جاء التاريخ محققا لكثير من تنبؤاته، إذ دبَّ الفساد في أوصال دويلات الطوائف، وما لبثت أن انهارت تحت سيف ملك قشتالة، وهو أيضا مصير كل أمة يدبَّ فيها سوس الفساد.

وبذلك يثبت ابن حزم أنه المؤرخ اللبيب، والمحقق المتثبت، الذي يستند في تنبؤاته وتفسيراته التاريخية إلى فهم صحيح لفلسفة التاريخ.

الجدير بالذكر أن ابن حزم لم يكن مؤرخا يكتفي بجمع الحوادث وتدوينها ليستعرض بها مقدراته التاريخية، بل يمكن عدُّه من فلاسفة التاريخ أيضا. لأنه يعتبر أهمَّ من ظهرت لديه تفسيرات تاريخية واضحة في هذه الحقبة، وهو يذهب شأنه شأن سائر المؤرخين المسلمين المتقدمين إلى أن للتاريخ فائدة، أو غاية يمكن أن تستخلص جوانبها من وراء الدراسة المتأنية للأحداث والوقائع.⁽³⁾ ومن ثم يمكن الحكم عليه بكونه مؤرخا عظيما، كما كان فيلسوفا عظيما، وإماما من أعظم أئمة التفكير

1 حامد طاهر: منهج البحث بين التنظير والتطبيق، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 2007م، ص111.

2 زكريا إبراهيم: ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص221.

3 عبد الحليم عويس: تفسير التاريخ علم إسلامي، ص108.

الإسلامي.⁽¹⁾ وقد ترك لنا مدرسة تاريخية على رأسها تلميذاه : أبو عبد الله الأزدي الحميدي (ت.488هـ) صاحب: "جذوة المقتبس" وأبو القاسم صاعد (ت.463هـ) صاحب: "طبقات الأمم" وكلاهما يعتبر امتداداً لفكر ابن حزم، وتأثراً به.

ومن أبرز الذين تأثروا به أيضاً ابن خلدون (ت.808هـ) الذي كان يصف ابن حزم بإمام المؤرخين، وقد أخذ عنه طريقته في نقد الرواية التاريخية؛ بل والغريب في الأمر أن الأمثلة التي اعتمدها ابن خلدون ليُبين بها ما يعرض للمؤرخين من الأوهام والأغلاط، أخذها عن ابن حزم، كما اقتبس منه أيضاً، سبُل نقد وإزالة هذه الأوهام وتفنيدها.⁽²⁾ وليس إهمال هذا الأخير، وعدم اعترافه بفضل ابن حزم، إلا لأنه كان يميل إلى البربر وينقم على العرب، كما كان مالِكياً وأشعريّاً متعصباً، في حين كان ابن حزم يميل للعرب، وظاهرياً متشدداً يمقت المالكية والأشعرية؛ ثم لأن ذلك نهج سار عليه كثير من المؤرخين.

ورغم أن نقد ابن حزم التاريخي وفلسفته التاريخية لم يهتم بها إلا في القرن الثامن الهجري على يد ابن خلدون كما سنين بعد قليل . فقد كانت آراؤه ذات تأثير كبير على مؤرخي الأندلس الذين اعتمدوا على ترجيحاته ، وأحكامه القاطعة ، ورواياته التاريخية الموثوق فيها ، مثل (ابن حيان في كتابيه المقتبس والمتين ، والحميدى في كتابه جذوة المقتبس ، وابن بشكوال في كتابه الصلة ، والضبى في كتابه بغية الملتبس ، وابن

1 عنان: ابن حزم الفيلسوف الأندلسي الذي أرّخ لمجتمع الطوائف ، مقال بمجلة العربي الكويتية ، العدد:20، 1988م ، ص 81-85.

2 عبد الحليم عويس : التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون ، طبع وزارة الأوقاف ، الدوحة ، قطر ، ط1، 1996م ، ص 84.

الأبار في كتابه الحلة السراء ، وابن سعيد في كتابه المغرب ، وابن بسام في الذخيرة ، وابن الخطيب في أعمال الأعلام) . (1)

وقد ذهب المؤرخ المعاصر: محمد عنان إلى القول: لم تكن صفة المؤرخ لدى أبي محمد - ابن حزم - صفة عارضة إجمعت إلى جانب صفاته الأساسية الأخرى، وهي أنه فيلسوف من أعظم فلاسفة الشرق والغرب، ولكننا نستطيع القول: إن صفة المؤرخ هي أيضا من صفات ابن حزم الأساسية... ويمكن أن يُصنَّفَ بكتابه: "جمهرة أنساب العرب" وحده، في عداد أكابر المؤرخين. (2) .

1 عبد الباقي السيد : ابن حزم الظاهري ، ص 260.

2 محمد عبد الله عنان: ابن حزم ، ص 80.

المبحث الثالث منهج ابن حزم وأسلوبه في الكتابة التاريخية :

يقوم المنهج التاريخي على قاعدتين أساسيتين: هما النقد الخارجي ، والنقد الداخلي للنصوص، حيث يستنطق الباحث الوثيقة التاريخية، للتأكد من صدقها ولإثبات صحتها من فسادها، ولتبيين مصادرها والطرق التي حُفظت بها، وكيفية روايتها ووصولها إلى المؤرخ. ولضبط صحة الرواية ومضمون النصوص، وخلوها من التناقض ونحو ذلك .

ورغم أن مصطلح المنهج، بمعناه العلمي لم يظهر إلا حديثا، لكن دَلالات وإشارات منهجية عديدة تؤكد وجوده في كتابات ابن حزم وتراثه ، ولذا يمكننا اعتبار ابن حزم من رواد هذا الفكر في تاريخ الإنسانية. بل إنه " رائد هذا النوع من البحوث في الفكر الإنساني كله " على حدّ تعبير مؤرّخ الأديان الفرنسي "لابولييه" (1).

ولعل أوضح وأبرز مثال على ذلك، هو نقد ابن حزم لتوراة اليهود، وتطبيقه لمنهج النقد التاريخي على نصوصها ، وهو في هذا المنهج الذي اتبعه، لا يختلف كثيرا عن منهج النقد التاريخي الحديث، وإن لم يكن قد استخدم نفس المصطلحات الحديثة؛ لكنه في الواقع كان واعيا تمام الوعي بخطوات المنهج، وطريقة تطبيقها على المادة التاريخية التي كانت بين يديه. خاصة وأنه يُعدّ من حفاظ الحديث، بل ومن رواد الجرح والتعديل، لأسببها وأنه كان من المتشدّدين في نقد الرجال، حيث أنه أدخل قانون الجرح والتعديل، وطبقه في دراساته على الأخبار والنصوص، والفرق والمِلل والنحل التي تعرّض لدراستها. (2) .

1 أنظر : الدراسات المقارنة للأديان ، 1/108 .

2 حامد طاهر: منهج البحث ، ص 91، 92.

وكما كان النقد منهجا لعلماء الحديث. فإنه طُبِّقَ أيضا عند المؤرخين المسلمين وكان يطلق على هذا الاتجاه : "مدرسة النقد التاريخي" حيث كان المؤرخون يتزعمونها. (1) فلا غرو إذاً أن يستخدم ابن حزم هذا المنهج، موظفاً له في نقد الخبر المرتبط بالمجتمعات غير الإسلامية، مخصّصاً لذلك فصولاً عديدة من كتابه الموسوعي: "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لنقد الأخبار والروايات التاريخية. وبهذا المنهج إنبرى ابن حزم لنقد اليهود والنصارى، الذين أسسوا تاريخاً أسطورياً، مليئاً بالتزوير والتحريف، للكشف عن حقيقته وبيان تهافته، وكذا انتقد الصابئة والبراهمة والمجوس وغيرهم. (2).

ومن ثم أتيح له أن يجمع بين نقد أئمة الحديث في توثيق الأخبار، وبين نظرة أهل الفلسفة والمنطق في استخدام العقل، لقبول أو رفض هذه الروايات أو تلك، يضاف إلى ذلك ما كان يمتلكه من وقائع وأخبار تاريخية.

لقد أفاد ابن حزم من رافدين ثقافيين، هما: طريقة أهل الحديث ومنهجية التفكير الفلسفي، حيث تعتمد طريقة أهل الحديث على نقد السند والمتن، مما كان له أثره الواضح على أحكامه التاريخية، ومن نافلة القول التأكيد هنا على أهمية الخبر بالنسبة للمذهب الظاهري (3).

لقد كان التاريخ بالنسبة له متنفساً لتسجيل الوقائع والأوضاع الاجتماعية والسياسية المزرية التي مرّت الأندلس بها في محاولة لإعادة الأندلس إلى سابق عهدها ومن ذلك قوله لما سئل عن حالة الأندلس في عهد ملوك الطوائف فراح يصف ذلك

1 أكرم العمري: بحوث في السنة المشرفة، ص 53.

2 أنظر: الفصل، 117/1-361.

3 أنظر: إحسان عباس: مقدمة الجزء الثاني من رسائل ابن حزم، 13/2-15.

بافتنة ويفصل أفعالهم الخسيسة التي أهلك الحرث والنسل وأفسدت الأندلس لأجل مصالحهم ومنافعهم مبينا فسادهم ، ودور العلماء في تزيين الفساد لهم بقوله : " وأما ما سألتكم عنه من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض، فهذا أمر امتحنا به، نسأل الله السلامة، وهي فتنة سوء أهلك الأديان إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب. وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، ولها عن آخرها، محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد؛ للذي ترونه عياناً من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم فيها استددام نفاذ أمرهم ونهيمهم. فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق والمتسبون إلى الفقه اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم.... (1) .

فابن حزم هنا يصور الأندلس وحكامها صورة مأسوية ، وكذا الفقهاء ، وهو في كل هذا مدرك تماماً أنه يجمع في تصويره بين المؤرخ والفقهاء الذي يصدر الحكم بطريقة رادعة لعلها تفيق أهل الغفلة من غفلتهم ، فيتركون ما هم عليه من الفساد والإفساد سواء الأمراء أو الفقهاء .

ومع أنه قد يبدو للبعض أن ابن حزم ظاهريٌ نصِّي حُرْفِيٌّ، لكن المتوغل في ثنايا مؤلفاته، يذهل لما يرى من دعوته للعقل؛ بل إلى وجوب الإعتماد عليه لولا العقل ما عرفنا الغائب عن الحواس، ولا عرفنا الله عز وجل، ومن كذب عقله فقد كذب الذي

لولاه لم يعرف ربّه. (1) كما استعان أبو محمد بمجموعة من المعارف أو ما يطلق عليه في مناهج البحث الحديثة بالعلوم المساعدة، وهي التي تساعد الباحث على بلورة الموضوع الذي يتناوله من أجل الوصول إلى النتيجة المطلوبة. فالمنهج الذي أمده به علم الحديث منهج يتحرى الدقة، فتلبّست به روح المنهج الحديثي ووجهت فكره التاريخي، يضاف إلى ذلك اشتغاله بالعلوم العقلية: الفلسفة والمنطق، مما مكّنه من أن يتكوّن لديه ذلك الخيال الذي يسمّونه: "صابون التاريخ"، والذي يضيفي على العمل التاريخي وزنه وأهميته، ويتيح للمؤرخ النظر إلى الحادثة من زوايا مختلفة؛ بل ويجعله ذلك أقدر على القياس والمقايسة، والإقتباس والمقابلة. ويعتبر قياس الماضي على الحاضر في مجال التاريخ بصفة خاصة، إنجازاً هاماً لدى ابن حزم، وهناك احتمال كبير في أن ابن خلدون أفاد من ابن حزم في هذه الفكرة. (2) لأنه من المعروف لدى المؤرخين أن ابن خلدون دوّن نظرياً منهج البحث التاريخي، لكنه مع ذلك لم يطبّقه واقعياً، ولم يرتفع به إلى مستوى النظرية التي وضعها ودعا لاتباعها عند دراسة الوقائع التاريخية، إلا أنّ مؤرخاً واحداً فقط، وعلى امتداد القرون الثمانية الأولى من تاريخ الإسلام، هو الذي اعتمد منهج النقد التاريخي في كتاباته أكثر من ابن خلدون، هذا المؤرخ الوحيد هو ابن حزم. حيث كانت كتاباته في التاريخ مائة رائعة، وذات جودة عالية، توفّرت فيها مقوّمات التأليف في التاريخ، وأهمها: القدرة على نقد الروايات التاريخية سنداً ومتناً. (3).

وقد انتظم منهج النقد هذا، وظهر جلياً من خلال ردّه للكثير من الروايات المزيّفة والأساطير، ومزاعم الملل والنحل الأخرى، بل وحتى الفرق الكلامية، فكانت طريقة أهل الجرح والتعديل، إضافة إلى الفلسفة والمنطق والإحصاء والاقتصاد وغيرها من

1 ابن حزم: التقريب لحد المنطق، رسائل ابن حزم، 4/314.

2 أنظر: حامد طاهر: منهج البحث، ص111.

3 أنظر: عبدالحليم عويس: ابن حزم وجهوده، ص165.

العلوم، أبرز أدواته التي دكَّ بها مزاعم خصومه، وهو ما لم يستطع ابن خلدون ذاته أن يلتزم به، وعلى الرغم من وضعه لنظرية النقد التاريخية، إلا أنه لم يستطع استحضارها في تاريخه. (1) يضاف إلى ذلك، ما تميزت به كتابات أبي محمد التاريخية، من الدقة والتحري وضبط الوقائع وإحصائها، إلى جانب براعته في فهم الأحداث وتمحيصها ونقدها، موظفاً منهج الجرح والتعديل الذي أضفاه على التاريخ، فكان يصوب ما يراه خطأً في الروايات التاريخية، مُبيناً زيفها وكاشفاً اللبس عنها. لأجل ذلك كان نموذجاً للتوثيق، احتذى به العديد من المؤرخين، أبرزهم ابن خلدون الذي أشاد به قائلاً: "وقد أبطله إمامُ النَّسَّابِينَ والعلماء ابن حزم." (2) إذ أنَّ الخبر عند ابن حزم، إما أن يكون صادقاً وإما أن يكون كاذباً، وكل ما نُقِلَ لابدَّ له من مقياس، يُتَبَيَّن به الخبر الصادق من الكاذب. "فلم يبق إلا أن من الخبر حقاً وباطلاً، فإذا كان كذلك، بطل أن يعلم صحة الخبر بنفسه، إذ لا فرق بين صورة الحق منه وصورة الباطل، فلا بدَّ من دليل يفرق بينهما، وليس ذلك إلا لحجة العقل المفرقة بين الحق والباطل." (3).

فهذا النص يفيد أن المقدمات الإخبارية التي تتسق مع الأوائل تنتج موجبة صادقة، وما ينتج عن القضايا المتصلة بالمشاهدات والتجارب صادق كذلك، والخبر الذي يورده صادقٌ قامَ بِصدقه برهان، صحيحٌ ضرورةً، والخبر الذي يورده مجتمعون تواتراً، هو صحيح أيضاً.

1 أنظر: إحسان عباس: مقدمة الجزء الثاني من رسائل ابن حزم، 12/2.

2 ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، 79/6.

3 ابن حزم: الإحكام، 16/1.

ومن هنا نرى أن صدق الخبر لا يتوقف على صدق مضمونه أو متنه فحسب، بل وأيضا على صدق الذي جاء بموجبه ما نتحقق من صدق دعواه.⁽¹⁾

ومن ثم فإنّ الحوادث التاريخية لا سبيل إلى إنكارها ، وإنما يركز قبولها على نقل الكافة، وبذلك يكون ابن حزم قد اعتمد على منهج نقديّ للتاريخ، اختطه بناءً على مقارنات واسعة، وإحصاءات مستفيضة، وأدلة عقلية . والمعرفة التاريخية عنده تأتينا عن طريق الخبر الشفوي أو الكتابي، ويُتأكد من صحتها تجريبيا وعقليا، أي الثبّت من صدقها يكون بالإعتماد على أوائل الحس وبدييات العقل ، ويؤكد ذلك بقوله : " تدخل صحة المعرفة بما صحّحه النقل عند المخبر تحقيق ضرورة، كعلمنا أن الفيل موجود ولم نره، وأن مصر ومكة في الدنيا، وأنه كان عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام... وكوقعة صفين والجمل... وكالأخبار تتظاهر عندنا كل يوم، مما لا يجد المرء للشك فيه مساعا عنده أصلا... (2)

فما أشار إليه ابن حزم هنا من الحديث عن المسائل الإخبارية المنقولة بطريق التواتر، هي أمور يُصدّق بها، لأنه لا يصحّ في مثلها المواطأة على الكذب، كضرورة تصديقنا بوجود أمصار و بلدان وإن لم نشاهدها، وكعلمنا بوجود أنبياء وفلاسفة على الرغم من عدم رؤيتنا لهم. فبالضرورة يعلم أنها حق متيقن مقطوع به ، ولهذا لم تصمد كثير من أخبار الأمم الأخرى أمام انتقاداته، حيث خلّص إلى أن التاريخ الإسلامي هو أصحّ التواريخ، وأما تواريخ الأمم الأخرى فإنّ تاريخها لا يرقى إلى صدق وصحة التاريخ الإسلامي ، ويعبر عن ذلك قائلا : " فأصحّ التواريخ عندنا تاريخ الملة الإسلامية... فالطالب للأخبار ينبغي له ألاّ يشتغل إلا بها أعلمناه بصحته - ولا ينبغي

1 أنور خالد الزعبي: ظاهرية ابن حزم الأندلسي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1996م ، ص. 106.

2 أنظر : التقريب لحد المنطق ، رسائل ابن حزم ، 286/4.

له قطع وقته بما لا يجدي عليه نفعا- لا بما أخبرناه بطلانه فقد كفيناه التعب في ذلك" (1).

وهكذا فالمنهج التاريخي عند ابن حزم يقوم على ضرورة فهم الخبر التاريخي ونقده لتخليصه من الشوائب والأوهام، متبعا معايير عقلانية لقبول الخبر الصحيح الصادق وهي:

أولا : أن يكون معلوما صحته بأوائل العقل والحس .

ثانيا : أن يعتمد على برهان يؤكد صحته .

ثالثا : أن ينقله صادق، قد قام على صدقه برهان، فهو صحيح ضرورة .

رابعا : أن ينقله بالتواتر صادقون مجتمعون. (2)

وقد استعان ابن حزم في سبيل تحقيق ذلك بالجمع بين المنطق والإحصاء والمقارنة والتواتر والعقلانية ، للتثبت من صحة وصدق الأخبار التاريخية؛ و لذلك أكد محققا جوامع السيرة لابن حزم على أن ابن حزم امتلك كل مقومات وصفات المؤرخ المنصف النزيه. (3) .

ومما يلفت النظر هنا اعتماد ابن حزم على الإحصاء، ويكاد هذا القانون الإحصائي أن ينتظم العدد الجم من رسائله التاريخية، حتى أكثر فصول السيرة بنيت على أساس

1 أنظر : رسالة مراتب العلوم ، رسائل ابن حزم ، 4/79، 80.

2 ابن حزم : التقريب لحد المنطق ، رسائل ابن حزم ، 4/138.

3 أنظر : مقدمة جوامع السيرة ، ص 12.

من هذا المنهج، وكذلك رسائل أخرى من مثل رسالته في القراءات وأسماء الصحابة الرواة وأصحاب الفتيا من الصحابة .

بل إن هذا المنهج الإحصائي نجده واضحاً أيضاً مع ابن حزم وهو يتعقب شبهات ابن النغيلة اليهودي الذي زعم أن بالقرآن تناقضات حيث اعترض ابن النغيلة على قوله تعالى: "أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها" (النازعات، 27، 32) وظن أنها تتعارض مع قول تعالى: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم" (البقرة: 29). والظاهر كما ذهب ابن حزم أن دلالات الآيتين متكاملتان، ويمكن إدراك هذا التكامل بالاكْتفاء بظاهر معنييهما دون جنوح إلى التأويل، ذلك أنه لما أخبر بأنه بنى السماء ورفع سمكها وأحكم الدور الذي به يظهر الليل والنهار، وأنه بعد ذلك أخرج ماء الأرض ومرعاها وأرسي الجبال فيها، وجعل من السماء سبع سموات مفرقا بينها في طوائف سبع، وفيه التي فيها مدار الكواكب المتحيرة والقمر والشمس⁽¹⁾ وفي السياق ذاته يورد ابن النغيلة قوله تعالى: "قل أأنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين" (فصلت: 10) إلى منتهى قوله تعالى: ".. وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين"، فيكون تمام ذلك ستة أيام، ثم يذكر قوله: "ثم استوى إلى السماء وهي دخان" (فصلت: 11) إلى قوله: "فقضاهن سبع سموات في يومين" (فصلت: 12)، كما يذكر قوله في هذا السياق: "ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام"، (ق: 38).

والإشكال المطروح -هنا- هو الاختلاف العددي في خلق السموات والأرض، لكن سرعان ما يتبدد هذا الوهم، إذا علم أن الله فسر عملية الخلق، فيومان للأرض وأربعة لتقدير القوت فيها، ويومان للسموات، بعد أن فرغ من خلق الأرض، أي

1 أنظر: ابن حزم: رسالة في الرد على ابن النغيلة اليهودي، ص 15، 52.

ضمن الأيام الأربعة الأخرى، التي قدر فيها الرزق، ويبدو أن ابن النغيلة قد أخلط بين دلالة "الخلق"، ودلالة "التقدير"، فظن أنهما شيء واحد، والحقيقة أنهما مختلفان (1).

ويمكننا أن نلخص منهج ابن حزم بخصوص الرواة ومتى نقبل منهم ومتى نرفض رواياتهم على النحو التالي :

أولاً : قوله في الراوي الثقة " ومما غلط فيه بعض أصحاب الحديث أنه قال فلان يحتمل في الرقائق ولا يحتمل في الأحكام وهذا باطل لأنه تقسيم فاسد لا برهان عليه بل البرهان يبطله وذلك أنه لا يخلو كل أحد في الأرض من أن يكون فاسقاً أو غير فاسق فإن كان غير فاسق كان عدلاً ولا سبيل إلى مرتبة ثالثة فالعدل ينقسم إلى قسمين فقيه وغير فقيه فالفقيه العدل مقبول في كل شيء والفاسق لا يحتمل في شيء والعدل غير الحافظ لا تقبل نذارته خاصة في شيء من الأشياء لأن شرط القبول الذي نص الله تعالى عليه ليس موجوداً فيه ومن كان عدلاً في بعض نقله فهو عدل في سائرته ومن المحال أن يجوز قبول بعض خبره ولا يجوز قبول سائرته إلا بنص من الله تعالى أو إجماع في التفريق بين ذلك وإلا فهو تحكم بلا برهان وقول بلا علم وذلك لا يحل وأيضاً فقد يعلم الأقل عدالة ما لا يعلمه من هو أتم منه عدالة وقد جهل أبو بكر وعمر ميراث الجدة وعلمه المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة وبينهما وبين أبي بكر وعمر بون بعيد إلا أنهم كلهم عدول.. " (2).

ثانياً : رأيه في الراوي الضعيف : فهو يرى أن الراوي إما أن يكون ثقة أو ضعيفاً وإذا كان ضعيفاً فإن حديثه كله ضعيف لا يمكن أن يتقوى! ، ويقول ابن حزم عن ذلك : " وكذلك نقطع ونبت بأن كل خبر لم يأت قط إلا مرسلًا ، أولم يروه قط إلا

1 نفسه ، ص 53.

2 أنظر : الإحكام ، 1/ 133.

مجهول ، أو مجرح ثابت الجرحه ، فإنه خبر باطل بلا شك ! موضوع لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم!! " (1).

ثالثاً : كلامه على الرواة جرحاً وتعديلاً : يلاحظ على أحكام ابن حزم على الرواة ما يلي:

1- وقوع بعض الوهم منه في تمييز الرواة.

ومن أمثلة ذلك : ما ذكره الذهبي حيث قال : "عكرمة بن خالد بن سعيد بن العاصي المخزومي فمكي معروف ، ثقة من مشيخة ابن جريج. أخطأ ابن حزم في تضعيفه ، وذلك لأن أبا محمد فيما حكاه ابن القطان كان وقع إليه كتاب الساجي في الرجال فاخصره ورتبه على الحروف ، فزلق في هذا الرجل بالذي قبله ولم يتفطن لذلك" (2).

2- تشدده في باب جرح الرواة.

فقد انفرد ابن حزم بتضعيف بعض من الرواة ، ولأجل تشدده في بعض مسائل الجرح والتعديل أيضاً ، فمن ذلك : أنه يرى أن الجرح مقدم على التعديل مطلقاً ، مع اشتراطه تفسير الجرح (3) ، . ويرى أن التدليس جرح في الراوي وفسق موجب لاطراح حديثه كله ، وأن الراوي إذا قبل التلقين ولو مرة واحدة سقط حديثه كله (4) .

ومن أحكامه على العهود والدول قوله الجامع في وصف الدولتين الأموية والعباسية: " وانقطعت دولة بني أمية، وكانت دولة عربية لم يتخذوا قاعدة، إنما كان سكنى كل امرئ منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل الخلافة، ولا أكثروا احتجاج الأموال ولا بناء القصور، ولا استعملوا مع المسلمين أن يخاطبوهم بالتمويل ولا

1 نفسه ، 127/1.

2 الذهبي : الميزان ، 113/5.

3 ابن حزم : الإحكام ، 135/1.

4 ابن حزم : الإحكام ، 132/1.

التسويد ويكاتبهم بالعبودية والملك، ولا تقبيل الأرض ولا رجل ولا يد، وإنما كان غرضهم الطاعة الصحيحة من التولية.... فلم يملك أحد من ملوك الدنيا ما ملكوه من الأرض، إلى أن تغلب عليهم بنو العباس بالمشرق، وانقطع بهم ملكهم، فسار منهم عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، وملكها هو وبنوه، وقامت به دولة بني أمية نحو الثلاثمائة سنة، فلم يك في دول الإسلام أنبل منها، ولا أكثر نصرا على أهل الشرك، ولا أجمع لخلال الخير، وبهدمها انهدمت الأندلس إلى الآن، وذهب بهاء الدنيا بذهابها. وانتقل الأمر بالمشرق إلى بني العباس ... وكانت دولتهم أعجمية، سقطت فيها دواوين العرب، وغلب عجم خراسان على الأمر، وعاد الأمر ملكا عضوضا محققا كسرويا.... " (1).

وفي مثل هذا الحكم على الدول يتضح " الجانب التركيبي " في نظرات ابن حزم، بحيث يستطيع المرء أن يحل هذه المركبات في بحوث مفردة، وتبدو في ذلك مهارة ابن حزم في انتقاء السمات المميزة، مثلما يبدو جانب هام آخر من حس المؤرخ لديه، وذلك أنه لا ينظر إلى منجزات الدولة الواحدة نظرته إلى بعض الأفراد من ذوي المسؤولية فيها، وإنما يرى هذه المنجزات من منظار المميزات الكبرى، وتلك تتجلى في ما أصاب الجماعة من خير، فقد يعيب هو الوليد بن عبد الملك ويصفه بالطغيان (2) أو يعيب مروان بن الحكم ويتهمة بأنه شق عصا الجماعة ويقول فيه: " مروان ما نعلم له جراحة قبل خروجه على أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما " (3) ولكنه يبرز الخصائص الإيجابية التي تتميز بها الدولة الأموية بكلمات دقيقة دالة، ولا يضع سيئات الأفراد على كاهل الدولة كلها.

1 ابن عذارى : البيان المغرب 2/ 39 ، 40.

2 ابن حزم : نقط العروس، فقرة 22، ص: 71.

3 أنظر : المحلى 1/ 236.

ومع ذلك نجد ابن حيان يقول فيه : " وكان مما يزيد في شنآنه تشييعه لأمرء بني أمية ماضيهم وباقيهم بالمشرق والأندلس، واعتقاده لصحة إمامتهم، وانحرافه عمن سواهم من قريش حتى نسب إلى النصب لغيرهم " (1) .

وهذه المقالة تستحق وقفة متأنيا في النقاط التالية :

أولا : أول ما يجب أن نقف عنده لفظة " تشييعه " ، فهذه اللفظة تدل على الموالاتة والمحبة والتقدير، دون أن يدخل فيها معنى العصبية التي قد تؤسس أحيانا على غير حق وتصبح تعصبا؛ وهذا " التشيع " يتفق وما قلناه عن تقديره لدور الدولة جملة، ولكنه لا يعني إغماض الطرف عن سيئاتها وعن سيئات القائمين على أمورها؛ ويكفي المرء أن يجمع أحكام ابن حزم في أفراد بأعيانهم من أمويي المشرق والمغرب ليدرك أنه كان أبعد من أن يوصف بالتعصب، ولكنه كان يرى للدولة الأموية في الأندلس دورها الكبير ويقارن بين ما كانت عليه الأمور في عهدها وما صارت إليه في عهد ملوك الطوائف، فلا يستطيع منطق وحدة الجماعة عنده أن يقبل ذلك التفكك والتناحر، ولا يستطيع منطق السيادة كما كانت تمثلها الدولة الأموية أن يتقبل منطق العبودية الذي كانت تمارسه دول الطوائف. وليس بمستغرب بعد هذا أن يعترف بصحة إمامة الأمويين في المشرق والمغرب.

ثانيا : وأما انحرافه عمن سواهم من قريش فإنه كلام غير دقيق، وحسبك أنه يؤمن بخلافة ابن الزبير ولا يؤمن بخلافة مروان، وأنه لا ينكر دور بني العباس في الخلافة وما كان لهم من مآثر. ولم يكن في الأندلس من القرشيين - عدا الأمويين - إلا بنو حمود، وهؤلاء لديه كسائر ملوك الطوائف من غير قريش.

ثالثا : وهذا الحب للأمويين لم يكن سرا خافيا بل لعله اتصل بالواقع العملي، ولكن المتصدين وجدوا طريقهم للإيقاع بابن حزم عن طريق ذلك الحب، يقول هو في هذا الصدد: " وفي أثر ذلك (أي بيعة علي بن حمود) نكبني خيران صاحب المرية، إذ نقل إليه من لم يتق الله عز وجل من الباغين - وقد انتقم الله منهم - عني وعن محمد بن إسحاق صاحبي أنا نسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقلنا عند نفسه أشهراً ثم أخرجنا على جهة التغريب فصرنا إلى حصن القصر " (1) .

رابعا : لقد كان ابن حزم صادقا في قوله وهو ينفي عن نفسه السعي في القيام بدعوة الأموية، ولكن الباغين كانوا يعرفون فيه حبه للدولة الأموية ويكيدون له من ذلك المدخل، ويلصقون به تهمة يسهل تصديقها. وقد كان هو - وإن لم يسع بنفسه لعودة الأموية - يحب عودتها، ويمني النفس بذلك عند ظهور المرتضى (407 هـ)، فقد غادر المرية إلى بلنسية عند ظهور المرتضى بها (2)، وأكبر الظن أنه فعل ذلك لأنه كان يؤمل عودة الخلافة، فلما عادت على وجه اليقين بمبايعة المعتد بالله أصبح ابن حزم أحد وزرائه.

الجدير بالذكر أن ابن حزم لم يكن يمثل خروجاً على جمهرة المشاعر الأندلسية في نزعه الأموية، ولكنه كان أحد ألسنتها المعبرة عن "الأكثرية الصامتة"، وقد صور ابن حزم ذلك في صرخة أطلقها حين قال: " وإن حنيني إلى كل عهد تقدم ليغصني بالطعام ويشرقني بالماء وإني لقتيل الهموم في عداد الأحياء ودفن الأسى بين أهل الدنيا " (3).

1 ابن حزم : طوق الحمامة ، رسائل ابن حزم ، 1 / 261.

2 نفسه ، 1 / 262.

3 نفسه ، 1 / 125.

و حين احتجبت الخلافة الأموية ولم يبق منها إلا الحنين الواله إلى عهودها شحذت إلى درجة الإرهاف مشاعر الحب للأندلس؛ وهو حب يتجلى لدى ابن حزم في إبرازه للفكر الأندلسي ودفاعه عن مآثر بلده، ويتجلى بقوة في رسالته في فضل الأندلس والتي تنم كل عبارة من عباراتها على تعظيمه وحبها لها ومن ذلك قوله: " ونحن إذا ذكرنا أبا الأجر جعونة بن الصمة الكلابي في الشعر لم نباه به إلا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما، ولو أنصف لاستشهد بشعره، فهو جار على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين " (1) ومثل قوله: " ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج القسطلي لما تأخر عن شأو بشار بن برد وحبيب والمنتبي (2) " .

فهذه الأحكام وأمثالها يجب ألا تحملنا على نسبة العصبية لابن حزم، فإنما هي أحكام نقدية تقود على التذوق ويتفاوت فيها الناس؛ وإذا تجاوزنا الأحكام النقدية وجدنا ابن حزم يتحدث عن مآثر بلده دون تزييد، ودون لجوء إلى التعميم، ومن ذلك قوله: " وأما العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ ولا تحققنا به، فلسنا نثق بأنفسنا في تمييز المحسن من المقصر في المؤلفين فيه من أهل بلدنا " (3) أو حين يقول: " وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه... " (4) .

وأما عن أسلوب ابن حزم في تدوين التاريخ . فكان يقوم غالبا على الإيجاز والتلخيص، مع العناية بالتعداد والإحصاء، وكان يحسن التبويب والتصنيف عند تجميعه للوقائع والأحداث. ولذلك فقد أزال عن التاريخ، ذلك الجفاء والتطويل المملّ

1 أنظر: رسالة في فضل الأندلس، 187/2.

2 نفس المصدر والمكان والصفحة .

3 أنظر: رسالة في فضل الأندلس، 185/2.

4 نفسه، 186/2.

الذي نجده عادة في كتب كثير من المؤرخين، فجاءت مصنفاته التاريخية حسنة العرض، طريقة الأسلوب، حافلة بالنوادر والنظائر والمقارنات التاريخية المدهشة⁽¹⁾.

الجدير بالذكر أن منظور ابن حزم للتاريخ لم يمت بموته بل تأصلت نظرتة في مدرسته التاريخية من تلاميذه، ومن تلاهم فيعد صاعد الأندلسي (ت 426 هـ) من أشهر مؤرخي المدرسة الحزمية، ومن أكثر مريدي ابن حزم تبنيًا لمشروعه، والتعبير عنه، بنفس الدرجة من الحماس والإخلاص، وإن ترك المذهب الظاهري إلى غيره وتكر لشيوخه بعض الشيء لما طعن في معرفته بمنطق أرسطو (2).

يعد كتاب "طبقات الأمم" نتاج ثقافة عريضة في الفلسفة والمنطق، والفلك والرياضيات، والطب، فضلا عن الجغرافيا التاريخية، وسائر مقومات الحضارة. لقد تأثر صاعد بأستاذه ابن حزم من حيث المنهج والمقصد؛ إذ نراه يتخذ من دراسة التاريخ درعا للمقاومة والنضال؛ رابطا بين تراث الغابرين ومعطيات الواقع الأندلسي. كذا اهتمامه بإبراز فضائل العنصر العربي باعتباره القوة الموكلة باستعادة وحدة الأندلس (3).

ويعد محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) أنموذجا فذا لتلامذة ابن حزم في حقل التاريخ، إذ إنه تأثر بمنظور ابن حزم للتاريخ تأثرا واضحا، فوظف العلوم النقلية والعقلية التي حصلها في خدمة التاريخ كما فعل شيخه، وهو ما يتضح من خلال كتابه الماتع: "جذوة المقتبس" الذي ينم عن اتباع منهج أستاذه ابن حزم، فلم يهتم بالإسناد، كما عالج الأحداث والوقائع إستنادا إلى تحقيق الروايات. والنظر إلى التاريخ، باعتباره نتاج فعاليات بشرية. والكتاب خلو من الخوارق والأساطير

1 زكريا إبراهيم: ابن حزم، ص 227.

2 صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص 98.

3 أنظر: طبقات الأمم، ص 6

والخرافات، كما يحفل بإطلاق الأحكام عن طريق الاستقراء. هذا فضلا عن تنديد صاحبه بمن ندد بالرأي⁽¹⁾.

كذلك كان الحميدى كشيخه ابن حزم ملتزما الموضوعية والصدق؛ فبرغم التعويل على إحياء الخلافة الأموية في المشروع الحزمي؛ لم يتورع الحميدى عن انتقاد بعض أمراء الأندلس الأمويين من أمثال الحكم بن هشام الذي كان في نظر الحميدى طاغيا مسرفا، له آثار قبيحة. وهو الذي أوقع بالربض الواقعة المشهورة⁽²⁾، وينم هذا الحكم عن انحياز للمستضعفين؛ لا لشيء إلا لأن المشروع الحزمي - في التحليل الأخير - استهدف إصلاح الراعي والرعية في آن.

بل إن أثر ابن حزم في منظوره للتاريخ لم يقف عند حد تلاميذه، في القرن الخامس الهجرى بل امتد إلى أيام الموحدين حيث نجد ابن دحية الكلبي يتأثر بما قام به ابن حزم بشأن مسألة المفاضلة بين الصحابة كقضية تاريخية اثار الكثير من اللغط فيصنف كتابا فاضل فيه بين الصحابة المشاركين في معركة صفين أسماه "الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين"⁽³⁾ وهذا أوضح دليل على أثر ابن حزم ونجاحه في التمكين لوجهة نظره الكامنة في ضرورة معرفة أفضل الصحابة ثم الذين يلونهم ليزداد المؤمن اتباعا وإحسانا للأفضل منهم.

تناول ابن حزم التاريخ باعتباره علماً من العلوم، وأطلق عليه علم الأخبار⁽⁴⁾، وجعله قسماً من الأقسام السبعة التى تنقسم إليها العلوم عند كل أمة، وفي كل زمان

1 الحميدى: جذوة المقتيس في ذكر ولاية الأندلس، ص 7.

2 أنظر: جذوة المقتبس، ص 17.

(3) المقرئ، نفح الطيب، 306/2.

4 أنظر: رسالة مراتب العلوم، رسائل ابن حزم، 79/4.

ومكان (1)، وذهب ابن حزم أن علم التاريخ ينقسم إلى مراتب أجملها على النحو التالي:

- 1- إما أن يدور على الممالك (تاريخ الدول).
- 2- أو على السنين (التاريخ الحولي).
- 3- وإما على البلاد (تاريخ المدن أو التاريخ المحلي).
- 4- وإما على الطبقات
- 5- أو مثورا، (وهو التاريخ الذي يضم متفرقات متنوعة من الفنون والسياسة، والآداب، واللغة، والعلوم وغيرها).
- 6- أو علم النسب (2).

ويتضح مما سبق أن ابن حزم يعد علم النسب جزءا من "علم الخبر" (3) وهو يدافع بقوة عن هذا الجزء. ويبطل قول من قال: "علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر" (4)، ويبين أن الجهل بهذا العلم قد يؤدي إلى النكاح المحرم، أو فقدان الحق في الميراث، وعدم معرفة الشخص المستحق للخلافة (5)، ويطبق ابن حزم دعوته عمليا عندما شرع في تصنيف، كتابه نسب البربر، وكذا كتابه الشهير جمهرة أنساب العرب (6).

1 نفسه، ص 78.

2 ابن حزم: رسالة في مراتب العلوم، رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، 4/80-79.

3 أنظر: رسالة في مراتب العلوم، ص 80

4 ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: 3.

5 ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: 4.

6 ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: 3-6؛ وانظر: عبد الباقي السيد: ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، ص 260.

وقد ذهب أحد الباحثين المحدثين إلى أن دراسات ابن حزم المتنوعة يمكن أن تخرج لنا أنواعاً أخرى تضم للمراتب السابقة ومنها :

- 1- تاريخ الأديان والأفكار .
- 2- تاريخ المعارف والعلوم .
- 3- التاريخ الاجتماعي .
- 4- التاريخ الاقتصادي (1).

لقد تحدث ابن حزم عن التاريخ بحسب الأمم مستقصياً ذكر الأمم المختلفة ، مميّزاً بين التواريخ المتصلة بها دون أن يلحظ الفرق بين اليونان والرومان ، فيسمي الفريقين باسم الروم ، وهذه هي الأمم التي ذكرها في تقسيمه :

- 1- الأمة الإسلامية: وتاريخها هو أصح التواريخ.
- 2- بنو إسرائيل: تاريخهم أكثره صحيح .
- 3- الروم: يصح تاريخهم ابتداء من عهد الإسكندر.
- 4- أمم الشمال من ترك وخزر وغيرهم: لا تواريخ لهم.
- 5- أمم السودان: لا تواريخ لهم.
- 6- الهنود والصينيون: يقر ابن حزم أن أخبارهم لم تصلنا كما نريد، ولكن لهم تاريخاً لأنهم أصحاب ضبط وتأليف.
- 7- الأمم الدائرة كالقبط واليمنيين والسريانيين والاشمانين وعمون ومآب: اندثرت أخبارهم ولم يبق منها إلا أكاذيب وخرافات.

1 عبدالحليم عويس : ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، ص 125.

8-الفرس: لا يصح شيء من أخبارهم قبل دارا وأصح أخبارهم ما كان من عهد أردشير⁽¹⁾ .

ومما سبق يمكننا القول أن ابن حزم أجهد نفسه في الاطلاع والبحث عن تواريخ الأمم ، ومن ثم فهو ينصح دارس التاريخ بأن يعتمد هذه النتيجة، فلا يضيع وقته في البحث عما لم يصح من التواريخ، إلا إذا أحب التعب لنفسه، فإنه عندئذ سيتهي إلى ما انتهى إليه ابن حزم .

وتجدر الإشارة إلى أن ابن حزم نجح في إبراز الفوائد والغايات التي يمكن أن يحققها الاطلاع على تواريخ الأمم فيما يلي:

- 1- التزهيد في الدنيا: بمعرفة تقلبها بأهلها، ومصاير الملوك الظالمين الذين لم ينفعهم حشدهم للأموال والجيوش.
- 2- القدوة الحسنة: إذ يقف المرء على حمد المتقين الأخيار للفضائل فيرغب فيها ويسمع ذمهم للردائل فيكرهها؛ ويقرأ أخبار الصالحين فيجب أن يكون منهم وأخبار المفسدين فيمقت طرائقهم.
- 3- العبرة بالفناء، ودثور الحصون والمدائن وتعاقب الأجيال، وانتقال الأحوال من عمران إلى خراب.
- 4- تمييز الصواب من الخطأ في الأخبار: فحين تتناصر التواريخ على تفاوت الأزمان والديانات في نقل قصة، فهي حق، وحين يحدث الخلاف، يدري دارس التاريخ أن القصة مضطربة.
- 5- المتعة والرياضة والتنشيط: وذلك لأن علم الأخبار سهل، وعلى الإنسان أن يتعمد قراءته وقت سأمته من درس العلوم الأخرى أو وقت فراغه من

1 أنظر : رسالة مراتب العلوم ، رسائل ابن حزم ، 79/4.

العمل فيها. وكل هذه الأغراض يدل على أن التاريخ عند ابن حزم هام جدا في بناء شخصية الفرد، من الوجهة الأخلاقية والنفسية، خصوصا وأن دارسه لا يحتاج فيه إلى شيخ يوجه خطاه، بل يستطيع أن يعتمد على نفسه في طلبه (1).

وقد تقصينا الأسباب التي دفعت ابن حزم للاهتمام بالتاريخ في كتابنا : " ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي " ، والتي يمكننا أن نجملها في النقاط التالية:

أولا : ازدهار تدريس التاريخ آنذاك لارتباطه بالعلوم الشرعية ، فقد كان يستفاد منه في معرفة تاريخ الرواه ومواطنهم وأنسابهم ، ومن ثم التعرف على صادقيهم من كاذبيهم . من خلال فحص ما نقل عنهم من روايات ، كما كان يستفاد منه في التفسير من خلال اهتمامه بأسباب النزول التي لاتفهم آيات القرآن إلا بها . أضف إلى ذلك أهميته بالنسبة للفقهاء حيث الاستناد على بعض الوقائع التاريخية التي تؤيد الفتوى وتؤكددها .

ثانيا : أهمية التاريخ في معرفة بعض الأنساب التي يعرف بها الحق من الباطل . كمعرفة أن الخلافة لا تجوز إلا لقرشي النسب ، ومعرفة أنساب الأنصار لنحسن إليهم . كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة من تحرم عليهم الصدقة من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة من يحل له الميراث ومن لا يحل .

ثالثا : دعوة القرآن والسنة في غير موضع إلى الاهتمام بالتاريخ وأخذ العبرة والعظة منه .

رابعا : تجريد التاريخ مما علق به من شكوك وملايسات . خاصة وقد توافرت في ابن حزم شروط المؤرخ الحصيف من عدالة وضبط وعلم بطرق النقل وأحوال الناس ومقاديرهم ، ومعرفة مراتب العلوم ، وعدم المحاباة المفضية للعصبية .

1 أنظر : رسائل ابن حزم ، 10/2.

خامسا : محاولة ابن حزم أن ينشر فكره ومنهجه بكل الطرق . خاصة وأنه طبق منهجه الظاهري على التاريخ عندما اعتبر أن النقل هو الأساس في دراسة التاريخ قبل العقل ، ومن ثم صنف ابن حزم في معظم فروع التاريخ من تراجم وطبقات وأنساب وسيرة ذاتية ، وتاريخ إقليمي ، وسيرة نبوية ، وتاريخ للفرق الإسلامية واليهودية والنصرانية .

سادسا : تأثير والده أحمد بن سعيد الذي كانت له اليد الطولى في تشكيل ثقافته ابنه التاريخية ، حيث كان يحدثه بالأحداث المهمة التي وقعت في عصره بحكم شخصه ومكانته في الدولة (1).

(1) عبد الباقي السيد : ابن حزم الظاهري ، ص 83-84.

المبحث الرابع المرجعية التاريخية لابن حزم الظاهري

تضاربت آراء الباحثين حول أهمية وقيمة ما كتبه ابن حزم في التاريخ. ففريق يرى أن التاريخ لم يأخذ إلا حيزاً ضيقاً ويسيراً من مؤلفات ابن حزم، على الرغم من وفرتها وغزارتها، وأن ما قدمه إنما هو مجرد نظرات تاريخية، تؤكد مدى اهتمامه بالروايات التاريخية، ولا تعبر عن أي اهتمام أو انشغال منه بالتأليف في التاريخ ⁽¹⁾. **على حين** ذهب فريق ثانٍ إلى التأكيد على أن ابن حزم مؤرخ من أكابر المؤرخين المسلمين المحترفين، بل وأفردوه بمكانة عالية ومتميزة بين المؤرخين. فذهب تلميذه الحميدي (ت488هـ) إلى القول: "وأبو محمد أعلم بالتواريخ..." ⁽²⁾ كما جعله المؤرخ صاعد الأندلسي (ت463هـ) في مقدمة المؤرخين الأندلسيين بوصفه له، بأنه: "أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام... مع وفور حفظه في المعرفة بالسيرة والأخبار" ⁽³⁾. بل إن بعضهم، بؤاه مكانة عالية في التأليف والكتابة التاريخية، إذ يقول عنه محمد أبو زهرة: "يتقصى التاريخ ويدونه متحريراً الحقيقة، وهو بذلك المؤرخ العميق النظر، يكتب في أدق أجزاء التاريخ وهو الأنساب." ⁽⁴⁾؛ ووصفه بعضهم بالمؤرخ الممتاز، الذي حاز على صفات الصدق، والضبط والدقة وقوة الملاحظة، وغيرها من الصفات التي جعلت منه راوية أميناً، ومؤرخاً نزيهاً ⁽⁵⁾. أما عاشق الأندلس وصاحب أشهر المصنفات في تاريخها المؤرخ الفذ محمد عبد الله عنان فجعل ابن حزم في عداد

1 أنظر: إحسان عباس: مقدمة تحقيقه لرسائل ابن حزم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط. 2، 1987م، 7/2-8.

2 أنظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية العامة، القاهرة، 1966م، ص 239.

3 صاعد الأندلسي: طبقات الأمم "تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ص 102.

4 محمد أبو زهرة: ابن حزم، ص 62-67.

5 زكريا إبراهيم: ابن حزم الأندلسي، ص 206.

المؤرخين المرموقين، أمثال الطبري والمسعودي، مُشيدا بمكانته التاريخية، وبكونه ليس مؤرخا عاديا، بل هو مؤرخ من طراز نادر. (1).

ولابد مما ليس منه بد بعد العرض السابق التأكيد على أن ابن حزم كانت له ثقافة تاريخية واسعة إلى جانب ثقافته الدينية والمنطقية والفلسفية، وغيرها، وفي كل ذلك ما يكفي لأن يجعل منه مؤرخاً واسع الأفق، ومحققاً أميناً، والحقُّ أنَّ كتبه قلماً تخلو من إشارات تاريخية (2) على ما سيتضح فيما بعد من خلال الحديث عن أجناس الكتابة التاريخية عنده في الفصول التالية.

صحيح أن إنتاج ابن حزم التاريخي من حيث الكمّ، لا يرقى إلى مستوى المؤرخين المشهورين، غير أنَّ ذلك لا يمنعنا من القول بأن رسالة: "نقطة العروس" تعدّ أبرز نموذج لكتابه التاريخية على صغر جرمها، وكذلك مؤلفاته الأخرى: "جوامع السيرة" و"جمل فتوح الإسلام" و"جمهرة أنساب العرب" و"حجة الوداع" و"رسالة في فضل الأندلس"، وكتابه العظيم الفصل في الملل والأهواء والنحل الذي يعد تأريخاً رائعاً للفرق والأديان والأفكار، وكذا كتابه "طوق الحمامة" رغم غلبة الطابع الأدبي عليه إلا أنه حوى أحداثاً تاريخية خطيرة عن الأندلس خلال عصره وقبلة، ومن ثم فالتاريخ يكاد يكون شائعاً في جميع كتب ابن حزم. (3).

ورغم تضارب آراء الباحثين حول تحديد أهمية وقيمة ما كتبه ابن حزم في التاريخ كما سبق فقد توفرت لابن حزم أكثر الوسائل التي يحتاجها المؤرخ، والتي يمكن أن نجملها في التالي:

1 عبد الكريم خليفة: ابن حزم الأندلسي، حياته وأدبه دار العربية للنشر، بيروت، د.ت، ص 110؛ وأنظر: زكريا إبراهيم: ابن حزم الأندلسي، ص 206؛ عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه لكتاب: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، دار المعارف، القاهرة، 1962م، ص 13.

2 عفت الشرقاوي: في فلسفة الحضارة، ص 376.

3 عمر فروخ: ابن حزم الكبير، دار لبنان للنشر، بيروت، ط 1، 1980م، ص 118.

أولاً : سعة الاطلاع على المؤلفات التاريخية ومناهجها المختلفة ومنازعتها المتعددة، ولقد حاول الدكتور عبد الحليم عويس أن يجمع أسماء الكتب التي اطلع عليها ابن حزم وأفادته في هذا المجال فذكر لنا أحد عشر كتابا استفاد منهم ابن حزم في السيرة النبوية ، وذكر لنا أحد عشر كتابا استفاد منها ابن حزم في تاريخ الخلافتين الأموية والعباسية في المشرق حتى عصره ، وذكر لنا إحدى وعشرين كتابا استفاد منها ابن حزم في تاريخ المغرب والأندلس ، وذكر لنا تسعة كتب استفاد منها في تاريخ الملل والنحل (1) ، ورغم عظم الجهد المبذول في تقصى المصنفات التي اطلع عليها ابن حزم ، وشكلت جزءا رئيسا من مصادره في التدوين التاريخي فلا يمكن بحال أن نجعل ما تم استقصاءه من مصنفات هي التي رجع إليها ابن حزم فقط . إذ الواقع يؤكد لنا أن ابن حزم اطلع على أكثر ما دخل الأندلس من كتب تاريخية كتبها المشاركة ، وعلى ما كتبه الأندلسيون أنفسهم ، وذلك كله يصور مدى ما حصله في التاريخ الإسلامي بخاصة ، فأما تواريخ الأمم الأخرى فيبدو أنه وقف فيها عند مصادر معينة، مثل التوراة والإنجيل وتاريخ يوسفوس، والأرجح أنه قرأ تاريخ هوروشويس الذي نقل عن اللاتينية في أيام عبد الرحمن الناصر كما كان واقفا على التاريخ المعاصر راصدا له أو مشاركا في صنعه (2) .

ثانيا : لقاء الشيوخ : درس ابن حزم التاريخ لأول مرة على يد شيخه أحمد بن الجسور ، وكان لا يزال في الخامسة عشر من عمره . ثم تتابعت دراساته واهتماماته بهذا العلم فأخذه عن مجموعة من الشيوخ بعد ابن الجسور منهم :

1- عبد الرحمن بن محمد بن أبي زيد العتكى .

1 أنظر : ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضارى ، ص 153-157.

2 عبد الباقي السيد عبد الهادي : ابن حزم الظاهري ، ص 100 ، 101 ، 311-331.

2- عبدالله بن يوسف بن الفرضي ، الذي درس عليه كتبه التاريخية خاصة تاريخ علماء الأندلس ، وروى من خلاله بعض الروايات والأخبار النادرة على ما سيتضح بعد قليل .

3- أبو الوليد يونس بن عبدالله المعروف بابن الصفار ، والذي استفاد منه ابن حزم كثيراً من أخبار التاريخ ، ونقل ابن حزم عنه بعض المرويات التي لم يعاصرها ومن ذلك ما ذكره ابن حزم بخصوص غزو الحكم المستنصر للروم سنة 352هـ حيث قال : حدثني أبو الوليد يونس بن عبد الله القاضي قال: لما أراد الحكم المستنصر غزو الروم سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، تقدم إلى والدي ليكون في صحبته، فاعتذر بضعف في جسمه، فقال المستنصر لأحمد بن نصر: قل له إن ضمن لي أن يؤلف في أشعار خلفائنا بالمشرق والأندلس مثل كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيته من الغزاة. فخرج أحمد بن نصر إليه بذلك فقال: أنا أفعل ذلك لأمر المؤمنين إن شاء الله. قال، فقال المستنصر: إن شاء أن يكون تأليفه له في منزله فذلك إليه، وإن شاء في دار الملك قال المطلة على النهر فذلك له. قال: فسأل أبي أن يكون ذلك في دار الملك وقال: أنا رجل مورود في منزلي، وانفرادي في دار الملك لهذه الخدمة أقطع لكل شغل، فأجيب إلى ذلك. وكمل الكتاب في مجلد صالح، وخرج به أحمد بن نصر إلى الحكم المستنصر فلقية بالمجلد بطليطلة فسر الحكم به (1).

4- أبو عبدالله محمد بن عمرو بن مضاء .

5- أبو المحيا ملهم بن موازن(2).

ثالثاً : محاورة الأقران ومجادلة أصحاب النزعات والأفكار المخالفة لما كان عليه ابن حزم ، لعبت دوراً مهماً في تشكيل فكر ابن حزم التاريخي ، وكانت أحد مصادره في التدوين ، ومن هؤلاء مجموعة كانت تقول بخلود النفس والزمان

(1) نقلا عن الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 221 ترجمة 533.

(2) عبد الباقي السيد : ابن حزم الظاهري ، ص 83، 82.

كعبدالله بن خلف بن مروان الأنصاري ، وعبدالله بن محمد السلمي الكاتب ،
ومحمد بن علي بن أبي الحسين الطيب (1) ، ومنهم ابن النغيلة اليهودي الذي دفع
ابن حزم للوقوف على تاريخ اليهود والتنقيب في التوراة (2) ، وكذا كان لقاؤه
بأحد المرجئة وهو محمد بن عيسى الألبيري الصوفي المعتزلي سبياً في الوقوف على
حقائق بشأن المعتزلة ، والصوفية (3).

1 ابن حزم : الفصل ، 3/1.

2 ابن حزم : الفصل ، 120/5.

3 عبد الباقي السيد : ابن حزم ، ص 311، 312. وابن النغيلة هو شموئيل اللاوي بن يوسف
الناجيد وعرف بالعربية باسم إسماعيل بن النغيلة ، عالم تلمودي ونحوي ولغوي وعسكري
وسياسي وراعي للفنون والعلوم وشاعر يهودي أندلسي. كان كبير وزراء طائفة غرناطة ومن قادة
جيوشها. ويعتبر صاحب أكبر مكتبة شخصية في الأندلس . ولد في ماردة سنة 993م ، وكان يدعي
أنه ينتسب للنبي داود . تلقى تعليمه في مدينة قرطبة ، حيث درس الشريعة اليهودية على يدي "حنوخ
بن موسى والعبرية على يد النحوي يحيى بن حيوج الفاسي ، وأصبح عالماً تلمودياً يجيد اللغتين
العبرية والعربية. كما تمكن وبرع في الأدب العبري والعربي، وأصبح قادراً على نظم الشعر باللغتين،
كما اهتم بعلم الفلك والهندسة والمنطق، وقرأ القرآن وعدداً من كتب الفقه الإسلامي، وبعض
دراسات النصاري عن الإنجيل . بدأ حياته المهنية كتاجر في قرطبة . وبعد اندلاع فتنة الأندلس سنة
1009م طال مدينة قرطبة التخريب بعد حصار سنة 1013م، خلال الصراع الذي جرى بين محمد
المهدي بالله و سليمان المستعين بالله . فترك ابن نغيلة قرطبة وتوجه لملقة وفتح حانوت للتوابل.
تزوج ابنة العالم التلمودي الكبير نسيم بن يعقوب المقيم في القيروان . التحق ببلاط طائفة غرناطة من
بني زيري ، حيث عمل بجمع الضرائب، ثم عين كاتباً ومساعداً عند الوزير أبي العباس . وفي عام
410 هـ / 1020م أصبح ابن النغيلة من وزراء حبوس بن ماكسن . كما عين رئيس أركان الجيش ،
وقاد عدة معارك ومناوشات ضد مملكة بنو عباد الإشبيلية . وفي عام 1027 أطلق عليه الكنية العبرية
نجدد بالمعنى رئيس يهود الأندلس . بعد وفاة الملك حبوس عام 1037م خلفه ابنه باديس بن حبوس
، بدلاً من ابنه الآخر بلغن، وتم ذلك بمساعدة ابن النغيلة . فكافأه الملك الجديد وقرّبه منه وعينه
وزيراً له وأصبح من أهم الشخصيات في المملكة، بل المسير الفعلي لشؤون الدولة .، وكان قد ألف
عدة قصائد وجمعها في ديوان مكون من ثلاثة كتب ، وأطلق عليها أسماء ابن المزامير، ابن الأمثال،
وابن سفر الجامعة. تناولت قصائده الحب والحرب والصدقة والحكمة والأخلاق والرياء=

رابعاً : الروايات الشفوية : وقد كان لوالده أقوى الأثر في توجيهه نحو التاريخ، بحكم شخصه ومكانته: فهو مصدر هام لكثير مما نقله من روايات لم تكن تقف عند ظاهر الخبر، بل تفعل في نفسه فعلها، وإلى مثل ذلك يشير بقوله: "حدثني وهزني الوزير والدي نصر الله وجهه" ⁽¹⁾، ولعل والده هو الذي نبه ذهنه إلى التقاط الغرائب والنوادر، لكثرة ما كان يقص عليه منها، ولمكانته في الدولة كان عارفاً بما يجري حوله من دقائق الأمور، كما أن تلك المكانة جعلت مجلسه حافلاً بشخصيات العصر، وفي ذلك المجلس استمع الابن إلى الأحاديث الدائرة والروايات المختلفة، مثلما استمع إلى الشعراء وهم ينشدون المدائح في أبيه؛ وحين قضت الفتنة البربرية على ابن حزم بمفارقة قرطبة والتجوال في المدن الأندلسية، وسعت لديه مجال المشاهدة، مثلما كثرت من مصادره الشفوية، ولذا نراه يؤكد

=والصلاة لله مثل قصائد البيوط والأدعية. وقد ذكر موسى بن عزرا بأنه استفاد منها كثيراً. أعيد نشرها أول مرة سنة 1934م في أكسفورد وقُلد ابن النغيلة أمراء عصره من المسلمين، باجتناب الشعراء وكَوّن لنفسه حاشية من الشعراء اليهود والمسلمين. وفي النحو كتب عدة مؤلفات أبرزها كتاب الكنز، وحرّر معجماً لعبرية التوراة. كما ألف كتاباً عن الشريعة اليهودية بعنوان آرامي سفر هِلِكِثَا ربريثا أو كتاب الشريعة الكبيرة اقتبس من التلمود الأورشليمي والتلمود البابلي ومن الكتاب القديم الذي ألفه الحاخام أحيي رئيس مدرسة فم بديثا العراقية في القرن الثامن الميلادي، واستعمل ابن نغيلة في تأليفه اللغة العربية وبالحروف العبرية أما الشواهد فقد كانت بالأرامية والعبرية، ونُشر الكتاب في الأندلس عام 1049م، وقد ذكر سليمان بن جبرول بأن ابن نغيلة استطاع بهذا الكتاب نقل مركز الديانة اليهودية من بغداد إلى الأندلس. كما ألف عدة كتابات جدلية طاعناً في صدق القرآن، فرد عليه ابن حزم في كتاب سماه الرد على ابن نغيلة اليهودي، ومع هذا كان ابن النغيلة مندجاً تماماً في الحضارة العربية الإسلامية، وكانت وفاته عام 1056. أنظر: ابن حزم: رسالة في الرد على ابن النغيلة اليهودي ضمن رسائل ابن حزم بالجزء الثالث؛ ابن سعيد: المغرب، 114/2؛ ابن عذارى: البيان المغرب، 264/3، 265؛ ابن الخطيب: الإحاطة، 131/1؛ عبد الباقي السيد: ابن حزم الظاهري، ص 311-316.

1 أنظر: نقط العروس، الفقرة: 76.

تأثير المشافهة عليه في التدوين التاريخي بقوله في غير ما موضع من مصنفاته : " بلغنا ، وأخبرنا ، وحدثني ثقة من إخواني ، وحكاية لم أزل أسمعها (1) ؛ ومن ذلك قوله : " وقد أخبرني بعض أصدقائنا وهو محمد بن عبد الرحمن بن عقبة رحمه الله تعالى أنه عارض بهذا البرهان بعض الملحدين وهو عبد الله بن عبد الله بن شنيف فعارضه الملحد في قوله بخلود الجنة والنار وأهلها (2) ، وقوله عن قصة حدثه إياها شيخه ابن الفرضي : " وها هنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا منها ، وهي : أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي حدثني أن أبا الجيش مجاهداً صاحب الجزائر ودانية وجّه إلى أبي غالب أيام غلبته على مرسية ، وأبو غالب ساكن بها ، ألف دينار أندلسية ، على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور " مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد " فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح في هذا باباً البتة وقال : والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، لأنني لم أجمعه له خاصة ، بل لكل طالب عامة فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها ، واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها (3) ؛ وقوله عن أندلسي صاحب عقل ودين حدثه عن مصنفات في العدد والهندسة فقال : " إلا أنني سمعت من أثق بعقله ودينه من أهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول : إنه لم يؤلف في الأزياج مثل زيغ مسلمة وزيج ابن السمع ، وهما من أهل بلدنا . وكذلك كتاب لأحمد بن نصر في المساحة المجهولة فما تقدم إلى مثله في معناه " (4) .

ومن هذا القبيل خبر تناولته جل المصادر التي ترجمت لأحمد بن سعيد بن حزم والد صاحبنا ابن حزم الظاهري ، ومصدره الرئيس ابن حزم الذي نقله عن ابن

1 أنظر : الفصل ، 215/1 ؛ طوق الحمامة ، ص 26 ، 159 ؛ جمهرة أنساب العرب ، ص 33 .

2 أنظر : الفصل ، 31/1 .

3 أنظر : رسالة في فضل الأندلس ، ص 182 .

4 نفسه ، ص 185 ، 186 .

البشتنى عن والد ابن حزم الوزير ، وعنه يقول ابن حزم : أخبرني هشام بن محمد بن هشام بن محمد بن عثمان المعروف بابن البشتنى من آل الوزير أبي الحسن جعفر ابن عثمان المصحفى عن الوزير أبي رحمة الله عليه ، أنه كان بين يدي المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر في بعض مجالسه للعامه ، فرفعت له رقعة استعطاف لأم رجل مسجون كان ابن أبي عامر حنقاً عليه لجرم استعظمه منه ، فلما قرأها اشتد غضبه وقال : ذكرتنى والله به ! وأخذ القلم يوقع ، وأراد أن يكتب : يصلب فكتب : يطلق ورمى الكتاب إلى الوزير ، قال : فأخذ أبوك القلم وتناول رقعةً وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة ، فقال له ابن أبي عامر : ما هذا الذي تكتب ؟ قال : بإطلاق فلان إلى صاحب الشرطة ؛ قال : فحرد وقال : من أمرك بهذا ؟ فناوله التوقيع ، فلما رآه قال : وهمت ! والله ليصلبن ! ثم خط على ما كتب ؛ وأراد أن يكتب يصلب فكتب يطلق قال : وأخذ والدك الرقعة فلما رأى التوقيع تمادى على ما بدأ به من الأمر بإطلاقه ، ونظر إليه المنصور متمادياً على الكتابة ، فقال : ما تكتب ؟ قال : بإطلاق الرجل ، فغضب غضباً شديداً أشد من الأول ، وقال : من أمرك بهذا ؟ فناوله الرقعة ، فرأى خطه ، فخط على ما كتب ، وأراد أن يكتب يصلب فكتب يطلق فأخذ والدك الكتاب فنظر ما وقع به ، ثم تمادى على ما كان بدأ به ، فقال له : ماذا تكتب ؟ قال : بإطلاق الرجل ، وهذا الخط ثالثاً ، فلما رآه عجب وقال : نعم يطلق على رغمي ، فمن أراد الله إطلاقه لا أقدر أنا على منعه !⁽¹⁾.

خامساً : الرؤية والمشاهدة : كانت للمشاهدة ومعايشة الأحداث ورؤية الناس أثر كبير على ابن حزم فى تدوينه للتاريخ ، ومن ثم نراه يؤكد ذلك بقوله : " وقد شاهدنا الناس وبلغتنا أخبار أهل البلاد البعيدة وكثر بحثنا عما غاب عنا منها ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة المجموعة فى أخبار من سلف من غرب وعجم فى كثير من الأمم⁽²⁾ .

(1) نقلا عن الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 112 ، 113 ، ترجمة 215.

(2) أنظر : الفصل ، 1/175.

بل وجدنا ابن حزم يكذب خبر صلب المسيح عند النصارى - لعدم توفر شرط المشاهدة - بقوله : إن صلب المسيح عليه السلام لم يقله قط كافة ولا صح بالخبر قط لأن الكافة التي يلزم قبول نقلها هي إما الجماعة التي يوقن أنها لم تتواطأ لتناذب طرقهم وعدم التقائهم وامتناع اتفاق خواطرها على الخبر الذي نقلوه عن مشاهدة أو رجوع إلى مشاهدة ولو كانوا اثنين فصاعداً وإما أن يكون عدد كثير يمتنع منه الاتفاق في الطبيعة على التماذي على سنن ما تواطؤوا عليه فأخبروا بخبر شاهدوه ولم يختلفوا فيه فما نقله أحد هاتين الصفتين عن مثل إحداها وهكذا حتى يبلغ إلى مشاهدة فهذه صفة الكافة التي يلزم قبول نقلها ويضطر خبرها سامعها إلى تصديقه وسواء كانوا عدولاً أو فساقاً أو كفاراً ولا يقطع على صحته إلا ببرهان فلما صح ذلك نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسيح عليه السلام فوجدناه كواف عظيمة صادقة بلا شك في نقلها جيلاً بعد جيل إلى الذين ادعوا مشاهدة صلبه فإن هنالك تبدلت الصفة ورجعت إلى شرط مأمورين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل والنصارى مقرون بأنهم لم يقدموا على أخذه نهائياً خوفاً العامة وإنما أخذوه ليلاً عند افتراق الناس عن الفصح وأنه لم يبق في الخشبة إلا ست ساعات من النهار وأه أنزل إثر ذلك وأنه لم يصلب إلا في مكان نازح عن المدينة في بستان فخار متملك للفخار ليس موضعاً معروفاً بصلب من يصلب ولا موقوفاً لذلك وأنه بعد هذا كله رسي الشرط على أن يقولوا أن أصحابه سرقوه ففعلوا ذلك وأن مريم المجدلانية وهي امرأة من العامة لم تقدم على حضور موضع صلبه بل كانت واقفة على بعد تنظر هذا كله في نص الإنجيل عندهم فبطل أن يكون صلبه منقولاً بكافة بل بخبر يشهد ظاهره على أنه مكتوم متواطأ عليه وما كان الحواريون ليلتذ بنص الإنجيل إلا خائفين على أنفسهم غيباً عن ذلك المشهد هارين بأرواحهم مستترين وإن شمعون الصفا غرر ودخل دار قيقان الالهة أيضاً بضوء النهار فقال له أنت من أصحابه فانتفى وجحد وخرج هارباً عن الدار

فبطل أن ينقل خبر صلبه أحد تطيب النفس عليه على أن نظن به الصدق فكيف أن ينقله كافة⁽¹⁾ .

ويعمد ابن حزم إلى استخدام بعض نصوص القرآن فضلاً عن حوادث المشاهدة التي وقعت له في اثبات بطلان بعض الاخبار ومنها خبر صلب المسيح الأنف الذكر فيقول: " وهذا معنى قوله تعالى " ولكن شبه لهم " إنما عنى تعالى أن أولئك الفساق الذين دبروا هذا الباطل وتواطؤا عليه هم شبهوا على من قلدتهم فأخبروهم أنهم صلبوه وقتلوه وهم كاذبون في ذلك عالمون أنهم كذبة ولو أمكن أن يشبه ذلك على ذي حاسة سليمة لبطلت النبوات كلها إذ لعلها شبّهت على الحواس السليمة ولو أمكن ذلك لبطلت الحقائق كلها ولأمكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فيما يأكل ويلبس وفيمن يجالس وفي حيث هو فعله نائم أو مشبه على حواسه وفي هذا خروج إلى السخف وقول السوفسطائية والحماقة وقد شاهدنا نحن مثل ذلك وذلك أننا اندرنا للجبل لحضور دفن المؤيد هشام بن الحكم المستنصر فرأيت أنا وغيري نعشاً فيه شخص مكفن وقد شاهد غسله شيخان جليلان حكمان من حكام المسلمين ومن عدول القضاة في بيت وخارج البيت أبي رحمه الله وجماعة عظماء البلد ثم صلينا في ألوف من الناس عليه ثم لم يلبث إلا شهوراً نحو السبعة حتى ظهر حياً وبويع بعد ذلك بالخلافة ودخلت عليه أنا وغيري وجلست بين يديه ورأيت وبقي ثلاثة أعوام غير شهرين وأيام ... وأما التشبيه على الواحد والاثنين ونحو ذلك فإنه جائز وكذلك فقد العقل والسخافة يجوز ذلك على الواحد والاثنين ونحو ذلك ولا يجوز على الجماعة كلها. (2).

1 ابن حزم : الفصل ، 74، 75/1.

2 أنظر : الفصل ، 75/1.

وقوله تعالى " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " إنما هو إخبار عن الذين يقولون تقليداً لأسلافهم من النصارى واليهود أنه عليه السلام قتل وصلب فهؤلاء شبه لهم القول أي أدخلوا في شبهة منه وكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت وشرطهم المدعون أنهم قتلوه وصلبوه وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك وإنما أخذوا من أمكنهم فقتلوه وصلبوه في استتار ومنع من حضور الناس ثم أنزلوه ودفنوه تمويهاً على العامة التي شبه الخبر لها (1).

وهكذا فإن الحقيقة التاريخية عند ابن حزم لا تكون حكراً على مجتمع دون آخره ولا على طائفة أو ديانة دون غيرها، بل إنها إذا استوفت في نقلها شروط الصحة أمكن الاعتماد عليها. لأن الكافة التي يلزم قبول نقلها، هي إما الجماعة التي يوقن أنها لم تتواطأ لتناوب طرقهم وعدم التقائهم وامتناع اتفاق خواطرهم على الخبر الذي نقلوه عن مشاهدة، أو رجع إلى مشاهدة ولو كانوا اثنين فصاعداً ... فما نقله أحد أهل هاتين الصفتين عن مثل إحداهما، وهكذا حتى يبلغ إلى مشاهدة. فهذه صفة الكافة التي يلزم قبول نقلها ويضطر خبرها سامعها إلى تصديقه ... (2) وحد الكافة أو الإجماع عنده اثنان فما فوق بشرط عدم تواطئهما على الكذب. (3).

وتجدر الإشارة إلى أن ابن حزم كان حريصاً في توصيفه لأوضاع المجتمع وأحواله على المشاهدة والمعاينة، ومن ثم رأيناه حال توصيفه لبعض الطوائف التي انشغلت ببعض العلوم في الأندلس لا يعول على غيره بل أثبت مشاهدته لأحوالهم ومعاينته لتصرفاتهم وتدبره لأمرهم حيث قال: إنا لما تدبرنا أمر طائفتين ممن شاهدنا في زماننا هذا وجدناهما قد تفاقم الداء بهما. . فأما إحداهما فقد حلت المصيبة فيها وبها، وهم

1 أنظر: الفصل، 75، 76/1.

2 ابن حزم: الفصل، 75/1.

3 ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، 120/1.

قوم افتتحوا عنوان أفهامهم وابتدأ دخولهم إلى المعارف بتعلم علم العدد وبرهانه وتخطيه إلى تعدد الكواكب وهيئة الأفلاك ، وكيفية قطع الشمس والقمر انتقالها من الأجرام العلوية وإعظامها وأبعادها والطبيعة وعوارض الجو ومطالعة شئ من كتب الأوائل وحدودها . فلم تلق هذه الطائفة المذكورة من حملة الدين إلا قوما لا عناية لهم بشئ وإنما عنيت من الشريعة بأحد ثلاثة أشياء :

إما بالفاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها ولا يهتمون بفهمها . . وإما بمسائل من الأحكام لا يشتغلون بدلائلها ومبعثها وإنما حسبهم منها ما أقاموا به جاههم وحالهم . . وإما انحرافات منقولة عن كل ضعيف وكذاب وساقط لم يهتبلوا قط بمعرفة صحيح منها من سقيم ولا مرسل من سند ولا ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما الطائفة الثانية فهم قوم ابتدءوا الطلب لحديث النبي (ص) فلم يزدوا على طلب علوم السند والغرائب دون أن يهتموا بشئ مما كتبوا ولا يعلمون به وإنما يحملونه حملا لا يزدون على قراءته دون تدبير معانيه ودون أن يعلموا أنهم المخاطبون به وأنه لم يأت مهملا ولا قاله (ص) عبثا ، بل أمرنا بالتفقه فيه والعمل به ، وأكثر هذه الطائفة لا عمل عندهم إلا بما جاء عن طريق مقاتل بن سليمان والضحاك بن مزاحم وكتاب البزدوى التي إنما هي خرافات موضوعة وأكاذيب مستعملة ولدها الزنادقة تدليساً على الإسلام وأهله (1).

سادسا : العلوم البينية كالفقه والحديث والجغرافيا وخلافه : لم تتوقف مصادر ابن حزم التاريخية على المصادر التقليدية ، وذلك لطبيعته الموسوعية وإحاطته كنها بالعديد

من العلوم العقلية والنقلية ، ومن ثم رأيناه يوظف هذه العلوم المتباينة في تدوينه للتاريخ.

فقد تأثر بطريقة أهل الحديث في التدوين التاريخي ونقد الخبر والرواية . فقد كانت طريقة أهل الحديث تعتمد على نقد السند أي على التعديل والتجريح للرواة ، ونظرا لأهمية الخبر بالنسبة للمذهب الظاهري، وكونه الدعامة الثاني - بعد القرآن - في ذلك المذهب؛ الأمر الذي يستدعي معرفة شاملة دقيقة لعلم الرجال، مثلما يفترض الحذر الشديد في تقبل الخبر، وفي هذه الناحية وضع ابن حزم بين المتعنتين في التوثيق، وانتقده بعضهم لارتكابه عدة أخطاء في حق رواة مشهورين وصفهم بأنهم مجهولون مثل الترمذي والبغوي وإسماعيل بن محمد الصفار وأبي العباس الأصم (1).

وايا ما كان القول في ابن حزم بشأن نقده للرواة فهو في كثير من علمه في الرجال يعتمد على من سبقوه ، فإذا اختار تجريح أحدهم فمعنى ذلك أنه - في أغلب الأحيان - اتبع في الحكم عليه أحد السابقين، ولذلك فليس حجة على ابن حزم أن يقال: فلان وثقه ابن معين أو عده ابن حبان في الثقات. فهذا محمد بن سليمان المشمولي المخزومي ذكره ابن حبان في الثقات، كما ذكره العقيلي والساجي والدولابي وابن الجارود في الضعفاء، فليس أحد الموقفين بملزم لابن حزم، وإنما هو يحكم رأيه فيما يراه مناسبا، ولهذا يقول فيه: منكر الحديث (2).

الجدير بالذكر أن ما يهنا هنا هو المنهج الذي أمد به علم الحديث، وهو منهج يتحرى الدقة ويتشدد في محاكمة السند، وربما لم يحتج ابن حزم إلى كل ذلك في موقفه من الروايات التاريخية، ولكن روح المنهج الحديثي تلبست به ووجهت فكره.

1 السخاوى : الإعلان بالتوبيخ ، ص168.

2 ابن حجر : لسان الميزان ، 186/5.

وإلى جانب المنهج الحديثي وتأثير علوم الحديث على ابن حزم فقد تفتح فكره على الدراسات الفلسفية والمنطقية، فهذه الدراسات هي التي مهدت لديه تحكيم العقل في الرواية نفسها لا في روايتها، ورفضها على أساس عقلي، كما وسعت لديه الآفاق التي يستطيع أن يرودها بفكره، بحيث يتجاوز موقفه الظاهري الذي يحرص عليه في باب التشريع؛ وقد لحظ بعض الأقدمين هذه الازدواجية لديه فقال ابن كثير: "والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهريا حائرا في الفروع لا يقول بشيء من القياس لا الجلي ولا غيره، وكان مع هذا من أشد الناس تأويلا في باب الأصول وآيات الصفات وأحاديث الصفات لأنه كان أولا قد تضلع من علم المنطق... " (1).

وتجدر الإشارة إلى أن ابن حزم درس الفلسفة والمنطق على يد محمد بن الحسن الكنانى ، الذى ترجع معرفته به لمجلس المنصور بن أبى عامر وابنه المظفر ، إذ إن والد ابن حزم كان وزيرا لكل منهما فى الوقت الذى كان محمد بن الحسن الكنانى طبيبا لهما ، وقد تأثر ابن حزم به فى الفلسفة والمنطق وأثنى على براعته ومصنفاته فيهما ، كما درس الفلسفة والمنطق على يد ثابت بن محمد الجرجانى العدوى المكنى بأبى الفتوح ووصفه بقوله : " ما رأيت فى خلق الله عز وجل أعلم بهذا العلم منه ولا أحفظ له منه ولا أوسع فيه منه " (2).

وقد كان لإحاطة ابن حزم بالجغرافيا والاقتصاد أثر مهم عليه حال التدوين التاريخي إذ جعلهما قاعدة لفهم التاريخ ومناقشة الروايات التاريخية : فهو حين يناقش ما ذكر عن أعداد بني إسرائيل في زمن داود (نصف مليون مقاتل من سبط يهوذا ومليون من تسعة أسباط أخرى وبقي سبطان لم يحصى عددهما. هذا عدا الأطفال

1 أنظر : البداية والهاية ، 92/12.

(2) نقلا عن إحسان عباس ، رسائل ابن حزم ، 39/4 ؛ وانظر : الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، 261/11 ؛ عبد الباقي السيد : ابن حزم ، ص 85 .

والنساء والشيوخ وسائر من لا يقدر على القتال) يقول: " البلد المذكور باق لم ينقص، ولا صغرت أرضه، وحده بإقرارهم في الجنوب: غزة وعسقلان ورفع وطرف من جبال الشراة بلد عيسو... وحد ذلك البلد في الغرب البحر الشامي، وحده في الشمال صور وصيدا وأعمال دمشق التي لا يختلفون في أنهم لم يملكوا منها مضرب وتد... وحد البلد المذكور في الشرق بلاد موآب وعمون وقطعة من صحراء العرب التي هي الفلوات والرمال.... " (1) هذا التصور للجغرافيا يؤدي إلى القول بأن تلك البلاد المذكورة لا يمكن أن تتسع لتلك الملايين، فإذا أضفت إلى ذلك ما جاء في سفر يوشع من أن المدائن التي سكنها عدد من الأسباط لا كلهم بلغت في الإحصاء الكلي أربعمئة مدينة سوى القرى التي لا يحصيها إلا الله عز وجل وجدت ابن حزم يقول: " فاعجبوا لهذه الشهرة أن تكون البقعة التي قد ذكرنا مساحتها على قلتها وتفاهتها تكون فيها هذه المدن " (2)

وتشترك العوامل الجغرافية والاقتصادية اشتراكا يكاد يكون متلازما، فإذا قرأ ابن حزم في التوراة أن بني إسرائيل كانوا ساكنين في أرض قوس فقط وأن معاشهم كان من المواشي فقط وأن عددهم هنالك كان ستمئة ألف وثلاثة آلاف (سوى النساء والأطفال) احتكم إلى العاملين الجغرافي والاقتصادي فقال: مالذي يكفي هذا العدد إذا لم يكن لهم من مصدر للقوت والكسوة سوى المواشي " ثم اعلّموا يقينا أن أرض مصر كلها تضيق عن مسرح هذا المقدار من المواشي فكيف أرض قوس وحدها " (3). وإذا وقع في بعض الروايات على أن جباية سليمان كانت 636000 قنطار من ذهب رغم

صغر المساحة التي تقع تحت حكمه قال: " فهذه الجباية التي لو جمع كل الذهب الذي

1 أنظر: الفصل 1 / 166.

2 أنظر: الفصل، 1 / 168.

3 أنظر: الفصل، 1 / 177.

بأيدي الناس لم يبلغها. من أين خرجت " (1) وإذا قرأ أن ملك السودان غزا بيت المقدس بمليون مقاتل: لم يكتف بالتكء على عاملي الجغرافيا والاقتصاد بل أضاف إليهما عامل العلاقات السياسية فرفض الخبر (أ) لبعد المسافة وكون أكثرها مفاوز لا تتحمل جيشاً بذلك العدد (ب) ولا بد أن يمر هذا الجيش على مصر فكيف يستطيع ذلك " هذا ممتنع في رتبة الجيوش وسيرة الممالك " . (ج) ومن المستبعد أن يكون ملك السودان قد سمع بشيء اسمه بيت المقدس (2).

والمطالع لأقواله عن المساحات بين المدن ومنابع الانهار عند نقده للتوراة بكتابه (الفصل) يري قوة حسه الجغرافي الذي ينم عن مطالعات كثيرة ، بالرغم من أن كتبه التي بين أيدينا لم تفصح سوى عن بضعة كتب في هذا الشأن وهي (مسالك الأندلس ومراسيها وأمهاات مدنها لأحمد ابن محمد الرازي ، ومسالك أفريقيا وممالكها لمحمد ابن يوسف الوراق ، وجغرافيا لبطليموس) (3).

سابعاً : الرحلات : لما سقطت الخلافة بقرطبة سنة 422هـ أخذ ابن حزم في التنقل من مدينة إلى مدينة أخرى، فقد خرج من قرطبة إلى المرية حيث مملكة خيران العامري فظل بها زمناً وعاش هناك في هدوء، مشتغلاً بالعلم والتأليف، واختير ابن حزم نفسه وزيراً، ولكنه لم تطل وزارته، فقد دُبرت ضده مكيدة دخل على أثرها السجن، ولكن خيران أطلقه وأمره بالخروج من المرية فصار إلى بلنسية.

لقد عاش ابن حزم عصراً فياضاً بالاضطرابات والأحداث المثيرة، وشهد الكثير من أحوال هذا العصر وتقلباته، ومن تصرفات أمراء الطوائف، وهزت الأحداث

1 الفصل ، 1/ 219.

2 الفصل ، 1/ 220.

(3) انظر : رسالة في فضل الاندلس ، رسائل ، 172/2 ، 173 ، 175 ؛ الفصل ، 1/ 143 ؛ عبد الباقي السيد : ابن حزم ، ص 102.

مشاعره إلى الأعماق، ومن ثم كانت أقواله وأحكامه الصادقة التي أصدرها في حق الطوائف.

لم يستقر ابن حزم في عصر ملوك الطوائف في مملكة من ممالكهم، بل كانت حياته وما التزمه من مذهب فقهي معارض للمذهب المالكي تضطره إلى التنقل والترحال بسبب ما جبل عليه من معارضة للتقليد المذهبي لفقهاء الأندلس.

وتجدر الإشارة بداية إلى أن رحلات ابن حزم وتنقلاته كانت كلها بين مدن الأندلس ولم يغادرها إلى سواها (1).

وهكذا فقد لعبت الرحلات دورا مهما في تشكيل فكر ابن حزم التاريخي إذ كان يقف على حقائق تاريخية حال توصيفه لمن يترجم له من الحكام أو أهل العلم أو المدينة التي يكتب عنها . فقد تعرف على أصول المعتزلة ومبادئها في كل من المرية وبجاية ، وصنف طوق الحمامة بشاطبة والذي ترك أثرا واضحا في التاريخ الإنساني بصفة عامة وتاريخ الأندلس خاصة ، وكتب رسالته في فضل الأندلس بقلعة البونت ، والتي تعتبر وصفا للحركة الفكرية بالأندلس في عصره ، وتشكلت أفكاره في الملل والنحل ، ومن ثم اتجه لتصنيف كتابه الموسوعي (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، والذي بدأه بقرطبة بعد سنة 418هـ/1027م . وكتاب (الأصول والفروع) الذي صنفه سنة 420هـ/1029م (2).

ثامنا : المجتمع الأندلسي كان أحد أهم روافد ابن حزم التاريخية . فقد عاش ابن حزم لحظات " انحدار " التاريخ، في نفسه بما وقع عليه من نكبات ومصادرات عقب

1 عبد الباقي السيد : ابن حزم ، ص 88-93.

2 نفسه ، ص 92، 93.

وفاة أبيه ، وعقب سقوط الدولة الأموية ⁽¹⁾ ، ومن ثم وقف ملكاته على التاريخ جاعلا منه وسيلة وغاية، وكان " رد الفعل " لديه على ذلك الانحدار أن توقف عن كتابة التاريخ في الإطار التقليدي الذي عرف بالتأريخ الحولى أو التأريخ بالسنين ، ولجأ إلى طريقة أخرى مغايرة لما كان عليه ابن حيان وغيره من مؤرخي الأندلس المشاهير، وهذه الطريقة تمثلت في الاختصار والإيجاز للأحداث مع التركيز على الأحكام التي يحتاج إليها الحكام والرعية .

لقد كان للفتنة البربرية أثر كبير على نفسية ابن حزم وجيل الفتنة جميعا فانضوا يرثون قرطبة وقلوبهم تتمزق ، وكان ابن حزم أكثرهم لأنه غادر قرطبة إلى المرية ⁽²⁾ ، وتركها على حالة مغايرة تماما دفعته إلى أن يلتفت للتاريخ ليقارن حالها قبل التدمير وحالها بعد ما حل بها التخريب ، ومن ثم جاء وصفه قويا ومؤثرا كمؤرخ وصف وصفا بليغا للحالة التي أصبحت عليها قرطبة فقال : " وقفت على أطلال منازلنا بحومة بلاط مغيث من الأرباض الغربية، ومنازل البرابر المستباحة عند معاودة قرطبة. فرأيتها قد محت رسومها، وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلى؛ وآكلاماً مشوهة بعد الحسن، وخرائب مفزعة بعد الأمن، ومآوي للذئاب، وملاعب للجان، ومغاني للغيلان، ومكامن للوحوش، ومخابئ للصوص، بعد غنيانها برجال كالسيوف، وفرسان كالليوث، تفيض لديهم النعم الفاشية، وتغص منهم بكثرة القطين الحاشية، وتكنس في مقاصيرهم طباء الإنس الفاتنة، تحت زبرج من غضارة الدنيا تذكر نعيم الآخرة، حال الدهر عليهم بعد طول النضرة فبدد شملهم حتى صاروا في البلاد أيادي سبا، تنطق عنهم الموعظة، فكان تلك المحاريب المنمقة، والمقاصير المرشقة، التي كانت في تلك الديار كبروق السماء إشراقاً وبهجة، يقيد حسننها الأبصار، ويجلي منظرها

(1) ابن حزم ، طوق الحمامة ، تحقيق الطاهر مكي ، دار الهلال ، القاهرة ، 1412 هـ / 1992 م ، ص 245، 246 .

(2) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 247، 259 .

الهموم، كان لم تغن بالأمس، ولا حلتها سادة الإنس، قد عبث بها الخراب، وعمها الهزم، فأصبحت أوحش من أفواه السباع فاعرة، تؤذن بفناء الدنيا، وتريك عواقب أهلها، وتخبرك عما يصير إليه كل ما قد بقي ماثلاً فيها، وتزهّدك فيها. وكررت النظر، ورددت البصر، وكدت استطار حزناً عليها، وتذكرت أيام نشأتي فيها، وصباة لداتي بها؛ مع كواعب غيد، إلى مثلهن يصبو الحليم؛ ومثلت لنفسي انطواءهن بالفناء، وكونهن تحت الشرى إثر تقطع جمعنا بالتفرق والجلاء في الآفاق النائية، والنواحي البعيدة، وصدقت نفسي عن فناء تلك النصب، وانصداع تلك البيضة، بعد ما عهدته من حسننها ونضارتها وزبرجها وغضارتها، ونضوته بفراقها من الحال الحسنة، والمرتبة الرفيعة، التي رفلت في حللها ناشئاً فيها، وأرعت سمعي صوت الصدى والبوم زاقياً بها، بعد حركات تلك الجماعة المنصدعة بعرضاتها، التي كان ليلها تبعاً لنهارها، في انتشارها بسكانها، والتقاء عمارها، فعاد نهارها تبعاً لليلها في الهدو والاستيحاش، والخفوت والإخفاش. فأبكى ذلك عيني على جهودها، وقرع كبدي على صلابتها، وهاج بلابلي على تكاثرها، وحرمني للقول على نبو طبعي...؛ فقلت: [من الطويل]:

سلام على دار رحلنا وغودرت ... خلاء من الأهلين موحشة قفرا

تراها كان لم تغن بالأمس بلقعاً ... ولا عمرت من أهلها قبلنا دهرًا (1).

لم تكن الفتنة البربرية وحدها هي صاحبة التأثير على ابن حزم ليتكئ على التاريخ في توصيفه. بل تركت حادثة سقوط الخلافة على ابن حزم أثراً سوداويًا كما تركت

1 ابن حزم : طوق الحماة ، تحقيق الطاهر مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1977م ، ص126،127.

نفس الأثر على جيل الفتنة جميعا ، ولذا قال ابن حزم في ذهاب الدولة الأموية: " وبهدمها انهدمت الأندلس إلى الآن، وذهب بهاء الدنيا بذهابها " (1).

ولعل هذا الملمح الذي ذكره لنا ابن حزم في توصيفه لحال الأندلس عقب انفراط عقد الخلافة يتضح إذا ناقشنا نتائج وتبعات سقوط الخلافة على كافة المستويات لتتضح الصورة التي رسمها ابن حزم في كلماته السابقة ، ومن ثم سنجد على الصعيد السياسي . انهيار في البناء السياسي جملة ، وضاعت الوحدة ، وتفرق أمر الجماعة (2)، حيث اجتمع شيوخ قرطبة والوزراء برئاسة أبي الحزم بن جهور، واتفقوا على خلع المعتد بالله (آخر خلفاء بني أمية)، وإبطال رسم الخلافة جملة (3) ونودي في الأسواق والأرباض أن: لا يبقَ بقرطبة أحد من بني أمية، ولا يكتفهم أحد من أهل المدينة، وانتهى بذلك أمر بني أمية في الأندلس وزالت خلافتهم وانقطعت الدعوة لهم ، وأثرت تلك الواقعة تأثيرًا بالغًا في فكر ابن حيان، وجعلته يتابع مصير دويلات الطوائف، ويرصد العديد من الوقائع، وركز على انفراط وحدة الأندلس وتفرق ملكها إلى دويلات طائفية ، واقتسامهم ألقاب الخلافة (4).

وعلى الصعيد الاقتصادي وبعد انهيار الخلافة ثم سقوطها حدثت الانتكاسة وعم الكساد الاقتصادي (5) وتدهور العمران ، وحفل العصر بالآزمات إلى حدّ المجاعة

1 نقلا عن ابن عذارى : البيان المغرب 2 / 40.

2 حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1965 م ، ص 80

3 ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 138.

4 السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 363.

5 Miguel Asin Palacios: «Un código inexplorado del cordobés Ibn Hazm. Al-Andalus, 1934, 1, p, vol. 2 (1934) p. 40..

وأفل نجم قُرْطُبَة عمرانياً وبشرياً، وصور ابن حَيَّان الوضع قائلاً: "... وطمست أعلام قصر الزهراء... فطوي بخرابها بساط الدنيا وتغير حسناتها؛ إذ كانت جنة الأرض، فعدا عليها قبل تمام المائة من كان أضعف قوة من فارة المسك، وأوهن بنية من بعوضة النمرود، والله يسلط جنوده على من يشاء، له العزة والجبروت" (1).

وتحولت المدن التجارية المزدهرة إلى قلاع وحصون عسكرية، وهو الأمر الذي لقي تنديد ابن حَيَّان، ويشيع ذلك في صفحات كتابه المتين ومثال ذلك ما أشار إليه في فطنة بالغة عن سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة الوضع المتردي في بمدينة بَطْلَيْوُس نتيجة النزاع بين المعتضد بن عَبَّاد والأفطس، فقال: " بقيت بَطْلَيْوُس مدةً خالية الدكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها في وقعة ابن عَبَّاد هذه بفتيان أغمارٍ إلا الشيوخ والكهول الذين أصيبوا يومئذٍ. فاستدللت بذلك على فشو المصيبة " (2)؛ ولجأ الملوك من أجل إرضاء نزواتهم وتحقيق لذاتهم إلى إثقال كاهل رعاياهم بالضرائب؛ فانعكس ذلك الوضع في كتابات ابن حَيَّان؛ فوصف ذلك الوضع المتردي في مرارة واضحة بقوله: " فما أقول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها؟ هل هي إلا مشفية على بوارها واستئصالها؟ ولقد طمى العجب من أفعال هؤلاء الأمراء: أمورٌ لو تدبَّرها حكيم إذن لنهى وهب ما استطاعا" (3).

وعلى الصعيد الاجتماعي شهد المجتمع الأندلسي في ظل الخلافة والحِجَابَة مرحلة المزج والانصهار بين العرقيات المتنوعة ليحدث نوع من التجانس لم تشهده الأندلس

1 نقلا عن: ابن بَسَّام: الذخيرة، 1/ 272.

2 ابن بَسَّام: الذخيرة، 1/ 239؛ وانظر: أحمد بدر: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري، دمشق، 1974م، ص 242.

3 ابن بَسَّام، مصدر سابق، 3/ 117.

من قبل؛ إلا أن السخائم العرقية والإقليمية عادت مرة أخرى لتؤثر سلباً في هذا التجانس، ولتمزق وحدة الأندلس من جديد⁽¹⁾ بظهور النزعة العنصرية.

وقد كانت هناك طبقة الأمراء والحكام وذوو الثراء وأصحاب الوظائف الكبرى، وكانوا يمتلكون ثروات طائلة تمثلت في الضياع الواسعة، والقصور الخاصة، وتفننوا في صنوف من البذخ، كما رصد ابن حيّان انحراف الحُجّاب والوزراء، واستطاع أن يلقي الضوء حول طبيعة حياة الأمراء من خلال المعيشة، وقد أشار إلى ما أصاب أهل الأندلس من نفاق وقلة وفاء وميل مع من يبقى في المنصب، كما لم يغب عنه أن يصور بعض تجاوزات الولاة وظلمهم، كما صور دور الجوّاري في بلاط حكام الأندلس، وانتقد ما كُنَّ يَقمَن به من دسائس. وهذه الرؤية النقدية ما كانت لتحدث لولا ظروف عصره التي دفعته إلى ذكر ما وصل إليه حال الأندلس من انقسام وتفكك⁽²⁾.

الجدير بالذكر أن معاصرة ابن حيّان المؤرخ الأندلسي الفذ لابن حزم أعطت الأخير النموذج الكبير لمعنى التاريخ، فأقنعه بأنه ما دام قد أثر الشريعة فإنه لا يستطيع أن ينقطع للتاريخ انقطاعاً كما فعل ابن حيّان. لقد كان ابن حزم غير راض عن ملوك الطوائف قبل أن تحرق كتبه، وإن أُلجّأته الضرورات إلى العيش في كنف الصالحين منهم كصاحب قلعة البونت أو كأحمد بن رشيق وزير مجاهد في ميورقة، ومن ثم فهو القائل في مفتتح إحدى رسائله: "اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، ويجمع أموال ربما كانت سبباً إلى انقراض

1 محمود إسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، المغرب، ط1، 2008م، ص 70.

2 عادل عبد المنعم: النقد الاجتماعي عند المؤرخين والكتاب الأندلسيين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ص 95، 79.

أعمارهم وعونا لأعدائهم عليهم عن حياطة ملتهم التي بها عزوا في عاجلتهم وبها يرجون الفوز في آجلتهم... " (1) .

ويقول في موضع آخر من رسائله عندما سئل عن الفتنة التي ضربت الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ وتفرق الأمر وتعدد الخلافة في مدن الأندلس : " وأما ما سألتكم عنه من أمر الفتنة وملابسة الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السلامة ، وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب ، وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن في أندلسنا هذه أولها عن آخرها محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد للذي ترونه عيانا من شنههم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارهم وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي ينقضون على أهلها ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله ، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيبهم فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق والمتسبون إلى الفقه اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم الناصرون لهم على فسقهم فالمخلص لنا فيها الإمساك للألسنة جملة واحدة إلا عن أمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذم جميعهم ... فإنما هي جزية على رؤس المسلمين يسمونها بالقطيع ويؤدونها مشاهرة ، وضريبة على أموالهم من الغنم والبقر والدواب والنحل يرسم على كل رأس وعلى كل خلية شيء ما وقبالات ما تؤدي على كل ما يباع في الأسواق وعلى إباحة بيع الخمر من المسلمين في بعض البلاد . هذا كل ما يقبضه المتغلبون اليوم ، وهذا هو هتك الأستار ونقض شرائع الإسلام وحل عراه عروة عروة وإحداث دين جديد والتخلي من الله عز وجل ، والله

لو علموا أن في عبادة الصليبان تمشية أمورهم لبادروا إليها ، فنحن نراهم يستمدون النصرارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم ، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحسره معهم آمنين ، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس ، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه " (1).

ومن كان يحمل هذه النظرة، فإنه لا يرى في اللجوء إلى التاريخ " منقذا " لنفسه ولغيره، بل هو يرى فيه تخليدا لأعمال ظالمة لا يقرها، ولا تضيف شيئا كثيرا إلى العبرة المستمدة من سير الظالمين على مدى العصور، ومن ثم فقد اتخذ ابن حزم من التمثيل بالظاهر حجابا يحول بينه وبين تقديم الفتاوى لهؤلاء المفسدين أو المشاركة في تسويغ أفعالهم؛ وقد لحظ هو وابن حيان معا ظاهرة التعاون بين بعض الفقهاء والحكام فسمى هو مثل أولئك العلماء فساقا يتسبون إلى الفقه، ويلبسون جلود ضأن على قلوب سباع، ويزينون لأهل الشر شرهم (2) . وقال ابن حيان يصف وحدة الحال بين الفريقين " : ولم تزل آفة الناس مذ خلقوا في صنفين منهم، هم كالملاح فيهم، الأمراء والفقهاء، قلما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يصلحون، وبفسادهم يردون، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفهم لدينا هذين، بما لا كفاية له ولا مخلص منه، فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق... والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صدوف عما أكد الله عليهم في التبيين لهم، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم، خائض في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم آخذ بالتقية في صدقهم، وأولئك

(1) أنظر: رسالة التلخيص لوجه التخليص، رسائل ابن حزم، 3/173-176.

2 أنظر: رسالة التلخيص، 3/174.

هم الأقلون فيهم، فما القول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها!"⁽¹⁾.

لقد وسع ابن حيان من جنبات التاريخ ليصبح شاهدا لا على عصره وحده، بل على تاريخ الأندلس كله، معتمدا التفصيلات التي لا يكاد يضيع منها شيء ، شاملا بنظره جميع مظاهر الحياة الإنسانية، واقفا في الوقت نفسه موقف الإدانة لعصره - كما فعل ابن حزم - إلا أنها إدانة شمولية موثقة بشواهدا⁽²⁾ .

وأما ابن حزم فضاق نطاق التاريخ عنده ، ولذلك اكتفى بأن يستخدمه في غايات محددة لا يعدوها: منها الغاية التعليمية التي جعلته يتوفر على تلخيص ما لا بد للدارس من معرفته، فلخص السيرة والفتوح الإسلامية وأسماء الخلفاء في المشرق والمغرب ومدد حكم كل منهم، ولخص أنساب العرب والبربر في موجز جامع؛ ومنها الاستدلال بالتاريخ على القضايا المتصلة بالأديان وتواريخها، ولهذا لخص تاريخ اليهود - لا من أجل التاريخ نفسه، بل من أجل أن يثبت عدم التزام اليهود بالنسبة في أكثر العهود؛ ومنها إثارة النظر الإنساني إلى العجائب وال نوادر، ولهذا ذهب يجزئ التاريخ في قضايا صغيرة مثيرة، فكتب "نقط العروس"⁽³⁾.

1 نقلا عن ابن بسام: الذخيرة 3/1: 180 - 181.

2 محمود مكي: تقديمه لمقتبس ابن حيان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1977م، ص: 87.

3 إحسان عباس: تقديمه لمجموعة الرسائل التاريخية لابن حزم، رسائل، 20/2.

الفصل الثالث

أجناس الكتابة التاريخية عند ابن حزم

المبحث الأول : السيرة النبوية

المبحث الثاني : التراجم والطبقات

المبحث الثالث : التاريخ المحلي (تاريخ المدن)

المبحث الرابع : تاريخ الدول والحكام

المبحث الخامس : تاريخ الفتوح

المبحث السادس : الأنساب ومعاجم الشيوخ

المبحث السابع : تاريخ الأديان والفرق والأفكار

المبحث الأول : السيرة النبوية

تنوعت أشكال الكتابة التاريخية ومجالاتها عند ابن حزم ، واستطاع أن يقدم لنا تراثاً تاريخياً متنوعاً في شتى فروع وأجناس الكتابة التاريخية ، والتي يمكن أن نصيغها في المباحث التالية :

المبحث الأول : السيرة النبوية :

• السيرة لغة: تطلق السيرة في اللغة على السنّة، والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان، قال تعالى (سنعيدها سيرتها الأولى) (1).

• اصطلاحاً: هي ما نقل إلينا من حياة النبي ﷺ منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث ووقائع حتى موته.

وتشتمل السيرة على ميلاد النبي ونسبه، ومكانة عشيرته، وطفولته وشبابه، ووقائع بعثته، ونزول الوحي عليه، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعجزاته التي أجراها الله تعالى على يديه، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، وجهاده وغزواته.

وقد تكون السيرة مرادفة لمعنى السنة عند علماء الحديث، وهو ما أضيف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. كما تعني عند علماء العقيدة وأصول الدين طريقة النبي وهديه، كما فعل ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد . أما عند المؤرخين فإنها تعني أخبار النبي ومغازيه ، وهو ما يتضح من كتاب ابن عبد البر النمرى : ط الدرر في اختصار المغازي والسير " .

وتشمل السيرة النبوية في نطاقها الزمني من ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل وحتى وفاته في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وهي في مجملها ثلاث وستون سنة، وهي بالميلادي (571 - 632 م).

وقد عرفت الأندلس مؤلفات القرنين الأول والثاني الهجريين في السيرة النبوية ومنها:

- 1- صحف عروة بن الزبير (ت ٩٢ هـ) .
- 2- صحف أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) .
- 3- السيرة لابن شهاب الزهري (ت ١٢٠ هـ) .
- 4- مغازي موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ) .
- 5- سيرة ابن اسحاق (ت ١٥١ هـ) (١) .

كذلك انتشرت بالأندلس مؤلفات القرن الثالث والرابع الهجريين ومنها :

- 1- السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المصري (ت ٢١٨ هـ) .
- 2- مغازي الواقدي : محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) .
- 3- كتاب المغازي لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211 هـ)
- 4- كتاب تهذيب مغازي ابن إسحاق لابن هشام (ت 218 هـ) .
- 5- كتاب في " فضائل النبي " و " مغازي الرسول " ، لعبد الملك بن حبيب .
- 6- أعلام النبوة لأبي داود السجستاني (ت 275 هـ)
- 7- تاريخ أبي بكر بن أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي (ت 279 هـ) .

1 ليث سعود : ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط 2 ، 1408 هـ / 1988 م ، ص 251 .

- 8- السيرة من كتاب تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).
- 9- السيرة من كتاب مروج الذهب : علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ).
- 10- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء : محمد ابن حبان التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ).
- 11- أسماء رسول الله ومعانيها : أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) (١).

ومما سبق يتضح أن الأندلسيين كانوا يعولون في السيرة النبوية على كتب المشاركة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ومع مطلع القرن الخامس الهجري وجدنا مدرسة متميزة في تدوين السيرة النبوية حمل لواءها ابن حزم الأندلسي من خلال كتابه جوامع السيرة ، وكتابه حجة الوداع ، فضلا عن التنف الأخرى التي صاغها في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢) ، وكذا كان ممن بز من الأندلسيين بشأن تدوين سيرة النبي ابن عبد البر النمري من خلال كتابه الماتع الدرر في اختصار المغازي والسير (٣).

لقد كان ابن حزم يرمي من وراء تصنيفه كتابه " جوامع السيرة " إلى وضع مختصر قريب المأخذ، سهل المتناول، في أيدي طلابه، وأنه كان في هذا المختصر يضع الأصول التي لا يستغني عن تذكيرها أو استظهارها كل من اشتغل بالسيرة النبوية من طلاب العلم ، ومن ثم فقد كتب ابن حزم سيرته بأسلوب يغاير أساليب أهل عصره ومن ذلك :

أولا : أنه تجاوز عن الإسناد تماما في كتابه .

1 نفسه ، ص 252، 253.

2 عبد الحليم عويس : ابن حزم ، ص 223.

3 ابن عبد البر : الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق شوقي ضيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1431هـ/ 2010م ، ص 5-22.

ثانيا : أنه لم يذكر قائمة مصادره كاملة . بل اكتفى بالإشارة إلى من نقل عنهم كخليفة بن خياط والواقدي ، وأبي حسان الزياتي (1).

قد تكون هذه الغاية التعليمية باعثاً أكيداً، يحدو عالماً مثل ابن حزم إلى كتابة السيرة النبوية، ولكنها ليست كل ما هنالك من بواعث، ومن يعرف قيمة النقل والاستكثار من السنن في مذهب أهل الظاهر عامةً، وعند ابن حزم خاصة والسيرة جزء هام من هذا النقل يجد أن تناول ابن حزم للسيرة بالنظر الجديد، والتحديد والتقيد، إنما هو جزء من مذهبه. فالنقل أساس من أسس المذهب الظاهري ، بل ميزة يعدها ابن حزم للملة الإسلامية على سائر الملل؛ وعن طريق النقص في النقل، وضعف الثقة في الناقلين، هاجم ابن حزم الملل الأخرى، ورآها أضعف من أن تثبت للنقد الصحيح. غير أن سيرة الرسول ليست جزءاً من النقل فحسب، بل هي صورة عليا من الكمال الإنساني، في نفس ابن حزم، ولذلك لا غرابة في أن يجعل منها موضوعه المحجب، وأن يحاول وضعها للناس وضعاً ميسراً قريباً واضحاً بين الحقائق (2). لذا فهو القائل : "من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليعتمد أخلاقه وسيره ما أمكنه" (3) .

وقد ذكر ابن حزم عدة كتب من المصادر التي نقل عنها، وهم : تاريخ أبي حسان الزياتي، وتاريخ خليفة بن خياط ، والواقدي (4)، وهى من الكتب التي فقدت، وبقيت منها نقول ماثلة في بعض الكتب التاريخية ؛ ولا ندري أطلع عليها ابن حزم،

1 ليث سعود جاسم : ابن عبد البر الأندلسي، ص 411، 412.

2 إحسان عباس وناصر الأسد : مقدمة جوامع السيرة لابن حزم ، دار المعارف بمصر ، ص 5، 6.

3 أنظر : مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق ، ص 13.

4 أنظر : جوامع السيرة ، ص 33 ، 35 ، 36 ، 39.

أم نقل عنهما نقلاً غير مباشر. أما الذي لا شك فيه فهو أن تاريخ خليفة قد وصل الأندلس في عهد مبكر، برواية بقي بن خلد، وبقي عند ابن حزم شيخ المفسرين والمحدثين (1).

ولا شك أن ابن حزم اطلع على كثير من الكتب المؤلفة في سيرة الرسول، ونخص بالذكر منها مغازي موسى بن عقبة، وكتاب السير لسعيد بن يحيى الأموي، وأعلام النبوة لأبي داود السجستاني، وأعلام النبوة لأبي جعفر أحمد بن قتيبة، فكل هذه الكتب، وغيرها، هاجر إلى بلاد الأندلس، وتداوله الأندلسيون روايةً ودراسةً (2).

ويدلنا البناء العام لكتاب السيرة، على أن ابن حزم يتكئ كثيراً على سيرة ابن إسحاق - التي اختصرها ابن هشام وهذبا -، وخاصة حين أخذ في الحديث عن غزوات الرسول واحدة واحدة، وعد في كل غزوة أسماء من شهدها من المسلمين والمشركون، وأسماء من استشهد من المسلمين، حتى إن شدة اتباعه لرواية ابن إسحاق في هذه المواطن لتطلعنا على ظاهرة عجيبة، فقد حافظ ابن حزم على النسب الكامل لأكثر من ذكرهم من الأشخاص، وليس هذا مما يستغرب منه وهو صاحب الجمهرة في الأنساب إنما الغريب حقاً أنه في السيرة اختار رواية ابن إسحاق نفسه في النسب، بينما لم يأخذ بها في الجمهرة. فلعله ألف الكتابين في فترتين متباعدتين، أو لعل مصادره في الجمهرة كانت كتباً أخرى، ليست تحتوي على رواية ابن إسحاق.

1 أنظر: رسالة في فضل الأندلس، ص 178، 179.

2 ابن خير: الفهرست، ص 230 - 237.

وقد أفاد ابن حزم في كتابه جوامع السيرة، مما صنعه صاحبه ومعاصره أبو عمر ابن عبد البر، مؤلف كتاب "الدرر في اختصار المغازي والسير" ⁽¹⁾، إلا أن نفترض أن المؤلفين ابن عبد البر وابن حزم ينقلان عن مصدر ثالث لم يصل إلينا.

ولقد ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أن ابن حزم تابع ابن عبد البر في كتابه ونقل عنه في مواضع عديدة ، وقدم نماذج لقوله هذا منها :

1- متابعة ابن حزم لابن عبد البر في ترتيب الغزوات .

2- نقل ابن حزم بعض الغزوات نصا من كتاب الدرر لابن عبد البر .

3- موافقته لابن عبد البر في تصحيح بعض الأحداث كالقول بأن ابا موسى الأشعري لم يكن ممن هاجر إلى الحبشة ، والقول بأن ذا الشمالين استشهد ببدر ، وهو غير ذي اليمين .

4- متابعته لابن عبد البر في بعض الأخطاء اللغوية التي وقعت في النسخة التي اعتمد عليها كقلب اسم أنس بن النضر إلى النضر بن أنس وجاء هكذا في كتاب الدرر لابن عبد البر وفي كتاب الجوامع لابن حزم ⁽²⁾.

ومهما يكن من أمر نقل ابن حزم عن ابن عبد البر أو نقلهما عن مصدر ثالث فق كتب ابن حزم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وميز بالعناية البالغة فصلين هامين منها، هما: أعلام الرسول ⁽³⁾، وخلق وشيئله . وهذان هما الموضوعان اللذان ذكرهما

1 انظر : عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، 1 / 110؛ الإشارة في جوامع السيرة ، تعليق رقم 1 ص 52.

2 ليث سعود : ابن عبد البر ، 413، 412.

3 أعلام النبي هي الخوارق والمعجزات التي جرت على يدي النبي ، وكان من اليات المعجزة لمزيد من التفاصيل عنها أنظر : الماوردى : أعلام النبوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1406هـ/1986.

في كتاباته الأخرى، لأنها شاهدة حق على نبوة الرسول، ولأن ثانيهما يمثل الجانب العملي في الكمال الخلقي.

ويمكننا أن نعرف مدى التميز الذي تميز به ابن حزم في جوامعه، ومدى القيمة التي قدمتها لنا السيرة التي دونها من خلال عرض الرأي الخاص بابن حزم في مسائل كثر حولها الاختلاف، وخاصة تأريخ الأحداث وزمان وقوعها، ومن ذلك:

أولاً : قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: "وفي مرجع الناس من غزوة بني المصطلق، قال أهل الإفك ما قالوا، وأنزل الله تعالى في ذلك من براءة عائشة رضي الله عنها، ما أنزل، وقد روينا من طرق صحاح أن سعد بن معاذ كانت له في شيء من ذلك مراجعة مع سعد بن عباد، وهذا عندنا وهم، لأن سعد بن معاذ مات إثر بني قريظة بلا شك وفتح بني قريظة في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة، بعد سنة وثمانية أشهر من موته، وكانت المقولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة" (1).

ثانياً : وقال بعضهم: كانوا "أي المسلمين في عمرة الحديبية" سبعمائة، قال ابن حزم: "وهذا وهم شديد ألبة، والصحيح بلا شك ما بين ألف وثلاثمائة، إلى ألف وخمسمائة" (2).

وبهذه الأمثلة، ومثلها كثير، تظهر لنا ميزة "جوامع السيرة"، وبما تنفرد عن غيرها من السير، وبما يتميز ابن حزم المؤرخ في طريقتة التاريخية، فهذه الدقة البالغة في تحليل النص المنقول، واختيار الرواية الصائبة بعد الفحص والنظر والمقارنة، وتصحيح

1 أنظر: جوامع السيرة، ص 206.

2 أنظر: جوامع السيرة، ص 207.

الأوهام التي تنجم عن سرعة أو قلة تدقيق ... هذه هي المميزات التي لا يستطيع أحد أن ينكرها على ابن حزم المؤرخ ، وهي مميزات لا يستكثر معها تلك اللهجة التقريرية القاطعة التي تغلب على كتابته، ولا يستنكر إزاءها قوله دائماً، "لا شك" و"لا بد". فإن الثقة القائمة على التحري المخلص، والنقل الثابت قطعاً، هي وحدها التي تملئ على ابن حزم هذه الألفاظ القوية الحاسمة (1).

لقد عرف أبو محمد بين معاصريه بالضبط الدقيق في تقييد التواريخ، حتى إن تلميذه الحميدي في جذوة المقتبس لا يفتأ يقول كلما وجد رواية أستاذة تخالف رواية غيره: "وأبو محمد أعلم بالتواريخ" (2) ; ومن ثم فقد جاءت هذه السيرة تحمل رأياً قاطعاً لا تردد فيه، في تأريخ الأحداث لا لأن ابن حزم مؤرخ شديد الدقة والضبط فحسب، "بل لأنه ذو رأي مستقل في طريقه التأريخ الهجري. فهو يعتبر شهر ربيع الأول وهو الشهر الذي هاجر فيه الرسول إلى المدينة أول السنة الهجرية، محرراً بذلك تأريخ وقائع السيرة، ينسبها إلى الوقت الذي وقعت فيه الهجرة فعلاً. لا يقصد بذلك مخالفة التاريخ الهجري الذي استقر عليه المسلمون جميعاً، منذ عهد عمر إلى الآن، وإلى ما شاء الله، وهو اعتبار شهر المحرم بدء السنة الهجرية". فصنيعه هذا من الناحية التأريخية الصرفة أدق في التوقيت وأقرب إلى الواقع التاريخي. وخاصة حين أصبح المؤرخون يقولون: إن هذه الحادثة أو تلك حدثت في السنة الثانية أو الثالثة، وانصرفوا عن مثل قول الواقدي إنها حدثت مثلاً - على رأس خمسة عشر أو ستة عشر شهراً من مقدم الرسول إلى المدينة، ووضح أن بين التعبيرين فرقاً يذهب بعدد من الأشهر، بعد إذ اعتبر المحرم رأس السنة الهجرية (3).

1 إحسان عباس وناصر الأسد : مقدمة جوامع السيرة ، ص 9، 10.

2 أنظر : الجذوة ، ص 249.

3 إحسان عباس وناصر الأسد : مقدمة جوامع السيرة ، ص 11، 10.

ولعل من الأمور التي ميزت جوامع السيرة أيضا تأصيل ابن حزم للمنهج النقدي للأخبار والروايات ، أو ما عرف حديثا بفلسفة التاريخ حال طرحه لبعض الأخبار، وليس أدل على ذلك من رفضه لما رواه المؤرخون والمفسرون من أن ثعلبة بن حاطب منع الزكاة فنزل فيه قوله تعالى : (ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون* فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) [سورة التوبة الآيات 75-77] لأن شهوده بدرا يبطل ذلك (1).

ولأهمية كتاب جوامع السيرة فقد اعتنى به المؤرخون وغيرهم عناية فائدة واستفادوا منه ونقلوا عنه ، ومن هؤلاء :

- 1- علي بن محمد بن سعود الخزاعي (ت:789هـ)، في كتابه (تخريج الدلالات السمعية) (2).
- 2- ابن الوزير في كتابه الروض الباسم (3).

وإلى جانب جوامع السيرة فقد كانت لابن حزم إسهامات أخرى في السيرة النبوية منها إفراده حجة الوداع بكتاب جمع فيه بين المنهج التاريخي والحديثي مع ترجيحات فقهية ، تؤكد عظمة ابن حزم في توظيفه العلوم البينية ، وقد ضمن ابن حزم كتابه تسعة

(1) أنظر : جوامع السيرة ، ص 98 ; عبد الباقي السيد : ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي ، ص 259 ، وقد احتج ابن حزم لقوله بما رواه البخاري أن الرسول قال (لعل الله اطلع على من شهد بدرا قال : اعملوا ما شئتم إنني قد غفرت لكم) رقم 4274.

2 أنظر : تخريج الدلالات السماعية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ص 813.

3 أنظر : الروض الباسم ، 1 / 61.

وعشرين فصلاً ، جمعت ما بين الوصف ، ودرء التعارض بين الروايات ، وتحقيق بعض الخلافات الفقهية ، وكذا الحديثية (1).

أما عن مصادر ابن حزم في كتاب حجة الوداع فيمكن أن نجعلها على نوعين:

الأول : المظان الحديثية ومنها :

1. (المُسْنَدُ) لحماذ بن سلمة (ت: 176هـ).
2. (الموطأ) للإمام مالك بن أنس (ت: 179هـ).
3. (المصنّف) لوكيع بن الجراح (ت: 197هـ).
4. (حديث) سفيان بن عيينة (ت: 198هـ).
5. (المصنّف) لعبد الرزاق الصنعاني (ت: 211هـ).
6. (المُسْنَدُ) لأبي بكر الحميدي (ت: 219هـ).
7. (المُسْنَدُ) لأبي بكر ابن أبي شيبة (ت: 235هـ).
8. (حديث) إسحاق بن راهويه الحنظليّ (ت: 238هـ).
9. (حديث) عبد الملك بن حبيب السلمي (ت: 239هـ).
10. (مسائل) الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ).
11. (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَنَهُ وَأَيَّامِهِ) لأبي عبد الله محمد بن أسماعيل البخاري (ت: 256هـ).
12. (المسند) لابن سَنَجَر (ت: 258هـ).
13. (المُسْنَدُ الصحيح المختصر من السنن) بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ).
14. (السنن)، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 275هـ).

1 أنظر : حجة الوداع ، تحقيق عبدالحق التركمانى ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، 1429هـ .

15. (حديث) هلال بن العلاء القُتيبي (ت: 280هـ).
16. (تاريخ) أبي زرعة الدمشقي (ت: 281هـ).
17. (حديث) علي بن عبد العزيز البغوي (ت: 286هـ).
18. (حديث) محمد بن عبد السلام الحُشَني (ت: 286هـ).
19. (المسند) لأبي بكر البزار (ت: 292هـ).
20. (السنن الكبرى) لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسائي (ت: 303هـ).
21. (حديث) أبي خَلِيفة الجُمَحي (ت: 305هـ).
22. (حديث) أبي يحيى زكريا الساجي (ت: 307هـ).
23. (حديث) محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ).
24. (الضعفاء) لأبي جعفر العقيلي (ت: 322هـ).
25. (حديث) ابن الجهم (ت: 329هـ).
26. (المصنّف) لابن أيمن (ت: 330هـ).
27. (المُجْتَنَى) لقاسم بن أصبغ (ت: 340هـ).
28. (مناسك الحج) لأبي ذرّ عبد بن أحمد الهروي (ت: 434هـ).

الثاني : المظان الفقهية ومنها :

- 1- مختصر المزني.
 - 2- اختلاف العلماء للطحاوي الحنفي المصر .
 - 3- الجمع بين الأحاديث المروية في حجة الوداع للطحاوي .
- ومما لا شك فيه ان مطالعات ابن حزم الفقهية بشأن هذا الكتاب كانت متعددة ، والمطالع لمصنفاته الفقهية الأخرى يدرك ذلك لا سيما كتابه المحلى بالآثار⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب حجة الوداع الذي عالج جزئية غاية في الأهمية من جزئيات السيرة . بل حادثة من أعظم حوادث السيرة إذ إن هذه الحجة وقع فيها من اجتماع الصحابة ن ومن كلام النبي ، واكتمال اشريعة ما كان حري بمؤرخ كابن حزم أن يتناولها تناولا جعل العلماء من بعده يعولون على كتابه ويولونه عناية واضحة ، روايةً واقتباساً وثناءً ، ومن هؤلاء :

1. عبد الحق الإشبيلي (ت 582هـ)، في كتابه (الأحكام الوسطى).
2. ابن عربي الصوفي الظاهري صاحب الفتوحات المكية (ت 638هـ)، في كتابه (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار).
3. العلامة محيي الدين بن شرف النووي (ت 677هـ)، في كتابه (المجموع شرح المذهب)، و(شرح صحيح مسلم).
4. محب الدين الطبري (ت 694هـ)، في كتابه (القرى لقاصد أم القرى).
5. شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ)، في (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية).
6. الحافظ ابن سيد الناس (ت 734هـ)، في كتابه (عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير).
7. الحافظ الذهبي (ت 748هـ)، في كتابه (السيرة)، وذكر أنه يقع في (120) ورقة.
- 8- الإمام ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد)، (تهذيب السنن).
9. العلامة خليل بن أبيك الصفدي (ت 764هـ)، في كتابه (الوافي بالوفيات)، في سياق ذكر مؤلفات ابن حزم.
10. عز الدين بن جماعة (ت 767هـ)، في كتابه (هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك).

11. الحافظ ابن كثير (ت774هـ)، في كتابه (البداية والنهاية)، حيث قال: (وَقَدْ اعْتَنَى النَّاسُ بِحُجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتِنَاءً كَثِيرًا مِنْ قُدَمَاءِ الْأَيَّامِ وَمُتَأَخِّرِيهِمْ، وَقَدْ صَنَّفَ الْعَلَّامَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، مُجَلَّدًا فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ أَجَادَ فِي أَكْثَرِهِ...) (1).
12. العلامة علي بن محمد بن سعود الخزاعي (ت789هـ)، في كتابه (تخريج الدلالات السمعية) (2).
13. الفقيه ابن الملق (ت804هـ)، في كتابه (البدر المنير)، وفي (الإعلام بفوائد عمدة الأحكام).
14. الحافظ العراقي (ت806هـ)، في كتابه (ذيل ميزان الاعتدال).
15. الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، في كتابه (فتح الباري)، وكتاب (التلخيص الحبير).
16. الفقيه بدر الدين العيني (ت855هـ)، في كتابه (عمدة القاري).
17. الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت924هـ)، في كتابه (سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وإعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد) (3).
- ولا بن حزم رسالة مفردة أخرى في السيرة النبوية وسمها بـ: "جمل من التاريخ" جعلها لصغار الطلبة تسهيلات لهم لتعلم سيرة النبي (4).

1 أنظر: البداية والنهاية، 139/5.

2 أنظر: تخريج الدلالات السماعية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ص813.

3 أنظر: حجة الوداع، ص22-40.

4 أنظر: جمل من التاريخ، تحقيق ابن عقيل، عبدالحليم عويس، دار الاعتصام، القاهرة، 1977م، ص11-25.

كذلك عرض ابن حزم لموضوعات متفرقة من سيرة النبي في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل ، وذلك في سياق رده على الشبهات التي روجها أعداء الإسلام ضد النبي محمد ، وقد حصر هذه الشبهات في ثمانى شبهات وهى :

- 1- قصة عبس وتولى .
- 2- الغرانيق .
- 3- تأخر الوحي لعدم تقديم النبي المشيئة .
- 4- قصة زواج زينب بنت جحش .
- 5- قبول النبي الفداء في أسرى بدر .
- 6- قول النبي إنه لو كان مكان يوسف بن يعقوب لأجاب الداعى للخروج من السجن .
- 7- خطأ النبي في الصلاة .
- 8- زعم البعض شك النبي في الوحي ⁽¹⁾ .

ويبرز لنا كتاب المحلى - أهم وأخطر كتب ابن حزم الفقهية - اهتمام ابن حزم بالتاريخ والجوانب الحضارية ⁽²⁾ ومن أهمها على الإطلاق ما يخص سيرة الرسول والراشدين كحديثه عن مراسلة الرسول للملوك والأمراء ، وحديثه عن وجوب الخلافة في قريش ، وحديثه عن الإسراء والمعراج ، وحديثه عن عمال الخلفاء الراشدين على البلاد وغير ذلك ⁽³⁾ مما يؤكد على عمق نظرة ابن حزم للتاريخ واستحداثه منظورا

1 أنظر : الفصل ، 21/4-31.

2 شغلنا أنفسنا بهذا الموضوع منذ سنوات عدة ، وبدأنا بالفعل في العمل فيه تحت مسمى : " الجوانب التاريخية والحضارية في المحلى لابن حزم " ، وقطعنا فيه شوطا لا بأس به ، ونسأل الله العون والتوفيق لالنتهاء منه .

3 أنظر المحلى ، ج 1 مسائل رقم 43 ، 66 ، 86 ، 87 ، 93 ، 100 ، 99.

جديدا في التعامل مع التاريخ كأحد أخطر العلوم التي تتداخل مع جل العلوم إن لم تكن كلها.

المبحث الثاني : التراجم والطبقات :

شهدت الكتابة في مجال التراجم والطبقات تطوراً ملموساً. ففي محتوى كتب التراجم هذه تسجيل لتاريخ الحياة الفكرية والاجتماعية إلى جانب الحياة السياسية لعصور هؤلاء الرجال⁽¹⁾.

وقد لجأ المؤرخون المسلمون من كتاب التراجم والسير إلى طريق الاتصال المباشر للشخص المترجم له والقرب منه . وقد يستمد مؤرخ التراجم والسير معلوماته عن طريق السماع والنقل الشفهي، فيتلقى المؤرخ أخبار من يترجم له سيرته وحياته سامعاً عن هذا أو ناقلاً عن ذاك⁽²⁾. ولا شك أن أصحاب التراجم كانوا أكثر تحفظاً من الإخباريين في النقل من كتب السابقين ، وذلك لترشيهم في جمع العناصر، لأنهم لا يكتبون لنيل الجوائز المادية، والمنح المالية، من أصحاب السلطة والوجهاء من رجال الدولة. بل لأنهم يعرفون أن مصنفاتهم ستكون أكثر تداولاً، وأكثر تعرضاً للفحص والنقد⁽³⁾.

ومن أبرز من صنف في هذا النوع من الكتابة التاريخية عبد الملك بن حبيب الذي صنف كتاباً عن " فضائل مالك بن أنس " لكونه من أوثق أصحاب الإمام مالك⁽⁴⁾.

(1) هاملتون جب : دراسات في حضارة الإسلام، ص 161؛ وانظر : شاکر مصطفى: التاريخ

العربي والمؤرخون، 382/1؛ فاروق عمر فوزي: التدوين التاريخي، ص 76.

(2) محمد عبد الغني حسن: التاريخ عند المسلمين، ص 64-65.

(3) ليفي بروفنسال: مؤرخو الشرفاء، (المناهج التاريخية)، ع4، ص 181.

(4) الحشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، ص 246؛ وانظر : ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 12.

ومن أشهر المؤلفين الأندلسيين الذين صنفوا في التراجم والطبقات محمد ابن عبد الرؤوف (ت 343هـ/ 955م) له تأليف (في الأخبار والتواريخ وطبقات الشعراء بالأندلس). بلغ فيه الغاية في الإتقان⁽¹⁾.

ومن ساهم بالتأليف في التراجم والطبقات عثمان بن ربيعة (ت 310هـ/ 922م) الذي صنف كتابه "طبقات الشعراء بالأندلس"⁽²⁾، وألف محمد بن هشام بن عبد العزيز (ت 340هـ/ 951م) كتاباً في أخبار الشعراء بالأندلس⁽³⁾، ويأتى محمد بن حارث الخشني (ت 361هـ/ 971م) بكتابين مهمين في الطبقات أحدهما يعرف "بقضاة قرطبة" والآخر "بطبقات الفقهاء والمحدثين". ويعتبر الخشني من أبرز مؤرخي الطبقات في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي رغم أنه قيروانى المولد، لكنه حل بمدينة قرطبة، وتلمذ على كبار علمائها⁽⁴⁾، وقد اعتمد الخشني في كتابه "قضاة قرطبة" على مجموعة من الوثائق المهمة منها الخطابات المتبادلة بين الحكام والقضاة⁽⁵⁾. مما يؤكد على أهمية الوثائق كأحد مصادر التدوين التاريخي.

ويعد كتاب "طبقات النحويين واللغويين" للزبيدي (ت 380هـ/ 990م) من أهم الكتب التي تناولت الحياة الاقتصادية، والثقافية التي عاشها العلماء والحكام، فقد كان واحد عصره في علم النحو، بالإضافة إلى علم السير والأخبار. وعلى هذا فإن الزبيدي يعتبر من الأعلام الذين طوروا الكتابة في الطبقات بالأندلس⁽⁶⁾. ويأتى في الأهمية

(1) - الزبيدي: طبقات، ص 309.

(2) الحميدى: الجذوة، ص 305؛ الضبي: البغية، ص 411.

(3) الحميدى: المصدر السابق، ص 95؛ وانظر: الضبي: البغية، ص 139.

(4) الحميدى: الجذوة، ص 53؛ الضبي: المصدر السابق، ص 71؛ بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 309؛ عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربي، ص 19.

(5) الخشني: قضاة قرطبة، ص 9، 20، 21، القاهرة 1966.

(6) انظر ترجمته في الحميدى: الجذوة، ص 46؛ الضبي: البغية، ص 46؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 4/ 372.

نفسها ابن جلجل (ت 384هـ / 994م) صاحب كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" وهو من الكتب الهامة في تاريخ العلم، حيث يتضمن تراجم لأطباء الأندلس وحكائها مع عدد من الأطباء الإغريق والروم والعرب من غير الأندلسيين⁽¹⁾، وقد اعتمد ابن جلجل في كتابه "طبقات الأطباء والحكماء" على عدد من الكتب التي ترجمت في عصره، ومن أهمها كتاب "باولوس أورسيوس" الذي يذكره دائماً ابن جلجل باسم "هروشيوش"⁽²⁾ وكتاب "الحشائش لديسقوريدس"⁽³⁾ كذلك اقتبس من كتاب أبي قراط وأفلاطون⁽⁴⁾، واعتمد فيما يخص عصره على الأخبار المروية عن طريق السماع، فاعتمد في أخبار المشاركة على العلماء المعاصرين له، الذين رحلوا إلى المشرق وعادوا إلى الأندلس بالكثير من الروايات⁽⁵⁾، وفي تراجم أهل إفريقية اعتمد على من رحل إلى هذا القطر وعاد إلى الأندلس يحكي ما رآه⁽⁶⁾.

وهناك من كتب التراجم التي اهتمت بكتابة سيرة الشخصيات المتميزة في المجتمع، وربما اهتمت بالترجمة للأسر والبيوت الحاكمة، أو بتدوين مشاهير العلماء وإنجازاتهم في كافة نشاطات الحياة العلمية والإدارية، والسياسية، ولم تستثن الكتابة عن فئات المجتمع الفقيرة، والمهن التي يعملون بها، وإذا كان المؤرخون الغربيون ينتقدون حركة تسجيل التاريخ عند مختلف الأمم بسبب تركيزها فقط على حياة الملوك

(1) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط2، 1985.

Vernet, Juan: Estudios sobre historia de la ciencia medieval, Barcelona, 1979, p. 470 ; بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 522.

(2) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، ص2، القاهرة 1955 .

(3) المصدر السابق ، المقدمة ص ط

(4) ك . بويكا : المصادر العربية في الأندلس (القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن الحادي عشر الميلادي) ترجمة : نايف أبو كرم ، دار علاء الدين ، ط1، دمشق ، 1999م، ص 129 .

(5) انظر على سبيل المثال ابن جلجل : المصدر السابق ص 63، 65 .

(6) نفسه ، ص 107 .

والقادة العسكريين وحروبهم بديلاً عن تاريخ الثقافة والمهن، فإن التراث العربي الإسلامي يمدنا بالنموذج الرائد لرصد حياة الناس وإبداعهم⁽¹⁾.

ومن اهتم بالتأليف في تاريخ المشاهير عبد الله بن محمد بن مغيث (ت 352هـ/ 693م) الذي ألف كتاباً عن شعراء الخلفاء من بني أمية في المشرق والأندلس وأشعارهم، وذلك بتكليف من الحكم المستنصر⁽²⁾، وفي الموضوع نفسه ألف "أبو بكر بن عباد بن ماء السماء" (ت 419هـ/ 1028م) كتاباً عن "أخبار شعراء الأندلس" وهو من فحول الشعراء بالأندلس⁽³⁾، وكتب عيسى بن أحمد بن محمد الرازي (ت 379هـ/ 191م) كتاباً عن تاريخ الحجاب للخلفاء بالأندلس، وهو يختص بالحجاب ويشمل ملابس تعيّنهم، والأمراء في عهدهم، وكيفية معاملتهم⁽⁴⁾.

وزادت شهرة ابن الفرضي (ت 403هـ/ 1012م)⁽⁵⁾ من خلال كتابه "تاريخ علماء الأندلس" وهو يؤرخ لفقهاء الأندلس ولعلمائها ورواتهم⁽⁶⁾، ويشي الدارسون عليه، ويعتبرون كتابه إبداعاً وابتكاراً في هذا النوع من الكتابات التاريخية⁽⁷⁾.

(1) محمد الدعوى: العرب أول من وضع الموسوعات الإعلامية بحياد وأمانة، ص 69، مجلة تراث، عدد 81، السنة السابعة، الإمارات، 2005م؛ وانظر: فاروق عمر فوزي: التدوين التاريخي، ص 162.

(2) الحميدى: الجذوة، ص 253؛ وانظر: الضبي: البغية، ص 333.

(3) الحميدى: الجذوة، ص 293؛ وانظر: الضبي: البغية، ص 396؛ ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لجنة تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2008م، 50/7؛ بالنشأ: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 247.

(4) ابن الأبار: الحلة السيرة، 1/ 138؛ بالنشأ: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 235؛ محمد عبد الحميد عيسى: المدرسة التاريخية في الأندلس، ص 42.

5 هو: عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي: مؤرخ حافظ أديب. ولد بقرطبة، وتولى قضاء بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني. ورحل إلى المشرق سنة 382 هـ، فحج وعاد، فاستقر بقرطبة إلى أن قتله البربر يوم فتحها، شهيداً في داره سنة 403 هـ، ومن مصنفاته تاريخ علماء الأندلس، وكتاب المؤتلف والمختلف في الحديث، وكتاب المتشابه في أسماء رواة الحديث وكناهم، وكتاب أخبار شعراء الأندلس. أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 178-180.

(6) ابن حيان: المقتبس، 5/ 30؛ وانظر: الحميدى: جذوة المقتبس، ص 254؛ الضبي: بغية الملتبس، ص 334؛ بالنشأ: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 313.

(7) Pellat, Charles: The Origin and Development of Historiography in Muslim Spain, Print in Historians of the Middle east, Edited by Bernard Lewis, p. M. Holt. Oxford. University press, 1952. p. 123.

ويعد كتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي من كتب الرجال التي تحدثت عن علماء بلد معين في فترة محددة ، حيث عُنِي هذا الكتاب بنخبة من علماء المجتمع الإسلامي بالأندلس منذ أن دخلها الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجري ، وبالرغم من كون هذا الكتاب يمثل المحاولة الأولى لهذا النمط من الكتابة التاريخية بالأندلس إلا أنه جاء ضافياً ومهماً في موضوعه ، ولهذا عد الدكتور حسين مؤنس ابن الفرضي شيخ أصحاب معاجم التراجم الأندلسية ومقرر أصول هذا الفن الذي اتصل في الأندلس والمغرب بعد ذلك قروناً طويلة⁽¹⁾ ، كما عده المستشرق الأسباني آنخل جنتالث بالثيا بأنه أقدم معجم رجال في الأندلس⁽²⁾ ، وقد لقي هذا الكتاب قبولاً عند عدد من مؤرخي وكتاب الأندلس كالحميدي⁽³⁾ ، وابن عميرة المشهور بالضبي⁽⁴⁾ ، وغيرهم ، وغير الأندلسيين كالذهبي⁽⁵⁾ ، ولعل هذا التميز الذي حظي به هذا الكتاب وتلك المنزلة العالية التي تبوأها من الأسباب القوية التي جعلت شيخ مؤرخي الأندلس أبا مروان بن حيان يقول عن مؤلفه ابن الفرضي : (لم ير مثله بقرطبة في سعة الرواية ، وحفظ الحديث ، ومعرفة الرجال ...)⁽⁶⁾.

ويرجع انتشار هذا الكتاب واعتماد جل مؤرخي الأندلس الذين أتوا بعد ابن الفرضي عليه ؛ إلى أن مؤلفه اتكأ على مصادر متنوعة المعلومات حين تدوينه لمادته العلمية . مما أضفى على الكتاب عدداً من السمات العلمية المتميزة كالعمق ، والدقة ، وسعة الاطلاع ، مع الشمولية ، والإحاطة بالجزئيات الصغيرة التي تهتم أولئك العلماء.

1 أنظر : المؤرخون والجغرافيون ص 99.

2 أنظر : تاريخ الفكر الأندلسي ص 271

3 أنظر : جذوة المقتبس ص 238.

4 أنظر : بغية الملتبس ، ص 322.

5 الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 17 / 178.

6 الذهبي : تذكرة الحفاظ ، 3 / 1076

وقد ذكر ابن الفرضي أن السبب في تأليفه لكتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم هو جمع فقهاء الأندلس ، وعلمائها ، ورواتها ، وأهل العناية بها في كتاب مختصر على حروف المعجم ، وقد بين في مقدمة هذا الكتاب أنه كان ينوي تأليف كتاب موعب على المدن يشتمل على الأخبار ، والحكايات لكنه عاقته عوائق عن بلوغ المراد فيه فجمع هذا الكتاب مختصراً⁽¹⁾.

ويبدو أن ابن الفرضي قد شعر بالرضى عما أنجز في هذا الكتاب ، وأنه قد تحقق له الكثير مما كان يهدف إليه ويريده ، فقد قال : حينما أثنى على عبد الرحمن بن الزامر :

(وقلما كتبت بالأندلس عن أحد إلا وقد كتب عنه)⁽²⁾ ، وقد وضح ذلك في مقدمته حينما قال : (ولم أزل مهتماً بهذا الفن معتنياً به ، مولعاً بجمعه والبحث عنه ومسائلة الشيوخ عما لم أعلم منه : حتى اجتمع لي من ذلك - بحمد الله وعونه - ما أملت ، وتقيد في كتابي هذا من التسمية ما لم أعلمه يقيد في كتاب ألف في معناه في الأندلس قبله)⁽³⁾ ، وهذا الشعور بالرضا والذي أبداه ابن الفرضي ، كان الحميدي (ت 488 هـ) على عكسه حينما ألف كتابه جذوة المقتبس ، حيث اعترف بالتقصير ورغب في إعادة النظر فيما كتبه لتلافي ما فيه من قصور⁽⁴⁾.

وقد بين ابن الفرضي في مقدمة الكتاب أن مؤلفه يضم عدداً كبيراً من فقهاء الأندلس وعلمائها ، ورواتها ، وأهل العناية بالعلم منهم مرتبين على حروف المعجم⁽⁵⁾ ثم بين بعد ذلك أنه حاول ما أمكنه أن يعرض (أسماء الرجال ، وكناهم وأنسابهم ، ومن كان يغلب عليه حفظ الرأي منهم ، ومن كان الحديث والرواية أملك به وأغلب

1 ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص 8-9.

2 نفسه ، ترجمة 801 .

3 نفسه ، ص 9.

4 الحميدي : جذوة المقتبس ، ص 3-4.

5 ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص 8.

عليه ومن كانت له إلى المشرق رحلة ، وعمن روى ، ومن أجل من لقي ؟ ومن بلغ منهم مبلغ الأخذ عنه ، ومن كان يشاور في الأحكام ويستفتى ، ومن ولي منهم خطة القضاء ، والمولد والوفاة (1).

وهذا المنهج الذى سلكه ابن الفرضي في التأليف هو ما اعتاده كثير من المؤلفين المعاصرين أو اللاحقين لابن الفرضي والذين عنوا بالترجمة للرجال والمحدثين والفقهاء سواء من المشاركة أو المغاربة والأندلسيين ، فمن المعاصرين له الحافظ أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني (ت 446هـ) في كتابه الإرشاد في معرفة علماء الحديث (2) ، ومن اللاحقين الإمام الذهبي (ت 748هـ) في كتابه " تذكرة الحفاظ " ، و " سير أعلام النبلاء " ؛ وأبو الحسن البناهي (ت بعد سنة 794هـ) في كتابه المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا والمعروف بتاريخ قضاة الأندلس (3).

ولعل أقرب المؤلفين لمنهج ابن الفرضي ابن بشكوال في صلته ، ويبدو هذا واضحاً في معظم التراجم التي تحدث عنها (4)، وكذلك القاضي عياض في ترتيب المدارك (5). لكن هؤلاء جميعاً خالفوا ابن الفرضي في الاختصار ، حيث جاء حديثهم أكثر تفصيلاً

1 نفسه ، ص 9.

2 أبو يعلى القزويني : الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، ص 155-156.

3 خصص المؤلف هذا الكتاب لخطة القضاء وسير بعض القضاة في الأندلس وكان حين حديثه عن القضاة يعرف بالشخص ومولده ، ووفاته ، وشيوخه ، وطلبة العلم وغيرها من القضايا التي يذكرها ابن الفرضي ، وإن كان يبسط القول فيهم بخلاف ابن الفرضي الذي كان ينجح غالباً إلى الاختصار. أنظر مثلاً ترجمة القاضي ابن زرب ص 77-82.

4 انظر على سبيل المثال ترجمة رقم 469 ، 598 ، 571 ، كذلك في ترجمته لابن الفرضي رقم 273 وغيرها.

5 انظر على سبيل المثال ترجمته لعبد الملك ابن زونان ، 2 / 20-21 ، وابن وافد ، 2 / 668 ، محمد بن عبد الله بن عبد البر ، 2 / 419 وغيرهم ، وبالإضافة إلى ما سبق فإن القاضي عياض يبين النزعة المذهبية لهؤلاء العلماء ومدى قربهم وعلاقتهم بالمذهب المالكي.

وبسطاً منه ، إذ التزم جانب الاختصار ، فلم يدخل في تفصيلات تخرجه عن هذا النهج الذي بينه في مقدمته.

أما المنهج الذي سار عليه ابن الفرضي في ذكر أولئك العلماء فقد ذكرهم مرتبين حسب حروف المعجم بغض النظر عن أي اعتبار آخر ، كالمكانة العلمية ، أو المنزلة الاجتماعية ، أو الترتيب الزمني أو غيرها ، وهذا النهج في التأليف لم يكن ابتكاراً خاصاً به ، بل عمل به عدد من الكتاب والمؤلفين مثل الإمام البخاري (ت 256هـ) في كتابه التاريخ الكبير ، وابن أبي حاتم (ت 327هـ)⁽¹⁾ في الجرح والتعديل ، وابن حبان (ت 354هـ)⁽²⁾ في كتابيه الثقات ، والمجروحين ، وغيرهم ، وقد سار على هذا النهج عدد من المؤلفين الذين جاؤوا بعد ابن الفرضي مثل الحميدي في جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، وابن عميرة في كتابه بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، وابن

1 هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الحنظلي الرازي، المشهور بابن أبي حاتم . ولد سنة أربعين ومائتين. سمع من أبيه وأبي زرعة، وابن وارة، والحسن بن عرفة، وعبد الله بن أحمد، وصالح بن أحمد، ويونس بن حبيب، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم كثير. روى عنه ابن عدي، وأبو أحمد الحاكم، وأبو الشيخ الأصبهاني، والقاضي يوسف الميانجي، وعلي بن محمد القصار، وغيرهم. واشتغل أول طلبه للعلم بتعلم القرآن وحفظه، ثم بدأ بتعلم الحديث. ابن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ، 17/3 وما بعدها .

2 هو الإمام العلامة الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن شهيد بن هديّة بن مرة بن سعد بن يزيد التميمي الدارمي البستي . ولد سنة بضع وسبعين ومائتين ، توفي [ابن حبان](#) بسجستان بمدينة بست في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وهو في عشر الثمانين. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 104-93/16.

بشكوال في الصلة ، بل إن ابن الأبار المتوفى سنة (658هـ) ألف كتاباً أسماه بالمعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي. (1).

وقد رتب ابن الفرضي مؤلفه حسب حروف الهجاء إذ بدأ بحرف الألف وانتهى بحرف الياء حسب الأبجدية المشرقية (2) حيث ذكر تحت كل حرف أسماء العلماء من أهل الأندلس مرتبين حسب الحرف الأول من الاسم فقط ، ففي حرف الألف بدأ بإبراهيم وانتهى بأيوب وهكذا ، وحينما ينتهي من ذكر الرجال في كل حرف يذكر

1 هو أبو علي حسين بن محمد بن فيرة بن سكرة الصدي (1) (السرقيطي، المعروف بابن سكرة، ولد سنة (٤٥٢هـ)، وأخذ عن أبي الوليد الباجي بسرقيطة، وأبي محمد ابن عبد الله بن محمد بن إسماعيل، وأخذ عن شيخ المحدثين ببلنسية أبي العباس العذري، وبالمرية عن أبي عبد الله محمد بن سعدون القروي، وله رحلة إلى المشرق، أخذ العلم عن كبار مشايخ مكة وبغداد ومصر وغيرها. ولي القضاء بمرسية مكرهاً فترة ثم أعفي منه بعد اختفائه، وجلس للتعليم ونشره، ومن تلاميذه الذين رووا عنه: القاضي عياض، وابن صابر، والقاضي محمد بن يحيى الزكوي وغيرهم، خلف أبو علي كُتُباً نفيسة، وفي ملحمة قُتِنْدَة استشهد سنة ٥١٤هـ. ابن بشكوال : الصلة ، 144/1 ؛ الضبي : بغية الملتبس ، ص 269.

2 هناك منهجان في ترتيب حروف الهجاء هما الأبجدية المشرقية ، والأبجدية المغربية وتتفقان في ترتيب الحروف الأولى من الألف إلى الزاي ثم تختلفان حيث تأتي الحروف حسب الأبجدية المشرقية كما يلي : س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي . أما ترتيب أهل المغرب فجاء بعد حرف الزاي على النحو التالي : ط ، ظ ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، هـ ، و ، ي . وقد أشار كل من : أبي الوليد الباجي وابن عبد الملك المراكشي إلى أن المنهج المشرقي في ترتيب الحروف هو المعمول به في الأندلس آنذاك . أنظر : الباجي : التعديل والتجريح ، 1/273 ؛ ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة ج 1 ق 1 ص 9.

الأفراد ، والغرباء من الحرف المتقدم وهذا المنهج هو المعمول به عند الأندلس في تلك الفترة⁽¹⁾.

ولا شك أن ابن الفرضي شيخ ابن حزم كان له من التأثير على تلميذه ما دفعه للتفنن في هذا الجنس من أجناس الكتابة التاريخية على صغر مؤلفاته في هذا المضمار ، ومن جملة ما قدمه ابن حزم في هذا المجال :

1- **نقط العروس في تواريخ الخلفاء**⁽²⁾ وسمها ابن حيان "نقط العروس في نوادر الأخبار" ⁽¹⁾ وذلك عنوان أدل على محتواها من العنوان الذي ورد على مخطوطة ميونخ. وفي نفح الطيب (نقط العروس في تواريخ الخلفاء) .

1 الباجي : التعديل والتجريح ، 1/273 ; وانظر : ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة ج1 ق1 ص9 .

2 قام بشرها المستشرق زيبولد (Seybold) في مجلة مركز الدراسات التاريخية بغرناطة سنة 1911 وأعاد نشرها أستاذنا الدكتور شوقي ضيف بمجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة (العدد 13 سنة 1951) عن نسخة بايزيد عمومية وهي براوية الحميدي تلميذ ابن حزم وصاحبه ; وقد ترجمت هذه الرسالة إلى الإسبانية عن نشرة زيبولد وقام بذلك الأستاذ لويس سيكو دي لوثينا (Luis Seco de Lucena) سنة 1941 في مجلة جامعة غرناطة (ثم جمعت في كتاب ونشرت مع النص العربي الذي حققه زيبولد في بلنسية 1974). ولما اطلع دي لوثينا على نشرة الدكتور شوقي ضيف، كتب مقالا بمجلة الأندلس (العدد 19 سنة 1964 ص 23 (38) - درس فيه نصا عن غالب القائد (هو الفقرة: 76 من هذه الطبعة) وقارنه بنص عن غالب نفسه ورد في أعمال الأعلام، وهذا النص لم يرد في نسخة ميونخ. ويبدو أن سعد الدين بن شنب لم يطلع على ما كتبه دي لوثينا إذ عاد إلى الموضوع نفسه في مقال له بعنوان " Arus d - " Ibkn el - Khatib a - t - il emprunte au Naqt al - Nassiri (RHCM4 (1968) pp.17

19) وقد كتب أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري مقالا عن هذه الرسالة بعنوان " التعريف بنقط العروس " نشر بمجلة الدعوة السعودية، العدد: 491.

وتجسد رسالة "نقطة العروس" أبرز صور الدقة العلمية في منهج البحث التاريخي عند ابن حزم. فقد لجأ للإحصاءات بطريقة عجيبة لم نجد لها مثيلاً قط في كتب المؤرخين، كما يقول الأديب والمؤرخ شوقي ضيف أحد محققى هذه الرسالة العظيمة.⁽²⁾ فقد حشد فيها كثيراً من الحقائق التاريخية في لوحة بديعة، مشحونة بالإحصاءات بطريقة ظريفة بديعة. واهتم فيها ابن حزم بلغة الأرقام وجعلها من أدوات بحثه التاريخية في سابقة لا نظير لها بين المؤرخين... وهو بمنهجه هذا يثبت صدق برهانه وسعة اطلاعه⁽³⁾.

ونظراً لأهمية هذه الرسالة فقد تركت أثراً كبيراً على مؤرخي وعلماء الأندلس وغيرهم ممن اهتموا بها ونقلوا عنها، ومن هؤلاء:

- 1- ابن حيان في المقتبس، والميتين.
- 2- رواها الحميدي تلميذ ابن حزم، واستفاد منها في كتابه جذوة المقتبس.
- 3- رواها أبو أسامة يعقوب ابن الفقيه أبي محمد وعنه أخذها البطروجي الحافظ⁽⁴⁾.
- 4- عرفها ابن بسام صاحب الذخيرة، واستفاد منها في ذخيرته⁽⁵⁾.
- 5- ذكرها ابن سعيد في الرسالة التي ذيل بها على رسالة فضل أهل الندلس لابن حزم⁽⁶⁾، وكانت أحد مصادره في كتابه المغرب في حلى المغرب حيث نقل منها كثيراً فيما

1 ابن حيان : المقتبس 37/5، 132.

2 شوقي ضيف : مقدمته للرسالة ، ص 45.

3 منشئ مجيد خلف: ابن حزم ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية ، دار ابن حزم ، بيروت، 2002م ، ص 206.

4 معجم أصحاب الصدي ، ص 29.

5 انظر الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص 433.

6 المقرئ : نفح الطيب ، 182/3.

يخص الأحكام على الحكام ، وإحصاء ما للحكام من الأبناء ، وذلك في ترجمته للحكم الربضي ، وابنه عبدالرحمن⁽¹⁾ .

6- ذكرها ابن خلكان بقوله : " وله كتاب صغير سماه نقط العروس مع كل غريبة نادرة وهو مفيد جدا " ، وقد اعتمد عليه ابن خلكان ونقل منه⁽²⁾ .

7- نقل بعض نصوص هذه الرسالة لسان الدين ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام⁽³⁾ .

8- نقل عنها النويري في نهاية الأرب⁽⁴⁾ .

9- نقل عنها صاحب مفاخر البربر⁽⁵⁾ .

وقد كتبت هذه الرسالة في سنة 432 هـ إذ يذكر ابن حزم فيها محمد بن عيسى بن مزين صاحب شلب بقوله : " الآن "⁽⁶⁾ وابن مزين توفي في العام المذكور ، كما يذكر مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وقتله لعنه محمد⁽⁷⁾ ، وكان ذلك في شعبان من ذلك العام⁽⁸⁾ ؛ ولم يذكر في الألقاب المضافة إلى الدولة لقب يمن الدولة أحمد بن محمد صاحب البونت ، مع أنه نزل عنده وحظي برعايته وقد ظل يمن الدولة حاكما حتى 434 ، ولكن ابن حزم في الرسالة التي كتبها له في فضل الأندلس لا يورد له لقبا⁽⁹⁾ .

1 أنظر : المغرب ، 44،45/1.

2 أنظر : وفيات الأعلام ، 3/ 326 ؛ 5/ 22.

3 أنظر : أعمال الأعلام : 14، 26، 63، 132، 142.

4 أنظر : نهاية الأرب ، 22/ 93.

5 أنظر : مفاخر البربر ، ص 48.

6 أنظر : نقط العروس ، رسائل ، 2/ 88.

7 أنظر : نقط العروس ، رسائل ، 2/ 91.

8 ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 9/ 488.

9 أنظر : رسالة في فضل الأندلس ، رسائل ابن حزم ، 2/ 172.

ويبدو أن الرسالة أدخل عليها بعض التعديلات إذ إننا نجد ابن حزم يذكر القائم العباسي بن القادر بقوله : " له منذ ولى ثلاثون سنة " (1) ، ومعروف أن القائم تولى في العام 422هـ (2) فإذا أضفنا إلى هذه السنة ما حدده ابن حزم من زمن وهو الثلاثين عاما يكون الزمن 452هـ ، وهو ما يشير إلى أن ابن حزم أجرى تعديلا على الرسالة في هذا التوقيت .

2-رسالة في أمهات الخلفاء (3) :

وهذه الرسالة يبدأها ابن حزم بذكر أم النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم أمهات الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن بن علي ، ثم أمهات الخلفاء من بني أمية بدءاً من معاوية بن أبي سفيان ، حتى مروان بن محمد . ثم أمهات بني العباس بدءاً من السفاح حتى المطيع ، وذكر أنه لم يدر اسم أم الطائع . ثم ينتقل إلى الأندلس فيذكر أمهات الأمراء والخلفاء بها بدءاً من عبدالرحمن الداخل حتى المعتد بالله (4).

3-رسالة أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد ، وفيها استخدم ابن حزم المنهج الإحصائي حيث ذكر من روى عن النبي من الصحابة رضوان الله عليه حديثاً فما فوقه . فذكر أصحاب الألف في رواية الأحاديث وما زاد ، ثم ذكر أصحاب

1 أنظر : نطق العروس ، رسائل ، 65/2.

2 مغلطى : مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق يحيى بن حمزة الوزنة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط 1 ، 1423هـ/2003م ، ص 91.

3 قام بنشرها الدكتور صلاح الدين المنجد بمجلة المجمع العلمي العربي ، 1959م ، المجلد : 34 ، الجزء الثاني ، ونص الرسالة يشغل الصفحات : 294 - 299 ، ونشرها الدكتور إحسان عباس بالجزء الثاني من رسائل ابن حزم ، 119/2-122.

4 أنظر : رسائل ابن حزم / 119/2-122.

الألفين وما زاد ، ثم ذكر أصحاب الألف وما زاد ثم ذكر أصحاب المئين ثم اصحاب العشرات ... إلى أن وصل إلى أصحاب الأفراد ... (1).

4-رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا. وفيه أيضا اتبع ابن حزم منهاجا إحصائيا حيث ذكر مائة واثنين وستين صحابيا وصحابة منهم المكثرون في الفتيا وهم سبعة ، وثلاثة عشر متوسطون ، والباقون مقلون جدا (2) ثم ذكر المفتون بعد الصحابة من أهل مكة ، ومن أهل المدينة ، ومن أهل البصرة ، ومن أهل الكوفة ، ومن أهل الشام ، ومن أهل مصر ، إلى أن يذكر اثنين من أهل عصره بلغوا رتبة الاجتهاد أحدهما شيخه مسعود بن سليمان ابا الخيار ، والآخر صاحبه ابن عبدالبر النمري (3).

5-تواريخ أعلامه وأبيه وأخواته وبننيه وبناته مواليدهم وتاريخ من مات منهم في حياته وهو من كتبه المفقودة ، ومن عنوانه نعرف أن ابن حزم كان له جماعة من الأعمام ، والأخوات ، والبنات ، وفيما يخص والده وأولاده الذكور فقد فصلنا عنهم القول في كتابنا : " ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي " (4).

6-الشعراء المقدمين. وهذا الكتاب وقف عليه الحميدى ونقل عنه بخط شيخه ابن حزم تراجم وأشعار بعض الأفراد كإسماعيل بن إسحاق المنادى (5) ، ومحمد بن جهور بن عبيد الله بن أبي عبدة الوزير (6) ، ومحمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني شيخ ابن حزم في المنطق والطب ، وكان شاعراً وأديباً . نقل الحميدى بعض

1 أنظر : أسماء الصحابة الرواة ، ص 13.

2 أنظر : أصحاب الفتيا ، ص 73.

3 أنظر : أصحاب الفتيا ، ص 74-88.

4 أنظر : ابن حزم الظاهري ، ص 17-73 ، 118.

5 أنظر : جذوة المقتبس ، ص 143 ترجمة 297.

6 نفسه ، ص 42 ترجمة 33.

- شعره عن ابن حزم⁽¹⁾ ، ومحمد بن عبدالعزيز بن المعلم⁽²⁾ ، ومحمد بن مطرف بن شخيص من أعيان الشعراء المقدمين وذكر الحميدى طرفا من شعره عن ابن حزم⁽³⁾ .
- 7- رسالة مراتب العلماء وتوالمفهم فى كراسة⁽⁴⁾ .
- 8- الإنصاف فى الرجال .
- 9- مختصر كتاب الساجى فى الرجال مرتب على الحروف⁽⁵⁾ .
- 10- إجازة لتلميذه شريح .
- 11- إجازة لتلميذه الحسين بن عبدالرحيم .
- 12- كتاب طبقات القراء ابتداء من الصحابة نقل منه ابن حجر فى كتابه الإصابة⁽⁶⁾ .

1 نفسه ، ص44 ترجمة 35.

2 نفسه ، ص63 ترجمة 101.

3 نفسه ، ص81 ترجمة 144.

4 الذهبى : سير أعلام النبلاء ، 18 / 193-197 ؛ وانظر : عبدالباقي السيد : ابن حزم ، ص351،352.

5 الذهبى : نفس المصدر والمكان ؛ وانظر : عبدالباقي السيد : ابن حزم ، ص355.

(6) ابن حجر ، الإصابة ، 2/159.

المبحث الثالث : التاريخ المحلي (تاريخ المدن)

هو صنف من التراجم عرفه الأندلسيون على نطاق واسع في مختلف مراحل حياتهم الثقافية، فكتبوا من هذه التراجم البلدية والإقليمية العدد الكثير، حتى أن أكثر كور الأندلس وحواضرها قد حظي بتأليف أو أكثر يعرف بمشاهير رجالها في العلم والفكر والرواية، ولعل رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها كانت من أوائل هذا النوع من الكتابة التاريخية الذي نما وازدهر بعده، وأصبح لكل مدينة مصنف في تاريخ العلم والعلماء بها.

اهتم الأندلسيون بالتواريخ المحلية، والتي تميزوا فيها عن إخوانهم المشاركة، ولعل ذلك يرجع إلى ظاهرة اللامركزية التي تميزت بها طبيعة الأندلس، فضلاً عن ارتباط المؤرخ الأندلسي واعتزازه بوطنه⁽¹⁾، حيث كتب معاوية بن محمد بن هشام الشبني (ت 298هـ/ 910م) كتاباً في "تاريخ دولة بني مروان في الأندلس"⁽²⁾.

ومن اهتم من الأندلسيين بالكتابة في هذا الصنف أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق القروي مؤرخ وجغرافي ولد في القيروان في أسرة يرجع أصلها إلى مدينة وادي الحجارة في الأندلس وقد نشأ وترعرع في مدينة القيروان وأصبحت له شهرة واسعة في تاريخ وجغرافية شمال إفريقيا رحل إلى قرطبة في أيام الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله (350هـ - 395هـ/ 961-976م) واتصل بالبلاط الأموي حيث رحب به الخليفة وقربه إليه وعهد إليه بتأليف عدة أعمال تتعلق بتاريخ وجغرافية المغرب العربي وقد أشار ابن حزم الأندلسي إلى هذه المؤلفات، والتي تتناول مسالك

(1) أحمد مختار العبادي: الإسلام في أرض الأندلس، ص 72؛ وانظر: السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون، ص 104.

(2) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، د.م، 1995، 2/ 183.

أفريقية وممالكها ، وأخبار ملوكها ومدنها⁽¹⁾ ، ومنها : كتاب مسالك إفريقيا وممالكها ، وكتب كثيرة في أخبار ملوك إفريقيا وحروبهم والقائمين عليهم ، وكتب أخرى في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة (بصرة المغرب) وغيرها من مدن شمال إفريقيا ، ورغم ضياع هذه الكتب وفقدانها . فقد بقيت نصوص من مؤلفاته ضمن مؤلفات أخرى فعلى سبيل المثال، نجد أن أبا عبيد البكري قد ضمن كتابه المسالك والممالك نصوصا كثيرة من كتاب الوراق (مسالك أفريقيا وممالكها) وأشار إلى الوراق صراحة في كثير من ثانيا كتابه⁽²⁾ ، كما أشار ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) إلى بعض النصوص التي ذكرها الوراق⁽³⁾ .

ومن صنف في التاريخ المحلي واشتهر به موسى بن محمد بن موسى بن حدير المعروف بالزاهد (ت320هـ/932م) وكان إخباريا دون أخبار الأسرة الأموية في الأندلس ، وكان الأمير عبد الله يحثه على تدوين المهم مما كان يدور في مجلسه أثناء المذكرات⁽⁴⁾ .

ويلحق بالمؤرخ السابق مؤرخ آخر برز في التدوين التاريخي هو محمد بن عمر بن لبابة يكنى عبد الله بن لبابة الفقيه (225 - 314هـ/840 - 927م) كان حافظاً لأخبار الأندلس مليئاً بها⁽⁵⁾ .

ومن انشغل بهذا النوع من الكتابة أحمد بن محمد الرازي (ت324هـ/936م) وله كتاب في "أخبار ملوك الأندلس، وخدمتهم وركبانهم وغزواتهم"⁽⁶⁾ ، وكتاب "صفة

1 أنظر : رساله في فضائل الأندلس، رسائل ابن حزم / 175/2 .

2 أبو عبيد البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، نشر دي سلان ، الجزائر، 1857م، ص4، 6، 9، 10، 12، 28، 52، 60، 58، 68، 70، 91 .

3 ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، نشر كولان وليفي بروفنسال ، ليدن، 1، 1928، 26، 124، 129، 139 - 179، 180، 223 .

4 - ابن حيان، المصدر السابق، ص34 - 35 .

5 - ابن الفرضي، المصدر السابق، 2 / 34 .

(6) ابن حيان: المقتبس، تحقيق: ب. شالميتا، ف. كورينطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979 ، 5 / 30؛ الحميدى: الجذوة، ص 104؛ الضبي: البغية، ص 151؛ بالنشأ: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 233.

قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها" ⁽¹⁾ ، وألف محمد بن يوسف أبو عبد الله الوراق (ت 362هـ / 972م) كتاباً عن مسالك إفريقية وممالكها " وألف أيضاً في أخبار ملوكها وحروبهم، والغالين عليهم كتباً كثيرة وذلك بتكليف من حاكم الأندلس الحكم المستنصر ⁽²⁾ . كما خصص إسحق بن سلمة القيني (ت 399هـ / 1008م) جزءاً كبيراً من كتابه أخبار الأندلس لتاريخ مدينة "رية" وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها ⁽³⁾ .

ومن مصنفات ابن حزم في هذا النوع :

رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها : هكذا وسمها ابن خير في فهرسته ⁽⁴⁾ ، كما سميت أحياناً "بيان فضل الأندلس وذكر علمائه"، وقد أورد نصها المقرئ في نفحه

(1) الحميدى: الجدوة، ص 104؛ الضبي: البغية، ص 151، وقد ذكر بروفنسال أن كتاب صفة قرطبة وخططها وكتابات الرازي تعتبر من النسيج الأساسي لكل الجغرافيين العرب اللاحقين على الرازي، وقد أخذوا منه الكثير.

Lévi-Provencal: La description De L'Espagne de Razi, Al-Andalus, Vol. 18, Paris, 1953, p. 69.

(2) الحميدى: الجدوة، ص 97؛ ابن الأبار: التكملة، 1/ 294؛ حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1986 م، ص 73؛ أحمد رمضان أحمد: تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م، ص 175.

(3) الحميدى: الجدوة، ص 169؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، فرانز شتاينر بفيسبادن، شتوتجارت، ط2، 1992م، 413/8.

(4) أنظر: فهرسة ابن خير، ص 226؛ وقد استخرج العلامة إحسان عباس هذه الرسالة من نفح الطيب للمقرئ ونشرها في كتابه " تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة "، الطبعة الأولى، 1960م، ص 292-313، ثم نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد مع رسالة الشقندي تحت عنوان: فضائل أهل الأندلس وأهلها، بيروت، 1968م، وللاستاذ جعفر ماجد بحث حولها نشره في حوليات الجامعة التونسية عدد 13، 1976م بعنوان " رسالة ابن الربيب ورد ابن حزم " استفدنا منه في كتابنا ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي .

(1)، وذكر أن الحسن بن محمد التميمي القيرواني المعروف بابن الربيب (2) كتب إلى أبي المغيرة ابن حزم (ابن عم الفقيه) رسالة يذكر فيها تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضلائهم وسير ملوكهم ويقول فيها " : فإن قلت إنه كان ذلك من علمائكم وألفوا كتباً لكنها لم تصل إلينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لأنه ليس بيننا وبينكم إلا روحه ركب أو دلجة قارب، لو نفث ببلدكم مصدور، لأسمع ببلدنا في القبور، فضلاً عما في الدور والقصور، وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان ابن عبد ربه منكم الذي سماه ب " العقد " ، على أنه يلحقه فيه بعض اللوم إذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده، ومناقب ملوكه يتيمة سلكه.... (3). "

وقد أورد ابن بسام فصولاً من رد أبي المغيرة على القروي قال في بعضها: " وأنا أعلم أن عندكم لنا تواليف تطيرون بها " ويقول ابن بسام إن أبا المغيرة خرج إلى التطويل، وختم رسالته بذكر جملة من تواليف أهل الأندلس " (4).

اطلع ابن حزم على رسالة ابن الربيب بعد وفاة صاحبها فكتب رسالته هذه في الرد عليها، والأرجح أن رسالة ابن الربيب حفزته إلى أن يضع رسالة مطولة في تاريخ الفكر الأندلسي فجاءت هذه الرسالة.

ويبين ابن حزم دوافع تصنيفه رسالته في فضل الأندلس بقوله : " أما بعد يا أخي يا أبا بكر سلام عليك، سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الأميال والفراسخ، وكثرت

1 نفح الطيب 3/ 158 - 179.

2 أصله من تاهرت وكان عارفاً بالأدب وعلم النسب، قوي الكلام يتكلفه بعض تكلف. أنظر : ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، 1/ 319.

3 ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول 1/ 133. ; وانظر : المقري : نفح الطيب ، 3/ 156 - 158 .

4 ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول 1/ 139.

الأيام والليالي، ثم لقيك في حال سفرٍ ونقله، ووادَّكَ في خلال جولةٍ ورحلة، فلم يقضٍ من مجاورتك أرباً، ولا بلغ في محاورتك مطلباً. وإني لما احتللت بك، وجالت يدي في مكنون كتبك، ومضمون دواوينك، لمحت عيني في تضاعيفها درجاً فتأملت، فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصابيننا في الدار، أهل إفريقية، ثم ممن ضمته حضرة قيروانهم، إلى رجل أندلسي لم يعينه باسمه، ولا ذكر بنسبه، يذكر له فيها أن علماء بلدنا بالأندلس، وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف، فإن همَّهم قد قصَّرت عن تخليد مآثر بلدهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهاءهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وفصائل علمائهم، ثم تعدَّى ذلك إلى أن أدخل أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحبي ذكركم، ويبقي علمهم، بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه، وحقق ظنه في ذلك، واستدل على صحته عند نفسه، بأن شيئاً من هذه التأليف لو كان منّا موجوداً لكان إليهم منقولاً، وعندهم ظاهراً، لقرب المزار وكثرة السفار، وترددهم إليهم، وتكرارهم علينا. ثم لما ضمنا المجلس الحافل بأصناف الآداب، والمشهد الأهل بأنواع العلوم، والقصر المعمور بأنواع الفضائل.... أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت.... فرأيت أنه أعزه الله تعالى حريصاً على أن يجاب هذا المخاطب، وراغباً في أن يبين له ما لعله قد رآه فنسي، أو بعد عنه فخفي، فتناولت الجواب المذكور، بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات...⁽¹⁾.

ويتضح مما سبق الآتي :

أولاً : أن أبا بكر صاحب ابن حزم كانت له مكاتبات كثيرة بينه وبين ابن حزم ، وله مصنفات ودواوين وقف ابن حزم من خلالها على خبر الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب القيرواني الذي انتقد الأندلس وأهلها .

ثانيا : أن ابا بكر هذا هو محمد بن إسحاق المهلبى الإسحاقى الوزير كما ذكر الحميدى، وكان من أهل الأدب والفضل (1).

ثالثا : أن ابن حزم نقل من كتاب صاحبه معارضات ابن الريب ورد عليها.

رابعا : أن ابن حزم تشجع لتصنيف هذه الرسالة بعد أن وجد أن صاحب قلعة البونت التى كان فى حضرتها ابن حزم فى حاجة لتصنيف كتاب عن فضل الأندلس .

خامسا : أن رسالة ابن حزم جاءت بعد وفاة ابن الريب .

سادسا : أن الدافع لكتابة ابن حزم رسالته هذه ، ما عابه أحدهم - الحسن بن محمد بن أحمد بن الريب - على أهل الأندلس من تقصيرهم فى تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم (2).

وقد وقع خلاف بين المؤرخين حول الرجل الذى صنف ابن حزم له الرسالة فالحميدى قال : إنه خاطب بها صديقه أبا بكر ابن إسحاق، فالرسالة قد أدت الأمرين معا، وفى مطلعها " :أما بعد يا أخى يا أبا بكر... " (3) ، وابن الأبار يذكر أن ابن حزم صنف هذه الرسالة لمحمد بن عبد الله بن أحمد الفهري، يمين الدولة، صاحب البونت (من أعمال بلنسية) وأطال الثناء عليه وعلى سلفه فى الرسالة (4).

ولما كانت الرسالة قد ألفت باسم يمين الدولة صاحب البونت فلا بد من أن تكون قد كتبت فى الفترة الواقعة بين 421 - 434 وهى الفترة التى تولى فيها يمين

1 أنظر : جذوة المقتبس ، ص40 ترجمة 23.

2 ابن حزم : رسالة فى فضل الأندلس ، رسائل ابن حزم ، 171/2 ؛ وانظر : المقرئ : نفح الطيب ، 156/3.

3 أنظر : جذوة المقتبس ، ص42.

4 التكملة لكتاب الصلة ، ص 388.

الدولة الحكم⁽¹⁾ ، وابن حزم لا يذكر له لقبا في رسالته، ولو كنا نعلم في أي عام انتحل ابن قاسم ذلك اللقب لكان تحديد تاريخ تلك الرسالة أدق.

وقد نشر الحميدي معظم فقرات هذه الرسالة في جذوة المقتبس موزعة على التراجم⁽²⁾، ولذا يعد نص الجذوة هاما لمقارنته بالصورة التي أوردها المقرئ ، ويؤكد على أثر ابن حزم على مؤرخي الأندلس وتأسيسه مدرسة تاريخية عرفت بالحزمية بعد وفاته ، وربما في حياته أيضا.

وبعد أن يذكر ابن حزم السبب الذي حداه إلى كتابة الرسالة والثناء على من كتبت باسمه يتحدث عن فضائل الأندلس ، وينحى منحى دينيا شأنه شأن كل من كتب عن دولته أو مدينته التي ينتسب إليها ، ومن ثم نراه يربط الأندلس بحديث أم حرام بنت ملحان (وفيه بشر الرسول بأن المجاهدين في البحر كالمملوك على الأسرة) فيقول : " وأنا أقول : لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات المملوك على الأسرة ، لكفى شرفاً بذلك يسرّ عاجله ويغبط آجله⁽³⁾ .

ولا يخفى ابن حزم عشقه لقرطبة مسقط رأسه فيذكرها مفضلا إياها وأهلها بقوله : : وأما في قسم الأقاليم، فإن قرطبة مسقط رؤوسنا، ومعقّ تائمنا، مع سرّ من رأى في إقليم واحد، فلنا من الفهم والذكاء، ما اقتضاه إقليمنا وقد صدق ذلك الخبر،

1 ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص 208.

2 أنظر : جذوة المقتبس ، ص 67، 78.

3 نفسه ، ص 172، 173.

وأبانتته التجربة، فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايا وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم .." (1).

ويوجه ابن حزم حديثه لابن الربيب موضحاً أنه إذا عاب عائب الأندلس أو قرطبة بقلة التأليف فإن ذلك لو صح لكان منطبقاً على القيروان نفسها لأنه لم يؤلف فيها وفي بعض المدن الأفريقية الأخرى إلا محمد بن يوسف الوراق الأندلسي فيقول: "والذي نعاه علينا الكاتب المذكور، لو كان كما ذكر، لكننا فيه شركاء لأكثر أمهات الحواضر، وجلائل البلاد، ومتسعات الأعمال، فهذه القيروان بلد المخاطب لنا، ما أذكر أني رأيت في أخبارها تأليفاً غير "المعرب عن أخبار المغرب" وحاشا لتأليف محمد بن يوسف الوراق، فإنه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى في مسالك إفريقية وممالكها ديواناً ضخماً، وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتباً جمّة، وكذلك ألف أيضاً في أخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها تأليف حسناً" (2).

ويستطرد ابن حزم ليحدد مدلول لفظة "أندلسي" وعلى من تطلق؛ فيرى أن الأندلسي، سوى المقيم الذي يموت في بلده، هو كل شخص هاجر إلى الأندلس وأقام فيها ومات هنالك، مثل أبي علي القالي، فأما الأندلسي الذي غادر بلده ولم يعد إليه وتوفي في بلاد غريبة فإنه لا يعد أندلسياً مثل محمد بن هانئ، ومن ثم فهو القائل: "ومحمد - ابن يوسف الوراق - هذا أندلسي الأصل والفرع، آبؤه من وادي الحجارة، ومدفنه بقرطبة وهجرته إليها، وإن كانت نشأته بالقيروان. ولا بد من إقامة الدليل على ما أشرت إليه هاهنا، إذ مرادنا أن نأتي منه بالمطلب، فيما يستأنف، إن شاء الله تعالى، وذلك أن جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقيين، دون محاشاة أحد، بل قد تيقنا

1 نفسه، ص174.

2 نفسه، ص175.

إجماعهم على ذلك، متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها، ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكنائها إلى أن مات، فإن ذكروا الكوفيين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفة رضي الله تعالى عنهم، وإنما سكن علي الكوفة خمسة أعوام وأشهرًا، وقد بقي 58 عاماً وأشهرًا بمكة والمدينة شرفهما الله تعالى، وكذلك أيضاً أكثر أعمار من ذكرنا. وإن ذكروا البصريين بدأوا بعمران بن حصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر، وأبي بكرة، وهؤلاء: مواليدهم وعامة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف، وجمهرة أعمارهم خلت هنالك. وإن ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية، والأمر في هؤلاء كالأمر فيمن قبلهم. وكذلك في المصريين: عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي، وفي المكيين: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، والحكم في هؤلاء كالحكم في من قصصنا. فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحقُّ به، وهو منا بحكم جميع أولي الأمر منا، الذين إجماعهم فرض اتباعه، وخلافه محرم اقترافه، ومن هاجر منا إلى غيرنا فلا حظُّ لنا فيه، والمكان الذي اختاره أسعد به، فكما لا ندع إسماعيل بن القاسم، فكذلك لا ننازع في محمد بن هانئ سوانا، والعدل أولى ما حُرِّص عليه، والنصف أفضل ما دُعي إليه، بعد التفصيل الذي ليس هذا موضعه، وعلى ما ذكرنا من الإنصاف تراضى الكل" (1).

ثم يعود ليعرض للكتب التي خلدت مآثر البلدان العريقة كبغداد والبصرة والكوفة فلا يجد منها إلا القليل. فأما البلدان الأخرى مثل الجبال وخراسان وكرمان والسند والري... الخ فيصرح ابن حزم بأنه لم ير فيها تأليف تخلد ذكر ملوكها وعلمائها وشعرائها، ولو وجد شيء من ذلك لوصل إلى الأندلس كما وصلت كتب من مؤلفات المشاركة وأهل المغرب، ويعبر عن ذلك بقوله: "وهذه بغداد حاضرة الدنيا، ومعدن

كل فضيلة، والمحلة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، والتدقيق في تصريف العلوم، ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار ونفاذ الخواطر، وهذه البصرة وهي عين المعمور في كل ما ذكرنا: وما أعلم في أخبار بغداد تأليفاً غير كتاب أحمد بن أبي طاهر . وأما سائر التواريخ التي ألفها أهلها، فلم يخصصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد، ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة ، وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبي سفيان، في خطط البصرة وقطائعها، وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر، كريزي النسب، في صفاتها وذكر أسواقها ومحالها وشوارعها. ولا أعلم في أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة . وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والري وأرمينية وأذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم في شيء منها تأليفاً قصد به أخبار ملوك تلك النواحي وعلمائها وشعرائها وأطبائها ، ولقد تآقت النفوس إلى أن يتصل بها تأليف في أخبار فقهاء بغداد، وما علمناه علم، على أنهم العلية الرؤساء والأكابر العظماء. ولو كان في شيء من ذلك تأليف لكان الحكم في الأغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تأليفهم، وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الأصبهاني في أخبار أصبهان ، وكتاب الموصلية وغيره في أخبار مصر، وكما بلغنا سائر تأليفهم في أنحاء العلوم. وقد بلغنا تأليف القاضي أبي العباس محمد بن عبدون القيرواني في الشروط واعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى ، وكذلك بلغنا رد القاضي [عبد الله بن] أحمد بن طالب التميمي على أبي حنيفة وتشنيعه على الشافعي ، وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوامل تأليفهم دون مشهورها" (1).

ويقف ابن حزم وقفة غير قصيرة نسبياً من تنكر الأندلسيين للعالم المرموق فيهم، ويقدم لنا هنا حديثاً ذاتياً عن المرء إذا تميز على نظرائه أو خالفهم في طريقتهم المعهودة،

وكلا الأمرين يمثلهما ابن حزم ، وفي هذا المقام يقول : " وأما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر " أزهد الناس في عالم أهله " . وقرأت في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال : " لا يفقد النبي حرمة إلا في بلده " . وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش ، وهم أوفر الناس أحلاماً ، وأصحهم عقولاً ، وأشدهم تثبتاً ، مع ما خصوا به من سكناتهم أفضل البقاع ، وتغذيتهم بأكرم المياه ، حتى خص الله الأوس والخزرج بالفضيلة التي أبانهم بها عن جميع الناس ، والله يؤتي فضله من يشاء . ولا سيما أندلسنا ، فإنها خُصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم ، الماهر منهم ، واستقلالهم ، كثير ما يأتي به ، واستهجانهم حسناته ، وتتبعهم سقطاته وعثراته ، وأكثر ذلك مدة حياته ، بأضعاف ما في سائر البلاد . إن أجاد قالوا : سارقٌ مغير ، ومنتحل مدع ، وإن توسط قالوا : غثٌ بارد وضعيف ساقط ، وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا : متى كان هذا ومتى تعلم وفي أي زمان قرأ ولأمة الهبل . وبعد ذلك إن ولجت به الأقدار أحد طريقين إما شفوفاً بئناً يعليه على نظرائه ، أو سلوكاً في غير السبيل التي عهدوها ، فهنالكَ حمي الوطيس على البائس ، وصار غرضاً للأقوال ، وهدفاً للمطالب ، ونصباً للتسبب إليه ، ونهباً للألسنة ، وعرضةً للتطرق إلى عرضه ، وربما نحل ما لم يقل ، وطوق ما لم يتقلد ، وألحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه ، وبالحرى ، وهو السابق المبرز إن لم يتعلق من السلطان بحظ ، أن يسلم من المتالف ، وينجو من المخالف . فإن تعرض لتأليف غمز ولمز ، وتعرض وهمز ، واشتط عليه ، وعظم يسير خطبه ، واستشنع هين سقطه ، وذهبت محاسنه ، وستررت فضائله ، وهتف ونودي بما أغفل ، فتنكس لذلك همته ، وتكل نفسه وتبرد حميته ، وهكذا عندنا نصيب من ابتداء يحوك شعراً ، أو يعمل رسالة ، فإنه لا يفلت من هذه الحبائل ، ولا يتخلص من هذا النصب ، إلا الناهض الفائق ، والمطفف المستولي على الأمد ⁽¹⁾ .

وبعد ذلك يتولى الرد العملي القائم على الإحصاء والتقييم وإصدار الأحكام بالأدلة والبراهين فيتناول مؤلفات الأندلسيين التي تستحق أن تذكر وتكون موضع اعتزاز في العلوم المختلفة بحسب الترتيب التالي: علوم الشريعة (الفقه والتفسير والدراسات القرآنية جملة والحديث) - اللغة - الشعر - الأخبار (التاريخ) - الطب - الفلسفة - العدد والهندسة - وهى العلوم التي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل إلا في أحدها على حد قول ابن حزم (1). ويعبر ابن حزم عن ذلك بقوله: "وعلى ذلك، فقد جُمع ما ظنه الظان غير مجموع، وألفت عندنا تأليف في غاية الحسن، لنا خطر السبق في بعضها" (2).

وفي طرح ابن حزم للعلوم التي بز فيها الأندلسيون نراه يحرص على إصدار الأحكام والأقوال التي تميز بنى جلده على من سواهم فعن مصنفات المالكية يقول: "وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم، وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب" (3).

ويتحدث عن الإمام المجتهد بقى بن مخلد ومصنفاته في التفسير والحديث فيقول: "وفي تفسير القرآن: كتاب أبي عبد الرحمن بقى بن مخلد؛ فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره. ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبته على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف. ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه، فإنه روى عن

1 أنظر: رسالة في فضل الأندلس، ص 186.

2 أنظر: رسالة في فضل الأندلس، ص 178.

3 نفسه، ص 178.

مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير... فصارت تأليف هذا الإمام الفاضل قواعد للإسلام لا نظير لها. وكان متخيراً لا يقلد أحداً، وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه [وجارياً في مضمار أبي عبد الله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وأبي عبد الرحمن النسائي رحمة الله عليهم] (1).

ويتحدث عن صاحبه ابن عبد البر ومصنفاته التي قرظها بقوله: " ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر ، وهو الآن في الحياة، لم يبلغ سن الشيخوخة، وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً، فكيف أحسن منه الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور. ولصاحبنا أبي عمر ابن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها. منها كتابه المسمى بالكافي في الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتاباً اقتصر فيه على ما بالمفتي الحاجة إليه وبوه وقربه فصار مغنياً عن التصنيفات الطوال في معناه. ومنها كتابه في الصحابة [سماه كتاب الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم على حروف المعجم، اثنا عشر جزءاً ليس لأحد من المتقدمين مثله، على كثرة ما صنفوا في ذلك... " (2).

ورغم ظاهريته نراه يقرظ بعض كتب المالكية ويبين المواضع التي راجت فيها هذه الكتب ولقيت الاستحسان فيقول: " ومنها في الفقه الواضحة، والمالكيون لا تمنع بينهم في فضلها واستحسانهم إياها. ومنها المستخرجة من الأسمعة وهي المعروفة بـ " العتبية " ولها عند أهل أفريقية القدر العالي والطيران الحثيث.... ومنها كتاب

1 نفسه ، ص 178، 179.

2 نفسه ، ص 179، 180.

المنتخب الذي ألفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة ، وما رأيت لمالكي قط كتاباً أنبل منه في جمع روايات المذهب وتأليفها وشرح مستغلقها، وتفريع وجوها " (1).

وفي الشعر والأدب ينصر ابن حزم الأندلسيين على المشاركة بل على أحد أئمة الظاهرية ، وابن إمام مذهبه داود بن علي الأصبهاني فيقول : " وكتاب الحقائق لأبي عمر أحمد بن فرج ، عارض به كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود رحمه الله تعالى، إلا أن أبا بكر إنما أدخل مائة باب، في كل باب مائة بيت، وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت، ليس منها باب تكرر اسمه لأبي بكر، ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئاً، وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد، فبلغ الغاية، وأتى الكتاب فرداً في معناه " (2).

ويتحدث عن الزهراوى وكتابه التصريف في الطب فيقرظه بقوله : " وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي ، وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع، لنصدقن " (3).

ويختتم ابن حزم رسالته بأمور ثلاثة :

أولها : توضيح السبب الذي جعل الاتجاه إلى علم الكلام بالأندلس ضعيفاً ، مع الإشارة إلى بعض الأفراد الذين خرجوا على السمت العام الأندلسي وتبنوا الفكر الاعتزالي ، وفي هذا يقول ابن حزم : " وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقلّ لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار على

1 نفسه ، ص 181.

2 نفسه ، ص 183.

3 نفسه ، ص 185.

أصوله، ولهم فيه تأليف منهم: خليل بن إسحاق ويحيى بن السمينة والحاجب موسى بن حدير وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد، وكان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك⁽¹⁾.

ثانيها : الإشارة إلى بعض جهوده في الكتابة الظاهرية والتي كانت مقدمة لعملية الإحياء التي قام بها بشأن المذهب الظاهري ، ويوضح ابن حزم هذا بقوله : " ولنا على مذهبنا الذي تخيرناه من مذاهب أصحاب الحديث كتاب في هذا المعنى ، وهو وإن كان صغير الجرم، قليل عدد الورق، يزيد على المائتين زيادة يسيرة، فعظيم الفائدة، لأننا أسقطنا فيه المشاغب كلها، وأضربنا على التطويل جملة، واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة إلى شهادة الحس وبديهة العقل لها بالصحة، ولنا فيما تحققنا به تأليف جمّة، منها ما قد تم، ومنها ما شارف التمام، ومنها ما قد مضى منه مصدر، ويعين الله تعالى على باقيه " (2).

ثالثها : المفاضلة بين الفقهاء والمحدثين والشعراء والبلغاء الأندلسيين والمشاركة مع الحرص على نصرته الأندلسيين والتباهي بهم وإنتاجهم ، حتى لو كانوا من أهل الظاهر، وثم فهو القائل : " وإذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به إلا محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان بن الأشعث السجستاني وأحمد بن شعيب النسائي، وإذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به إلا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي، وهو شريكهما في صحبة المزي أبي إبراهيم والتلمذة له، وإذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما إلا أبا الحسن ابن المغلس والخلال والديباجي ورويم بن أحمد وقد شركهم عبد الله في أبي سليمان وصحبته. وإذا أشرنا إلى محمد بن يحيى بن لبابة وعمه محمد بن عمر وفضل بن سلمة لم نناطح بهم إلا محمد بن عبد الله

1 أنظر : رسالة في فضل الأندلس ، ص 186.

2 نفسه ، ص 186.

بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس..... ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج القسطلي لما تأخر عن شأو بشار بن برد وحبيب والمتنبى فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن مطرف بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك بن سعيد المرادي ، وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه، وحصان ممسوح الغرة. ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حي بعد، لم يبلغ سن الاكتهال، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل ومحمد بن عبد الله بن مسرة في طريقه التي سلك فيها وإن كنا لا نرضى مذهبه، في جماعة يكثر تعدادهم" (1).

هذه صورة مفصلة لبنية الرسالة النفيسة فيما حوته من تفاصيل جد خطيرة ، وقد كتب ابن سعيد تذييلاً عليها (2) ، واستدرك بعض الكتب التي لم يذكرها ابن حزم لمعاصريه، مثل كتب مكى بن أبي طالب، وهو ممن له مناظرات مع ابن حزم (3)، ولعل ذلك يعود إلى أن تلك الكتب لم تكن في نظر ابن حزم ذات قيمة أو أنها كتبت بعد تاريخ الرسالة ، وكذلك ذكر كتاب المتين لابن حيان وكتبا أخرى لابن عبد البر ، وكتبا لابن الفرضي في أخبار الشعراء وتاريخ الغزال نظماً، وهذا يدل على أن رسالة ابن حزم لم تستوف جل التراث الأندلسي الذي قدمه علماءها حتى تاريخ تصنيف رسالته النفيسة ، وربما كان السبب في ذلك تمييز صاحبها عمداً بين كتب جدية بالذكر وأخرى غير جدية بذلك ، أو أن ابن حزم لم يعد النظر فيها ليضيف إليها ما جد بعد تأليفها.

1 نفسه ، 187، 188.

2 المقرئ : نفح الطيب ، 3/ 179.

3 عبد الباقي السيد : ابن حزم ، ص 241.

وأيا ما كان الأمر فإن رسالة فضل الأندلس تجسد الخصوصية الأندلسية ، والشخصية الأندلسية بملاحمها التجديدية والإبداعية ، وقد أفادتنا إفادات جمة في التعرف على أمور تخص سيرة ابن حزم ، ومعاصريه وأقرانه وشيوخه، والفكر الأندلسي، بما يتضمنه من تراث أنتجه أهل الأندلس حتى أيام ابن حزم. وهو ما أشار إليه المؤرخ الفذ والمفكر العظيم أستاذنا الدكتور محمود إسماعيل بقوله : " فرسالته في فضائل أهل الأندلس تعكس بوعي مقاصده التي ركزت على الأندلس وحسب . فهي تقدم دراسة شافية عن تاريخ الأندلس الحضاري والاجتماعي والفكري، فضلا عن البعد الجغرافي، أو بالأحرى، هي محاولة لتجسيد الشخصية الأندلسية التي حاول ابن حزم استعادة ملامحها بعد أن تعرضت للمسح والتشويه في عصر الفتنة وملوك الطوائف. وتنم معالجة الموضوع عن تجنب ما وقع فيه مؤرخو كتاب الفضائل من مبالغات وانتحالات، ووقوعهم في مزالق الإقليمية والإثنية الشعبوية " (1).

المبحث الرابع : تاريخ الدول والحكام

يتناول هذا الفن من الكتابة التاريخية دراسة الأسر الحاكمة أو الدول أو العهود فيذكر المؤرخون أصل تلك الأسرة الحاكمة، ونسبها، والإشادة بمفاخرها وبطولاتها ثم يشيرون إلى من تولى الحكم من أبنائها، وسيرة كل واحد منهم، فيذكرون نشأته وصفاته الخلقية والخلقية، وعدله، وكرمه، وجهاده، وما يتصف به من محاسن الأقوال والأعمال، ثم يتناولون بالذكر أسماء وزرائه، وكتابه، وقضاته وعماله، وما يضم بلاطه من الجلوساء والندماء من خيرة العلماء والأدباء والشعراء والوافدين عليه من سائر الأرجاء، ومن مصنفات ابن حزم التي تندرج تحت هذا النوع :

1- ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس : وهى من مصنفات ابن حزم المفقودة ، ولكن تلميذه الحميدى جمع نتفا منها وصدر بها كتابه جذوة المقتبس ⁽¹⁾ ، وبدأ ابن حزم رسالته على ما ذكره الحميدى بولاية الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، ويؤكد الحميدى استفادته من شيخه فى هذه الرسالة فيذكر عقب قوله : " فاتصلت ولايته إلى أن مات سنة اثنتين وسبعين ومائة. كذا قال لنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الفقيه ⁽²⁾. ثم يذكر ولاية الأمير هشام بن عبد الرحمن ، ثم ولاية الحكم بن هشام ، ثم ولاية عبد الرحمن بن الحكم ، ثم ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ثم ولاية المنذر بن محمد ، ثم ولاية عبد الله بن محمد ، ثم ولاية عبد الرحمن الناصر ، ولاية الحكم المستنصر ، ثم ولاية هشام المؤيد ، ثم ولاية محمد بن هشام المهدي ، ثم ولاية سليمان بن الحكم المستعين ، ثم ولاية علي بن حمود الناصر ، ثم ولاية القاسم بن حمود المأمون ، ثم ولاية يحيى بن علي المعتلي ، ثم ولاية عبد الرحمن بن هشام المستظهر ، ثم ولاية محمد بن عبد الرحمن المستكفي ، ثم ولاية هشام بن محمد المعتد ، ويختتم الكلام على بنى أمية بقوله :

1 أنظر : جذوة المقتبس ، ص 10-34.

2 أنظر : رسائل ابن حزم ، 2/ 191.

" وبقي هشام بن المعتد معتقلاً، ثم هرب ولحق بابن هود بلا ردة، فأقام هنالك إلى أن مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ولا عقب له، وانقطعت دولة بني مروان جملة، إلا أن إشبيلية ومن كان على رأيهم من أهل تلك البلاد، لما ضيق عليهم يحيى بن علي الحسيني وخافوا أمره، أظهروا أن هشام بن الحكم المؤيد حي، وأنهم ظفروا به فباعوه وأظهروا دعوته، وتابعهم أكثر أهل الأندلس. وبقي الأمر كذلك إلى حدود الخمسين وأربعمائة، فإنهم أظهروا موت هشام المؤيد الذي ذكروا أنه وصل إليهم، وحصل عندهم، وانقطعت الخطبة لبني أمية من جميع أقطار الأندلس من حينئذ وإلى الآن " (1). ثم يواصل ابن حزم الحديث عن الحسينيين بعد قتل يحيى بن علي إلى أن يقول : " وكان إدريس بن يحيى المعروف بالعالى عند بني يفرن بتاكرنا، فلما توفي محمد بن إدريس رده العامة إلى مالقة واستولى عليها " (2).

وبعد هذا العرض لتاريخ أمراء الأندلس يؤكد الحميدى على أنه من أوله إلى آخره مستفاد من شيخه ابن حزم من رسالته عن أمراء الأندلس إذ يقول : " هذا آخر ما استفدنا أكثره من شيخنا أبي محمد علي بن أحمد رحمه الله، وعلمناه نحن، من جمل أخبار من ذكرنا من ملوك تلك البلاد إلى وقت خروجنا منها " (3).

2- طوق الحمامة : وهو وإن كان في العشق والعلاقات العاطفية إلا أن ابن حزم ذكر فيه من الروايات التاريخية التي تخص الأندلس وحكامها وشعرائها وعلمائها . ما جعلنا نصنفه ضمن هذا النوع من الكتابة التاريخية التي تفرد فيها ابن حزم ؛ وإلى جانب ذلك فإن هذا الكتاب أشبه بمذكرات شخصية تؤرخ لحياة ابن حزم في كافة

1 أنظر : رسائل ابن حزم ، 2/204.

2 المصدر نفسه ، 2/208.

3 المصدر نفسه ، 2/208.

مراحلها ، وتعكس صدى تأثير الواقع الأندلسي المحزن على نفسيته المرفهة؛ كأحد رجال الحكم والسياسة بالأندلس هو ووالده .

وإذا أفادنا الطوق بمعلومات تاريخية ضافية . فقد أمدنا أيضا بمعلومات تدخل في إطار علم النفس تكشف عن تجارب ابن حزم الذاتية العاطفية التي سردها في جراءة وصراحة غير مألوفة عند مفكري عصره ؛ فقد جمع فيه ابن حزم ما بين الأفكار الفلسفية والواقع التاريخي والتجارب الذاتية⁽¹⁾.

وأما الغاية من هذا الكتاب ودوافع التأليف فيبينها ابن حزم في صدر كتابه بقوله : " فإن كتابك وردني من مدينة المرية إلى مسكني بحضرة شاطبة ، تذكر من حسن حالك ما يسرني، وحمدت الله عز وجل " عليه واستدمته لك، واستزدته فيك؛ ثم لم ألبث أن اطلع علي شخصك وقصدتني بنفسك، على بعد الشقة وتنائي الديار وشحط المزار وطول المسافة وغول الطريق؛ وفي دون هذا ما سلى المشتاق، ونسى الذاكر، إلا من تمسك بحبل الوفاء مثلك، ورعى سالف الأذمة ووكيد المودات وحق النشأة ومحبة الصبا، وكانت مودته الله تعالى. ولقد أثبت بيننا من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون ، وكانت معانيك في كتابك زائدة على ما عهدته من سائر كتبك، ثم كشفت إلي بإقبالك غرضك، وأطلعتني على مذهبك، سجية لم تزل عليها من مشاركتك لي في حلولك ومرك، وسرك وجهرك، يحدوك الود الصحيح الذي أنا لك على أضعافه، لا أبتغي جزاء غير مقابلته بمثله ذباب وكلفتني - أعزك الله - أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة، لا متزايداً ولا مفنناً، لكن مورداً لما يحضرني على وجهه وبحسب وقوعه، حيث انتهى حفظي وسعة باعي فيما أذكره، فبدرت إلى مرغوبك، ولولا الإيجاب لك لما تكلفته، فهذا من

1 صلاح الدين بسبوني رسلان : الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ص 258.

العفو، والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به رحب المنقلب وحسن المآب غداً...." (1).

ومما سبق يتضح الآتي :

أولاً : أن سبب التأليف ورود رسالة من أحد اصحاب ابن حزم يسأله أن يصنف له كتاباً في الحب .

ثانياً : أن هذا الصاحب كان صديقاً لابن حزم منذ الصبا .

ثالثاً : أن ابن حزم حال ورود الخطاب كان بعيداً عن موطن راسه ، ويعانى لوعة المرارة لبعده عن وطنه .

رابعاً : أن ابن حزم وصلته كتب كثيرة من صاحبه هذا ، وكان كتابه بشأن تأليف ابن حزم له كتاباً عن الحب أفضلها .

3- أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم : وقد بدأ ابن حزم بذكر الخلفاء المهديين

الراشدين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب والحسن بن علي (2) ، وقد جعل ابن حزم الحسن بن علي ضمن الخلفاء الراشدين وذلك لورود النص بذلك حيث أخبر النبي بأن الخلافة بعده ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك ، ولم يكن في الثلاثين بعده إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن بن علي التي تبلغ ستة أشهر (3) . ثم ذكر الخلفاء من بني أمية بالمشرق بدءاً من معاوية بن أبي سفيان حتى آخرهم وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، ويذكر عبدالله بن الزبير كأحد

1 أنظر : طوق الحماسة ، دار الجليل ، ص 11-13.

2 أنظر : أسماء الخلفاء ، ص 106-110.

3 السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 11.

الخلفاء بعد معاوية بن يزيد بن معاوية (1) ثم يذكر خلفاء بني العباس بدءاً من أبي العباس السفاح حتى القائم بن القادر (2) .

وتجدر الإشارة إلى أن ذكر ابن حزم لفظة "الولاية" في العنوان لا يدل على أنه يذكر في رسالته العمال وأمراء الولايات ، وإنما هم الخلفاء أنفسهم. ويحرص ابن حزم أن يذكر عند كل خليفة تاريخ استخلافه وتاريخ وفاته وتحديد مدته بالسنوات والأشهر والأيام وعمره واسم أمه، وأهم الأحداث في زمنه، وقد كتب هذه الرسالة بعد سنة 422 (أي بعد أن تولى القائم باله العباسي)؛ وفي صورة ثانية من هذه الرسالة ما يدل على أن كتابتها قد تمت بعد سنوات من ولاية القائم إذ قد زاد في الصورة الثانية قوله: " وهو مغلوب عليه لا يظهر ولا ينفذ له أمر " ولعل في ذلك إشارة إلى ما حدث سنة 426 وما بعدها، فقد ذكر ابن الأثير في أحداث تلك السنة أن أمر الخلافة انحل ببغداد، وكثر ظهور العيارين وانتشار الأعراب في النواحي وقطع الطرق (3) أو لعل الإشارة إلى فتنة البساسيري سنة 446هـ.

أما الصورة الثانية من هذه الرسالة (4) فبمقارنتها بالصورة الأولى تبدو وكأنها تأليف مستأنف .

وتعد هذه الرسالة واحدة في سلسلة من الكتب التي ألفت في أخبار الخلفاء بأسلوب متعمد في الإيجاز مثل : تاريخ الخلفاء لأبي عبد الله محمد بن يزيد (وفيه زيادات لأبي بكر السدوسي وأبي بكر الشافعي وابن شاذان). ، والذي لا يستبعد أن

1 أنظر : أسماء الخلفاء ، ص 110-121 .

2 نفسه ، ص 121-138 .

3 ابن الأثير : الكامل ، 9 / 440 - 441 .

4 قام بتحقيقها ونشرها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري والدكتور عبد الحليم عويس . أنظر : خلاصة في أصول الإسلام وتاريخه (رسالتان جديدتان لابن حزم) ، الرياض ، 1977م .

يكون ابن حزم قد اطلع عليه ، فإن ابن ماجه يحرص فيه على أن يذكر تاريخ تولي الخليفة وتاريخ مقتله ومدة حكمه بالسنة والشهر واليوم وعمره واسم أمه وكنيته ويضيف أحيانا اسم من صلى عليه ; فالأمور التي يدونها تشبه إلى حد كبير ما دونه ابن حزم في رسالته .

وقد اطلع ابن الوزير صاحب الروض الباسم على رسالة ابن حزم هذه وسماها " أسماء الخلفاء " ونقل عنها بعض مساوئ مروان ابن الحكم (1) .

4- تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر ، من مصنفات ابن حزم المفقودة ، وقد ذكر الحميدى طرفا من هؤلاء الشعراء نقلا عن ابن حزم منهم أحمد بن برد أبا حفص الوزير ، وأحمد بن جهور ، وأحمد بن حبرون (2) .

5- غزوات المنصور بن أبي عامر . من مصنفات ابن حزم المفقودة ، وقد احتفظ لنا العذري بخمسة وعشرين غزوة من غزوات المنصور منها غزواته على حصن الحامة في رجب 366 هـ ، وحصن مولة في شوال 366 هـ ، وشلمنقة في صفر 367 هـ وفي ربيع الأول 373 هـ ، وريف مملكة نافارا وكونتية برشلونة في شوال 367 هـ ، والمثنية في ربيع الآخر 370 هـ ، وقلعة أيوب وأنتيصة في ذي القعدة 370 هـ ، وسمورة في رمضان 373 هـ ، وطرנקوشة في ربيع الآخر 371 هـ ... وغيرها (3) ، وإذا كانت وفاة العذري بعد ابن حزم باثنتين وعشرين عاماً فمن المرجح أن يكون الأول قد استفاد من الثاني ، وأن النصوص التي ذكرها عن غزوات المنصور مستقاة من كتاب ابن حزم المفرد عن هذه الغزوات .

1 انظر: الروض الباسم 1 / 138 .

2 أنظر : جذوة المقتبس ، ص 106 ، 107 .

3 أنظر : نصوص عن الأندلس ، ص 74 وما بعدها .

6- كتاب في جملة من دخل الأندلس من المغرب⁽¹⁾ ، من مصنفات ابن حزم المفقودة ، وقد نقل عنه الحميدى جملة من الأفراد منهم إبراهيم بن قاسم الأطرابلسي⁽²⁾.

7- كتاب الفضائح ذكر فيه فضائح البربر، يبدو أنه صنفه بعد تدمير البربر قرطبة سنة 403هـ/1013م⁽³⁾. وهذا الكتاب يبين وجهة نظر ابن حزم فيما عرف بالفتنة البربرية ، وظاهر اسمه يوحي بأن ابن حزم يحمل البربر سبب الفتن التي وقعت عقب اقتحامهم قرطبة .

وتجدر الإشارة إلى أن ابن حزم عرض شذرات تخص هذا الصنف من أصناف الكتابة التاريخية في إحدى مصنفاته الفلسفية أو النفسية ، وهي رسالته مداواة النفوس . إذ نراه يلفت الأنظار إلى نظرية تاريخية سياسية خطيرة عندما يتحدث عن سلوك السلطان مع حاشيته والآثار المترتبة على ذلك فيقول : " لا شيء أضر على السلطان من كثرة المتفرغين حواليه . فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه، فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه ، وأما مقرب أعدائه فذلك قاتل نفسه⁽⁴⁾.

وابن حزم بقوله هذا يؤسس نظاما إداريا خاصا بهيئة الدولة حتى يستمر العمران ويستقر امر الدولة⁽⁵⁾.

ونفس الشيء نجده في مصنفات أخرى غير تاريخية ، إذ نراه في رسائله التي تخص النوازل يطرح طروحات تاريخية تمس هذا النوع من أنواع الكتابة التاريخية . ففي رسالته في الرد على ابن النغيلة اليهودي نراه يكتب بأسلوب متميز واصفا عصر ملوك

1 عبد الباقي السيد : ابن حزم ، ص 352.

2 أنظر : جذوة المقتبس ، ص 138 ترجمة 187.

3 المرجع نفسه ، ص 352.

4 أنظر : مداواة النفوس ، 1/350.

5 محمد بنيعيش : الفكر السلوكي عند ابن حزم ، دار غراب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص 92.

الطوائف بقوله : " اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سبباً إلى انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائهم عليهم، وعن حياطة ملتهم التي بها عزوا في عاجلتهم وبها يرجون الفوز في آجلتهم .. " (1).

وفي ذات الرسالة يبين حقيقة تطاول غير المسلمين على المسلمين ، ويؤرخ لواقعة تأليف ابن النغيلة لكتاب زعم فيه تناقض القرآن فيقول ابن حزم : " حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة، وانطلقت السنة أهل الكفر والشرك بما لو حقق النظر أرباب الدنيا لاهتموا بذلك ضعف همنا، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتناع للديانة الزهراء والحمية للملة الغراء .. " (2).

وفي ذات الموضوع من الرسالة نراه يؤكد كما سبق على فساد سياسة ملوك الطوائف بقوله : " ثم هم متردون بما يؤول إليه إهمال هذا الحال من فساد سياستهم والقدح في رياستهم، فلأسباب أسباب، وللمداخل إلى البلاء أبواب، والله اعلم بالصواب " (3). كما أعطانا صورة رائعة عن الجدل الديني في الأندلس بين المسلمين واليهود ، من خلال تعقبه لكلام ابن النغيلة (4).

وفي رسالة التلخيص ، وهي رسالة تخص الفقه والفتوى يبدو ابن حزم أكثر وضوحاً في نقده للملوك الطوائف من كثرة ما وجه للإسلام والمسلمين من ضربات بفعل ملوك سوقة ، ليس لهم هم سوى استدامة ملكهم والسيطرة على شعوبهم ، وإن

1 أنظر : رسالة في الرد على ابن النغيلة ، رسائل ، 41/3.

2 أنظر : رسالة في الرد على ابن النغيلة ، رسائل ، 41/3.

3 أنظر : رسالة في الرد على ابن النغيلة ، رسائل ، 41/3.

4 نفسه ، 43/3 وما بعدها.

كلفهم ذلك التنازل على بعض المدن الإسلامية للنصارى يخلوها من الإسلام ويزينوها بالنواقيس والصلبان .

ففى إجابة لابن حزم على سؤال بخصوص الفتنة التى ضربت الأندلس بسيطرة كل ملك على مدينة وناحية من نواحي الأندلس وتصرفه فيها كيف يشاء يقول ابن حزم فى جرأة شديدة انفرد بها وحده من بين كثير من فقهاء الأندلس : (وأما ما سألتكم عنه من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض ، فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السلامة ، وهى فتنة سوء أهلك الأديان إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن فى شىء من أندلسنا هذه أولها عن آخرها محارب لله تعالى ورسوله وساع فى الأرض بفساد... " (1).

ويوضح ابن حزم سبب قسوته هذه وحكمه العنيف السابق على ملوك الطوائف بقوله : " للذى ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التى تكون فى ملك من ضارهم ، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التى ينقضون على أهلها ، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين فى أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله ، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيهم ... " (2).

ويزداد ابن حزم وضوحا عندما يبين دور العلماء والفقهاء فى التزيين للملوك الطوائف فيما هم بصده من قرارات فيقول : " فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق والمتسبون إلى الفقه اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم فالمخلص لنا فيها الإمساك للألسنة جملة

(1) أنظر : رسائل ابن حزم ، 3/173

(2) أنظر : رسائل ابن حزم ، 3/173

واحدة إلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذم جميعهم ، فمن عجز منا عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه (1).

وفي موضع آخر يقول عن ملوك عصره : " والله لو علموا أن في عبادة الصليبان تمشية أمورهم لبادروا إليها فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم ، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحسرتهم معهم آمنين ، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس ، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه " (2).

وقد تساءل أحد الباحثين المحدثين هل كان ابن حزم في وصفه للملوك الطوائف مبالغا أو متحاملا ، ويحيب بقوله هذا ما لانعتقده لقد كان ابن حزم يشير بأسلوبه القوي اللاذع إلى وقائع وظروف تؤيدها كل الروايات والوثائق المعاصرة ، وكان بحكم مركزه الاجتماعى الممتاز ورفيع مكانته العلمية والدينية يستطيع أن يرى من أوضاع الأمور ما لا يستطيع أن يراه غيره (3).

(1) أنظر : رسائل ابن حزم ، 3/ 173

(2) نفسه ، ص 176 .

(3) عبدالله عنان ، أندلسيات ، ص 57 .

المبحث الخامس : تاريخ الفتوح

يعتبر كتاب " فتوح مصر و المغرب والأندلس " للمؤرخ المصري عبد الرحمن بن عبد الحكم (257هـ/871م) ، من أوائل كتب الفتوح التي تعرضت للمغرب والأندلس وأهمها على الإطلاق ⁽¹⁾ ، لهذا انتشر في الأندلس وأخذ عنه كثير من المؤرخين الأندلسيين أمثال ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس وابن خير في فهرسته والحميدي ⁽²⁾ في جذوته وغيرهم ⁽³⁾.

1 العبادي : من التراث العربي الأسباني نماذج لأهم المصادر العربية والموارد الأسبانية التي تأثر بها مجلة عالم الفكر ، وزارة الإعلام في الكويت ، أبريل-مايو-يونيو، 1977، ص41.

2 هو : شيخ المحدثين أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل ، الأزدي ، الحميدي ، الأندلسي ؛ الميورقي ، الفقيه ، الظاهري ، صاحب ابن حزم وتلميذه . قال : مولدي قبل سنة عشرين وأربعمئة . لازم أبا محمد علي بن أحمد الفقيه ، فأكثر عنه ، وأخذ عن أبي عمر بن عبد البر ، وطائفة ، ثم ارتحل ، فأخذ بمصر عن القاضي أبي عبد الله القضاعي ، ومحمد بن أحمد القزويني ، وأبي إسحاق الحبال ، وعدة ، والحافظ عبد الرحيم بن أحمد البخاري ، وسمع بدمشق من أبي القاسم الحنائي ، والحافظ أبي بكر الخطيب ، وعبد العزيز الكتاني ، وسمع بالأندلس أيضا من أبي العباس أحمد بن عمر بن دلهات ، وبمكة من المحدث كريمة المروزية ، وبمصر أيضا من عبد العزيز الضراب ، وابن بقاء الوراق ، وببغداد من عبد الصمد بن المأمون ، وأبي الحسين بن المهتدي بالله ، وأبي محمد بن هزارمرد ، وأبي جعفر بن المسلمة ، وبواسط من العلامة أبي غالب بن بشران اللغوي ، وأكثر عن أصحاب أبي طاهر المخلص ، ثم عن أصحاب أبي عمر بن مهدي ، إلى أن كتب عن أصحاب أبي محمد الجوهري ، وجمع وصنف ، وعمل " الجمع بين الصحيحين " ، ورتبه أحسن ترتيب . استوطن بغداد ، وأول ارتحاله في العلم كان في سنة ثمان وأربعين وأربعمئة . توفي الحميدي في سبع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمئة عن بضع وستين سنة أو أكثر ، وصلى عليه أبو بكر الشاشي ، ودفن بمقبرة باب أبرز ، ثم إنهم نقلوه بعد سنتين إلى مقبرة باب حرب ، فدفن عند بشر الحافي . أنظر ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 127-120/19.

3 عباس رضا هادي : المكتبة الأندلسية ، ص10.

وقد أسهم محمد بن موسى الرازي (ت 277هـ/980م)⁽¹⁾ عميد مؤرخي الأندلس في تدوين تاريخ الأندلس ، لا سيما الصنف الذي يخص الفتوح ، وأكمل كتابه من بعده ابنه عيسى بن احمد الرازي (379هـ/989م) الذي عاش في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي واشتغل في البلاط الأموي بقرطبة وكتب تاريخاً عاماً للأندلس حتى نهاية عصر الخليفة الحكم المستنصر⁽²⁾، وقد ضم كتابه الرايات معلومات قيمة عن دور القائد موسى بن نصير في فتح الأندلس وكيفية دخوله إلى البلاد وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته وفيه تفصيلات عن هذه القبائل وتجمعاتها وراياتها التي كانت تحارب تحت ظلها وإلى هذه الرايات تعود نسبة اسم الكتاب كما يحتوي على معلومات مهمة عن إجراءات موسى بن نصير في تقسيم أراضي الأندلس وتعيين الأخماس وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضلوا دفع الجزية والبقاء ببلادهم والاحتفاظ بديانتهم إلا إن هذا الكتاب يعد في جملة الكتب المفقودة .

وقد عثر على قطعة من الكتاب وترجمه ليفي بروفنسال إلى اللغة الفرنسية ونشرها بمجلة الأندلس العدد (18) لسنة 1953مدير - غرناطة مع تعليقات إضافية والقطعة تتناول المقدمة الجغرافية التي كتبها الرازي في وصف الأندلس ، ونجد شذرات من تاريخ الرازي وابنه كذلك في كتاب فرحة الأنفس لابن غالب وكذا في

1 محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن الفيط الكناي الرازي: مؤرخ واديب وهو رأس اسرة الرازي التاريخي في الاندلس والتي نبغ فيها ابنه احمد وحفيده عيسى وكان محمد تاجرا متجولا ثم نال ثقة الامير محمد بن عبد الرحمن وابنه من بعده الامير المنذر بن محمد توفي سنة 277هـ/890م أنظر: ابن حيان القرطبي : المقتبس في أبناء أهل الأندلس ، تحقيق محمود علي مكي ، بيروت 1973، ص 265-ص 269

2 عباس رضا ، المكتبة الأندلسية، ص 10 ؛ والحكم المستنصر استخلفه عبد الرحمن الناصر من بعده في الحكم، وقد تولى من سنة (350هـ/961م) إلى سنة (366هـ/976م)، وتلقب بالمستنصر بالله، وكان يوم تولى في نحو السابعة والأربعين من عمره ، وكان أبوه يُقَرَّبُهُ ويعتمد عليه في كثير من الأمور؛ فكان ذا خبرة بشئون الحكم والسياسة. أنظر ، ابن حزم الظاهري : ذكر أوقات الأمراء ، رسائل ابن حزم ، 194/2.

وصف الأندلس لابن الشباط ، ووكذا في كتابات ابن الآبار وابن الخطيب فضلا عن نفح الطيب للمقري⁽¹⁾.

ومن المحاولات الرائدة الأخرى "في تدوين التاريخ في الأندلس" ، والتي يعود زمنها إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ما قام به أحد أحفاد موسى بن نصير وهو معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير ويشير صاحب كتاب جذوة المقتبس (الحميدي) إلى أن (معارك هذا) قد ألف كتابا في تاريخ الأندلس تناول فيه أثر موسى بن نصير في فتح البلاد وما جرى له فيها من الأمور والأحداث⁽²⁾ وهذا الكتاب مفقود ولكن ما نقل عنه من حياة موسى بن نصير في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب خطأ لابن قتيبة الدينوري⁽³⁾ مأخوذة من كتاب معارك بن مروان حفيد موسى بن نصير ومن الملاحظ على هذه الروايات صفة الأساطير التي تهدف إلى إبراز دور موسى بن نصير وإضفاء صفة البطولة الأسطورية⁽⁴⁾.

وصاغ بعض شعراء عصر الإمارة تدوينهم التاريخي في قصائد شعرية، مثل يحيى الغزال (ت 250هـ / 862م)، حيث نظم قصيدة طويلة في فتح الأندلس، ذكر فيها السبب في غزوها، وفصل فيها الوقائع بين المسلمين وأهلها، وعدد الأمراء عليها وأسمائهم⁽⁵⁾ كما نظم تمام بن عامر بن علقمة (ت 283هـ / 896م) قصيدة في فتح

1 عباس رضا ، المكتبة الأندلسية، ص. 11

2- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، تراثنا، المكتبة الاندلسية، القاهرة، 1966، ص 338.

3 عن ذلك بالتفصيل أنظر : شاکر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1983 ، 1/ 241-242 .

4 طه عبد الواحد : نشأة التدوين، ص 11.

(5) محمد عبد الحميد عيسى: المدرسة التاريخية في الأندلس، ص 25.

الأندلس وتسمية ولايتها، ووصف حروبها من وقت دخول طارق بن زياد إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم⁽¹⁾.

ومن أشهر من ألف في تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري هو أبو بكر محمد عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (حفيد الأميرة سارة أرملة الحاكم القوطي) (ت 367هـ / 977م) ولد بقرطبة ودرس في اشبيلية وكان عالماً بالنحو واللغة متقدماً فيهما على أهل عصره، حافظاً لأخبار الأندلس، ملماً برواية سير أمرائها وأحوال فقهاءها وشعرائها، وكان يملئ ذلك عن ظهر قلب⁽²⁾.

وأبرز مؤلفات ابن القوطية المتبقية هو كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) الذي يتناول فيه تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد سنة 300هـ / 912م⁽³⁾، وإن كان الكتاب قد كتب من قبل طلاب ابن القوطية إذ كان الأخير يروي الأخبار والطلبة يكتبون ولذلك جاءت الأخبار بصيغة: أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال...⁽⁴⁾ ومع ذلك فيمكن اعتماد هذا الكتاب محاولة من المحاولات الرائدة الأولى في التدوين التاريخي في الأندلس، لما تميز به من خصائص تتعلق بطبيعة وتكوين المجتمع الأندلسي، وانتساب المؤلف إلى هذا المجتمع، ومحاولته

(1) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت، ص 32؛ وانظر: بالشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 78.

2 ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص 76.

3 الأمير عبد الله بن محمد (275 - 300هـ / 888 - 912م): ولي الحكم بعد أخوه المنذر يذكر ابن خلدون: كان خراج الاندلس قبله ثلاثمائة ألف دينار، فانفق الوفير حين اضطربت عليه نواحي الاندلس بالثوار والمتغلبين في تلك السنين، وقل الخراج توفي سنة ثلاثمائة ومدة ملكه نحو من خمسين وعشرين سنة، أنظر: ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط 4، 1971، 133/4.

4 ابن القوطية: تاريخ افتتاح الاندلس، ص 2.

رسم صورة واقعية للأحداث التي مرت على بلده منذ الفتح وإلى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي⁽¹⁾.

وهذا الصنف من أصناف الكتابة التاريخية نرى ابن حزم يختصره جدا ليقربه للناس ، وليطلعهم على جهود السابقين في نشر الإسلام ، وهو في هذا النوع يظهر متميزا في الطرح ليس إلا ، وإن كان محاكيا لمن سبقه كالبلاذري في فتوح البلدان ، وكالواقدي والأزدي فتوح الشام وغيرهما من مؤرخي الفتوح ، ومن مصنفات ابن حزم في هذا الشأن: رسالة **جمل فتوح الإسلام** : والتي يبدأها بقوله : **جُمل فتوح الإسلام**

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾ ، ويذكر حروب الردة كفتوح للإسلام بعد وفاة النبي ، ثم يذكر فتوح الإسلام في عصر الخلفاء الراشدين ومن تلاهم من بنى أمية وبنى العباس ، ويختتم الرسالة بذكر فتوحات السلطان محمود الغزنوي بالهند ، وبما بلغ ابن حزم من أخبار الفتوحات الإسلامية في السودان⁽³⁾.

1 عبد الواحد ذنون: نشأة تدوين، ص17، ص18 ; وانظر : عباس رضا : المكتبة الأندلسية ص11.

2 أنظر : رسائل ابن حزم ، 2/125.

3 المصدر نفسه ، 2/133.

المبحث السادس : الأنساب ومعاجم الشيوخ

اهتم المؤرخون الأندلسيون بعلم النسب، وخاصة "نسب قريش". فآلف عبد الملك بن حبيب في "أخبار قريش وأنسائها"⁽¹⁾ وآلف معاوية بين هشام في نسب آل على أسماه "التاج السني في نسب آل على"⁽²⁾ ويبدو أن التأليف في الأنساب، كان حاجة ملحة في الأندلس، نظراً لدخول الكثير من القبائل العربية والبربرية إلى هذه البلاد، واختلاطها، واحتمال ضياع أنسابها⁽³⁾، ومن ثم فقد آلف عبد الله بن عبيد الأزدي (ت241هـ / 855 م) كتاباً في الأنساب، بعنوان "أنساب الداخلين إلى الأندلس بين العرب وغيرهم"، فضلاً عن كتاب "أعيان الموالي". كما شارك قاسم بن أصبغ الجياني (ت340هـ/951)⁽⁴⁾ بالكتابة في الأنساب، وهذا واضح في كتابه الموسوم: الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس.

ومن هؤلاء الذين اهتموا بالأنساب عبدالله بن عبيد الله الأزدي الملقب بالحكيم والذي كان عالماً باللغة وحفظ الأخبار وقول الشعر⁽⁵⁾ وقد خصه الزبيدي (ت379هـ/989م) بترجمة مختصره أشار فيها إلى أنه كان ذا حظ في علم اللغة، وحفظ

(1) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، 11/2، 12؛ بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 230.

(2) ابن الأبار: التكملة، 2/ 183.

(3) عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربي، ص 18.

(4) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء القرطبي ابو محمد محدث حافظ مكثراً عارف بالرجال والانساب والنحو والغريب والشعر سكن قرطبه ولد سنة 248هـ/862م وتوفي سنة 340هـ/954، أنظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، 1/407، 406؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص311.

(5) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، 2/ 783 .

الإخبار، والأنساب، وكان يقرض الشعر الحسن، وأنه كان متعصبا للقحطانيه، وأنه توفي في منتصف رمضان سنة (341هـ/952م)⁽¹⁾

لقد عاش الحكيم في عصر الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (300-350هـ/912-961م)، وقد ألف كتابا للأنساب، وأهداه إلى الخليفة سنة 330 هـ / 941 م وعنوان الكتاب: "أنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم"، وقد ذكر فيه الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس، وقريش ومواليهم وأهل الخدمة والتصرف، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق في غير قریش، ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا إلى الأندلس⁽²⁾.

بيد أن هذا الكتاب قد ضاع في جملة ما ضاع من كتب الأندلس، ولكن بعض المؤرخين اللاحقين نقلوا عنه شذرات قليلة منها معلومات عن استقرار بعض الأسر العربية الشهيرة في الأندلس من أمثال المراكشي (ت 703 هـ/1303 م) في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة⁽³⁾.

كانت هذه الكتب السابقة مقدمة لمجهود متميز قام به ابن حزم في إطار الدفاع عن النسب كأحد فروع علم التاريخ، حتى اشتهر بين المؤرخين بأنه من أئمة النسابة ومقدميهم⁽⁴⁾، ومن مؤلفاته في هذا النوع:

1 الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954م، ص 327.

2 المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول، تحقيق: محمد بن شريف، بيروت، د. ت، ص 213؛ السفر السادس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1973، ص 208،

3- المراكشي الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة السفر الاول القسم الاول ص 213 السفر الخامس القسمين الأول والثاني تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 574 - ص 654؛ السفر السادس، ص 205؛ وانظر: عبدالواحد طه، نشأت التدوين، ص 11-13.

4 ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، 6/97؛ وانظر: عبد الباقي السيد: ابن حزم الظاهري، ص 69.

جمهرة أنساب العرب : وهو من أوسع كتب النسب وأغناها وأدقها. فقد استفاد ابن حزم من معظم كتب الأنساب والتراجم والرجال واستخلص منها مادة كتابه ، وقد أشار ابن حزم في كتابه إلى الأحداث التاريخية والقبلية والأدبية ، وذكر المدن والمساكن التي تجمهرت فيها القبائل العربية ، وتحدث عن المفاخرة بين عدنان وقحطان ، إضافة إلى قضاة ، فأثبت بطرحه دراية دقيقة بقبائل العرب وأصولها ، خصوصاً تلك التي استوطنت الأندلس ؛ حيث أفاض في شرح أماكن سكنائها وتحديد موقف المؤيد منهم للسلطة ، والمعارض لها (1) ؛ ولا شك أن اهتمامه بالعنصر العربي خصوصاً في جمهرته يوحى بموقفه الموالي للخلافة الأموية ، التي رأى فيها المخلص من التجزئة والفرقة ، وإعادة الأندلس إلى الوحدة ، وهو الأمر الذي جاهد من أجله عملياً وتنظيرياً.

الجدير بالذكر أن ابن حزم رغم أنه وسم كتابه بجمهرة أنساب العرب إلا أنه لم يتوقف عند العرب فحسب بل قدم في كتابه دراسة وافية عن نسب بني إسرائيل معتمداً على التوراة ، وكذا تحدث عن نسب الأخرى الفرس ، والبربر ، والمولدين (2). وأما بشأن الغاية من تصنيف ابن حزم كتاب جمهرة أنساب العرب فبعد أن ساق كلاماً طويلاً عن أهمية النسب وفضله ، نراه يتحدث عن جمعه للكتاب وتبويبه له بقوله : " فجمعنا في كتابنا هذا تواشج أرحام قبائل العرب ، وتفر بعضها من بعض ، وذكرنا من أعيان كل قبيلة مقداراً يكون من وقف عليه خارجاً من الجهل بالأنساب ، ومشرفاً على جمهرتها. وبدأنا بولد عدنان ، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيد ولد آدم - عليه السلام - من عدنان . وابتدأنا من ولد عدنان بقريش لموضعه عليه السلام منهم ، وابتدأنا من قريش بالأقرب فالأقرب منه عليه السلام ، ثم

1 أنظر : جمهرة أنساب العرب ، ص 12.

2 نفسه ، ص 39 ، 498.

الأقرب فالأقرب من قریش. وابتدأنا من ولد قحطان بالأنصار - رضي الله عنهم - لأنهم أولى الناس بذلك، لتقديم الله تعالى إياهم في الفضل، ولما أظهر الله عز وجل بأيديهم من الدين، فأوجب لهم بذلك حقاً على كل مسلم؛ ثم بالأقرب فالأقرب من الأنصار. "(1).

ولم يشأ ابن حزم أن يغفل قضية نقد الخبر التاريخي في كتابه هذا بل عمد إلى تأصيلها في غير ما موضع من كتابه، ومن ذلك إبطاله ادعاء البعض بأن علياً بن أبي طالب لم يكن له سمي وانتقد هذا الادعاء معتمداً على ثقافته العالية في النسب حيث قال: "بل كان في العرب من يسمون هذا الاسم كعلي بن وائل (2)، إليه يرجع كل بكري في العالم نسبة، وفي الأزدي، وفي بجليلة علي وغيرها، وكل ذلك في الجاهلية مشهور، وأقرب من كل ذلك عامر بن الطفيل يكنى أبا علي (3)، ومجاهرتهم أكثر مما تذكر.

وهكذا فإن ابن حزم في محاكماته للأخبار التاريخية يبحث عن الأسباب والعوامل الكامنة وراء تلك الأحداث والأخبار، ويعول على تحكيم العقل في طبيعة الخبر، إلى جانب اعتماد توثيق الرواة، حتى في بعض ما يدرجه غيره ضمن الأحاديث نفسها، ولتأخذ مثلاً واحداً على ذلك ينخص علم النسب وهو حديث "هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر" فقد رواه سليمان بن محمد الخزاعي عن هشام بن خالد عن بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة فرده ابن عبد البر بقوله: "سليمان لا يحتج به" أي أنه لم يقبل.

(1) أنظر: جمهرة أنساب العرب، ص 6.

(2) نفسه، ص 309.

(3) نفسه، ص 285.

الحديث لضعف الراوي⁽¹⁾ . وقال فيه ابن حزم: وقد أقدم قوم فنسبوا هذا القول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا باطل ببرهانين:

أحدهما : أنه لا يصح من جهة النقل أصلا.

والثاني : أن البرهان قد قام على أن علم النسب علم ينفع، وجعل يضر في الدنيا والآخرة ولا يحل لمسلم أن ينسب الباطل المتيقن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾ ، فاتكأ على المنهجين معا في رفضه أن يكون ذلك القول حديثا .

لقد تأثر ابن حزم في منهجه التاريخي بنهج المحدثين في الجرح والتعديل، فجعل أحكامه التاريخية نموذجا آخر من هذا المنهج ، وهو ما نجد صداه في الجمهرة ، ومن ذلك قوله في الحكم الربضي: " وهو الذي أوقع بأهل الربض، وقتل الفقهاء والخيار وخصى عددا من ذوي الجمال من أهل قرطبة... وهدم الديار والمساجد وولى ذلك رجلا نصرانيا كان أثيرا عنده اسمه ربيع"⁽³⁾ . وذكر الأمير عبد الله بن محمد فقال: " كان قتالا تهون عليه الدماء، مع ما كان يظهره من عفته، فإنه احتال على أخيه المنذر لما قصده بالعسكر، وواطأ عليه حجاما سم المبضع الذي فصده به، ثم قتل ولديه معا بالسيف واحدا بعد واحد وقتل أخاه القاسم ثالثهم، إلى من قتل من غيرهم "⁽⁴⁾ . ويقول في سليمان بن الحكم المتلقب بالمستعين " :وهو الذي كان شؤم الأندلس وشؤم قومه، وهو الذي سلط جنده من البرابرة فأخلوا مدينة الزهراء وجمهور قرطبة حاشا

1 ابن حجر : لسان الميزان ، 3 / 103 - 104 .

2 أنظر : جمهرة أنساب العرب ، ص 6 .

3 أنظر : الجمهرة ، ص 95 - 96 .

4 ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص 26 .

المدينة وطرفا من الجانب الشرقي، وأخلوا ما حوالي قرطبة من القرى والمنازل والمدن وأفنوا أهلها بالقتل والسبي وهو لا ينكر ولا يغير عليهم شيئا⁽¹⁾.

2-نسب البربر في مجلد⁽²⁾. ولا ندري هل هذا الكتاب مستل من كتابه جمهرة أنساب العرب ، وزاد ابن حزم عليه زيادات ؟، أم أن الجزء الذى ضمنه ابن حزم جمهرته مأخوذ من كتابه آنف الذكر ؟ . ومن ثم فنحن فى حيرة بشأن أى الكتابين صنف أولاً ؟!! .

وفىما يخص معاجم الشيوخ وكتب الفهارس وبرامج المرويات والمسموعات فقد شغف العلماء عبر العصور بالكتابة فى هذا الفن ، وما يتصل بذلك من الأمور التى تفيد فى معرفة طرائق الرواية، واتصال الأسانيد ومعرفة أمهات الكتب ، ومن جملة هؤلاء ابن حزم والذى تناول هذا الفن فى كتابين مفقودين من كتبه هما :

1- تسمية شيوخ مالك ، وهذا الكتاب يؤكد حقيقة بداية ابن حزم حياته العلمية على المذهب المالكى شأنه شأن جل الأندلسيين فى عصره. كما يؤكد حقيقة توقير ابن حزم للإمام مالك ، وموضوعيته رغم حملته التى شنّها على مالكية عصره بسبب التقليد .

2- فهرسة شيوخ ابن حزم⁽³⁾.

1 ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص 102 .

2 عبد الباقي السيد : ابن حزم ، ص 352 .

3 نفس المرجع والمكان والصفحة .

المبحث السابع : تاريخ الأديان والفرق والأفكار

يعتبر ابن حزم حجة في هذا الصنف من التاريخ إذ يعتبر كتابه الشهير: " الفصل في الملل والأهواء والنحل " أحد أبرز ما كتب في المشرق والمغرب ، وقد سبق ابن حزم به الكثيرين من مؤرخي الفرق المسلمين وغيرهم من الغربيين ، ومن ثم فقد عول عليه كل من أتى بعده .

لقد استهدف ابن حزم من كتابه " الفصل " إبراز تأثير الطائفية في الانشقاق والتشرذم السياسي. فهو أول مصنف أندلسي في هذا الحقل الذي ارتاده المؤرخون المشاركة سلفا. والكتاب "تحفة فريدة في معالجة الأديان والعقائد "، معالجة نقدية بهدف إبراز تأثيراتها الإيجابية والسلبية في الفكر الإسلامي، في إهدار وحدة الأمة عموما، والأندلس خصوصا. وتتسم معالجة ابن حزم بالطابع الجدلي السجالي، المستند إلى الدليل والبرهان ⁽¹⁾.

ويتضمن الكتاب عرضا رصيناً لتاريخ الرسل والأنبياء، وخص تاريخ بني إسرائيل في أحد جزئياته ⁽²⁾، فضلا عن مباحث في الإلهيات العملية، كالميعاد والثواب والعقاب ، وأخرى فلسفية، كالجوهر والعرض والنفس والجسد ؛ مما يؤكد إحاطة واعية بدور الفلسفة الإيجابية في كتابة التاريخ، خصوصا في مجال التفسير والتنظير. أما مبحثه عن الإمامة ، فيعكس اهتمامه بالرغبة في إحياء الخلافة الأموية بالأندلس ، وقد أفادنا إفادات حجة في حديثه عن إمامة المفضول ، وحديثه عن من حارب علياً بن أبي طالب من الصحابة ، وكلامه عن نفاذ أحكام الفاسق ⁽³⁾ ، لذلك لم يخطئ أحد الدارسين الثقة، حين اعتبر هذا الكتاب أعظم ما ألف في علم الأديان المقارن . بل كان سببا في عكوف الراهب الأسباني أسين بلاسيوس بضع سنين عليه ليرجمه ويقدم له

1 ابن حزم : الفصل ، 1/26-35.

2 أنظر : رسائل ابن حزم ، 2/209-218.

3 أنظر : الفصل ، 3/110.

بدراسة عن ابن حزم ومدرسته في مجلد نفيس⁽¹⁾؛ وأصاب آخر حين انتهى إلى أن ابن حزم تأثر في صياغة عمله هذا بمنهجه الفقهي الظاهري⁽²⁾.

لقد أفادنا ابن حزم كثيرا بما عرضه في فصله من تأريخ لأفكار الفرق الإسلامية ضمن مبحث: ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر أو إلى المحال من اقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيعة⁽³⁾. كما أفادنا بنظرته الثابتة حال تدوينه للتاريخ حين عرض ما وقع بينه وبين اليهود من مناظرات حول التوراة وبعض الأحكام⁽⁴⁾، وكذا حين عرض ما وقع بينه وبين أحد قضاة النصارى، وما وقع بينه وبين أحد علمائهم حول أمور تمس النصرانية⁽⁵⁾.

وأما غايته من تصنيف كتابه العظيم الفصل في الملل والأهواء والنحل فيوضحها بقوله: "فإن كثيرا من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً فبعض أطال وأسهب وأكثر وهجر واستعمل الأغاليط والشغب فكان ذلك شاغلاً عن الفهم قاطعاً دون العلم وبعض أحذف وقصر وقلل واختصر واضرب عن كثير من قوي معارضات أصحاب المقالات فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لنا بالغبن في الإبانة وظالماً لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه وباخساً حق من قرأ كتابه إذا لم يغنه عن غيره وكلهم إلا نحلة القسم عقد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم وحلق على المعاني من بعد حتى صار ينسي آخر كلامه أوله وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله... فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عز وجل في جمعه وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام

1 بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 221، 222.

2 عبدالحليم عويس: ابن حزم، ص 228.

3 أنظر: الفصل، 111/3 وما بعدها.

(4) ابن حزم: الفصل، 303/3.

(5) أنظر: الفصل، 365، 366/1.

الْبَرَاهِينَ الَّتِي لَا تَخُونُ أَصْلًا مَخْرَجَهَا إِلَى مَا أَخْرَجَتْ لَهُ وَلَا يَصِحُّ مِنْهُ إِلَّا مَا صَحَّحَتْ
الْبَرَاهِينَ الْمَذْكُورَةَ فَقَطْ إِذْ لَيْسَ الْحَقُّ إِلَّا ذَلِكَ وَبِالْغَنَاءِ فِي بَيَانِ اللَّفْظِ وَتَرْكِ التَّعْقِيدِ
رَاجِعِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَهُوَ تَعَالَى وَلِيٌّ مِنْ تَوْلَاهُ وَمُعْطِيٌّ مِنْ
اسْتَعْطَاهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" (1).

فهو يبين أن هذا الكتاب خاص بالأدلة والبراهين ، مع التأريخ لأفكار أصحاب
الديانات والفرق بطريقة تختلف عن من سبقه في التصنيف في هذا الموضوع .

ويمتاز ابن حزم في أسلوبه - في كتابه الفصل وفي غيره - باستخدامه لفظ: قال: أبو
محمد كثيراً لتنبية القارئ إلى أمور من ضمن ذلك:

- 1- تكون بداية فقرة جديدة يعلم القارئ بها (2).
- 2- إيراد المصدر الذي يأخذ معلوماته منه (3).
- 3- نقل آراء العلماء من خلالها (4).
- 4- نقل أدلة الخصوم وحججهم (5).
- 5- إبطال أدلة الخصوم عن طريق إيراده لحججه (6).
- 6- يورد بعدها آراء الناس في مسألة معينة (7).

1 أنظر : الفصل ، 11/1 .

(2) ابن حزم : الفصل ، 63/3 .

(3) نفسه ، 157/4 .

(4) نفسه ، 209/4 .

(5) نفسه ، 127/4 .

(6) نفسه ، 128/4 .

(7) نفسه ، 101/4 ، 121 .

7- وسيلة لإيراد بعض المناظرات التي تحصل بينه وبين بعض المناظرين⁽¹⁾.

8- يستخدمها في الربط بين موضوعين⁽²⁾.

9- ينبه القارئ أن ما سيورده بعدها هو رأيه وقوله⁽³⁾.

وفي أسلوب ابن حزم في هذا الكتاب خاصيتان تلقيان ظللاً من الشك على دور المؤرخ لديه:

إحدهما هي القطع والحسم البات بمثل " لا بد " و " لا شك " فهذه إذا لم يكن لها ما يسوغها تمس جانب الدقة في المؤرخ.

والثانية هي الحدة في الخطاب وهي تمس جانب الإنصاف في المؤرخ، وخاصة حين تتطابق لديه شخصية المؤرخ مع شخصية المتكلم الجدل. وكلتا الصفتين لا يمكن نفيهما عنه أو الإقلال من تأثيرهما في نفس من يدرس دور المؤرخ لديه، ولكن مزيداً من التعرف على شخصيته في إخلاصه وصدقه وصراحته واعتداده بذكائه وإطلاعه يجعل قبول هاتين الخاصيتين أمراً ممكنًا؛ فالحسم البات لا يكون إلا من ثقة لا يشوبها غرور كي يجد قبولاً، والحدة قد تكون ذات علاقة بوضع نفسي أو تعويضاً عن فقدان شيء ما، فهي حدة لم يستطع التخلي عنها من سهاهم العلامة الدكتور محمود مكي " جيل الفتنة البربرية " من أمثال ابن حزم وابن حيان وابن شهيد، كما لم يستطيعوا أن يتخلوا عن السخرية؛ فقد كانوا نتاج فترة " إحباط " نفسي، عبر عنه كل واحد منهم بطريقته، وإذا كان ابن حزم يصك معارضه برأيه صك الجنادل⁽⁴⁾ - فيما يقول ابن حيان - فليس ابن

(1) نفسه ، 4/ 196.

(2) نفسه ، 3/ 63.

(3) نفسه ، 2/ 339.

4 ابن بسام : الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ، ص 168.

حيان فيما يصوره من شخصيات وأوضاع بأقل عنفا - إن اختلف نوع العنف - وليس ابن شهيد صاحب التوابع والزوابع ورسائل أخرى بأقل سخرية منهما.

أما بشأن منهج ابن حزم في كتابه الفصل . فقد استخدم عدة مناهج حال تدوينه هذا الكتاب العظيم يأتي في مقدمتها المنهج الإحصائي الذي يتضح حال مناقشته مآل التوراة وحالها بين بني إسرائيل ، والتي من خلال طرحه يبين ضياع التوراة الحقيقية ، وأن التي بين يدي اليهود هي توراة محرفة وباطلة ويعبر عن ذلك بقوله : " ونصف ان شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بني اسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام الى انقراض دولتهم الى رجوعهم الى بيت المقدس الى ان كتبها عزرا الوراق بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد... وما اختلفوا فيه... نبهنا عليه ليتيقن كل ذي فهم انها محرفة مبدلة. " (1).

وابن حزم هنا يؤكد أن التوراة لم تكن لتسلم من التحريف عبر تاريخ بني اسرائيل، لعدة اعتبارات يمكن أن نجملها في التالي :

أولا : أنها من جهة لم تكن عند عموم الناس بل كانت عند "الكاهن الأكبر" وكل كتاب يبقى عند فئة بعينها فسلامته من التحريف والتبديل تكون ضعيفة .

ثانيا : لأن تاريخ بني اسرائيل مليء بالحروب والدمار والسبي والحرق الى درجة يستحيل معها بقاء التوراة سالمة، خاصة وأن المعابد هي أول ما كان يتعرض للتخريب والنهب عندهم.

ثالثا : لأن ملوك بني إسرائيل بعد انقسام المملكة كان جلّهم على الكفر، محارب للإيمان ومخرب للمعابد، فلم تكن التوراة لتنجو منهم، ومن خلال ما طرحه ابن حزم بشأن هذه القضية يمكننا أن نقسمها على النحو التالي ليتبين لنا من خلال الإحصاء بطلان التوراة وتحريفها :

أولاً : حال التوراة من موت موسى الى انقسام المملكة: وهنا يستعرض ابن حزم تاريخ بني إسرائيل عبر هذا التاريخ من يوشع بن نون حتى سليمان عليه السلام مبنينا سنوات حكم كل حاكم أو نبي أو ملك ، وقد أحصاهم جميعا فبلغوا سبعة وعشرين حاكماً⁽¹⁾.

وقد علق ابن حزم على هذا التاريخ بقوله "فاعلموا الآن أنه من وقت دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور، سبع ردادات فارقوا فيها الإيمان واعلنوا عبادة الأصنام (بين ثمانية اعوام واربعين سنة في ردة) فتأملوا اي كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم." ⁽²⁾.

وهكذا ينكر ابن حزم هنا سلامة التوراة مع تلك الفترات الطوال من الكفر التي يقر فيها كاتب التوراة أن الجميع يكفر ولا يبقى واحد على الإيمان، بل يجاهرون بعبادة الأصنام.

ثانياً : حال التوراة في مملكة "يهودا" من بدايتها الى نهايتها : وهي التي تضم بني يهوذا وبني بنيامين لبني سليمان، وقد عرفت عشرين ملكاً بدءاً من رحبعان بن سليمان حتى متنيا بن يوشيا ، والذي حكم إحدى عشرة سنة إلى أن اسره بختنصر وهدم البيت والمدينة واستأصل جميع بني اسرائيل وبني سليمان جملة ، كان معظمهم على الكفر وعبادة الأوثان⁽³⁾.

1 أنظر : الفصل ، 1/214-216.

2 نفسه ، 1/216.

3 ابن حزم : الفصل ، 1/216-220.

وقد علق ابن حزم على ما سبق بقوله: "فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم الى انقضائها إلا عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده في الهيكل فقط" (1). وقد أشار ابن حزم الى أن فترة ملكهم التي دامت حوالي أربعمئة سنة، حكمهم فيها تسعة عشر ملكا وامرأة هي تمام العشرين كانوا كلهم على الكفر حاشى خمسة منهم كانوا على الإيمان. وقد وصلت المدة الفاصلة بين فترة الإيمان والكفر الى أكثر من مائة وستين عاما في احدى المرات، كلها في عبادة الأوثان وقتل الأنبياء، واستمر حالهم كذلك الى أن سباهم بختنصر وهدم البيت واستأصل أثره ولم تكن التوراة عند أحد إلا فيه، فكيف تسلم عبر هذه القرون الطويلة وهي في الهيكل الذي كانت الغارات لا تغفل عنه ولا تترك فيه شيء! (2).

ثالثا: حال التوراة في مملكة "اسرائيل" من بدايتها الى نهايتها:

وقد ضمت هذه المملكة الأسباط العشرة، أما ملوكهم "فلم يكن فيهم مؤمن قط ، بل كانوا معلنين عبادة الأوثان، مخيفين للأنبياء مانعين القصد الى بيت المقدس ولم يكن فيهم نبي قط الا مقتولا أو هاربا مخافا" ، وقد أجمل ابن حزم عددهم في إحدى وعشرين ملكا بدءاً من برعام بن ناباط حتى هوشع بن أيلآ آخر ملوك الأسباط العشرة. (3).

ومن خلال العرض السابق الذى لخص لنا حال أولياء بنى إسرائيل وملوكهم منذ موت موسى عليه السلام الى سبي البابلي، يتبين أن أغلبهم كانوا على الكفر، مجاهرين بعبادة الأوثان، متبعين للشهوات والملذات، وذلك بشهادة الكتاب المقدس نفسه، بل إن التوراة خلال هذه القرون الطويلة لم تكن متداولة بل كانت دائما بيد الكوهن الأكبر، الى أن أقيم الهيكل فوضعت فيه ولم تكن عند أحد، أضف الى ذلك أن كل

1 أنظر: الفصل ، 220/1.

2 أنظر: الفصل ، 220/1.

3 نفسه ، 224،223/1.

الغارات التي كانت تصيهم كانت تفرغ الهيكل من كل ما فيه، هذا وفد تعرضت التوراة للتمزيق والإحراق غير ما مرة، فكيف يدعي مدع بنجاتها من كل هذا ووصولها سالمة!!

ولذا نجد ابن حزم يعلن في وضوح بعد استخدامه المنهج الإحصائي أن التوراة الحقيقية لم تنج من التحريف والتبديل ، وهذا نص قوله : "إنها من إملأ عزرا الوراق الهاروني وهم مقرون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كبير فأصلحه!!... وكانت كتابته لها بعد سبعين سنة من خراب البيت، وكتبهم تدل على أنه لم يكتبها ولم يصلحها إلا بعد نحو أربعين سنة من رجوعهم الى البيت بعد سبعين عاما السالفة الذكر، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلا، ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهورا ضعيفا ولم تزل تتداول الى أن جعل "انطاكيوس" الملك وثنا للعبادة في بيت المقدس، وأخذ بني اسرائيل بعبادته ثم تولى أمرهم في كل قرية وذلك بعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمئة سنة.. ثم إن في التوراة التي ترجمها السبعون شيخا لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة مخالفة للتي كتبها عزرا" فلا سبيل إذاً للقول بنجاة التوراة! (1).

كما يتضح المنهج الإحصائي عند ابن حزم أثناء حديثه عن مسألة المفاضلة بين الصحابة ففي تقييمه لشخصية أبي بكر ، يبين أنه أفقه الصحابة وأكثرهم رواية، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار: " أن أبا بكر لم يعيش بعد رسول الله إلا ستين وستة أشهر" (2)، وهو أيضاً لم يكن قد غادر المدينة في خلافته إلا حاجاً أو معتمراً، ومع ذلك فقد: " روى عنه عن النبي مائة حديث واثنان وأربعون حديثاً مسندة" (3)، كما أنه كان ورعاً في مدة خلافته فلم يستعمل أحداً من أقربائه في الأعمال والأمصار، بالرغم من أنه كان له

(1) أنظر : الفصل ، 1/223، 224.

(2) نفسه ، 4/213.

(3) نفسه ، 4/213.

أقرباء من خيار الصحابة⁽¹⁾. كما أنه كان أول الناس إسلاماً برأيه، وذلك لأن النبي بعث وعمره ثمان وثلاثين سنة مقارنة بغيره من الصحابة وهذا السن فيه كمال العقل والمكانة الاجتماعية فكانت قوة معنوية للنبي عليه الصلاة والسلام⁽²⁾، وحتى بعد أن تولى الخلافة كان زاهداً في المعيشة متكففاً بها: "فما اتخذ جاريه ولا توسع في مال، وعد عند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه إلا بعض حقه وأمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من سهامه في المغازي"⁽³⁾.

كما يتضح المنهج الإحصائي الذي استخدمه ابن حزم في كتابه الفصل حال حديثه عن تواريخ العرب والعجم وممالك النصارى والصقالبة والترك والهند والسودان فإنه يشير إلى ثلاث درجات تخص إنجاب الذكور، وهي:

أولاً: الحد الأعلى المعقول للكثرة: 14 ولداً.

ثانياً: الحد النادر جداً: عشرون فما فوق.

ثالثاً: الحد الذي لا يقاس عليه جماعياً: 30 فما فوق؛ وهذا الأخير ينطبق على أفراد بأعيانهم منهم:

1- أنس بن مالك الأنصاري مائة ولد.

2- خليفة بن أبي السعدي مائة ولد.

3- أبو بكر مائة ولد.

4- عمر بن عبد الملك ستون ولداً.

(1) نفسه، 217/4.

(2) نفسه، 218/1.

(3) نفسه، 216/1.

- 5- جعفر بن سليمان بن علي أربعون ولدا
- 6- عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ثلاثون ولدا.
- 7- موسى بن إبراهيم بن موسى واحد وثلاثون ولدا .
- 8- وصيف مولى المعتصم خمسة وخمسون ولدا.
- 9- تامزوت مولى بني مناد ثمانون ولدا.
- 10- رجل بربري من بني دمر مائتين من ولده وولد ولده.
- 11- تميم بن زيد بن يزيد اليفرني خمسون ولدا.
- 12- أبو البهار بن زيري ثلاثون ولدا.
- 13- مرزوق بن أشكر الثغري ثلاثون ولدا.
- 14- أحد ملوك الهند ثمانون ولدا.
- 15- جدعون بن يوأش اليهودي سبعون ولدا.
- 16- يائير بن جلعاد اليهودي اثنان وثلاثون ولدا .
- 17- عبدون بن هلال (هليل) اليهودي أربعون ولدا.
- 18- أفصان (أبصان) اليهودي ثلاثون ولدا.
- 19- جودرز ملك كرمان تسعون ولدا⁽¹⁾.

وإلى جانب المنهج الإحصائي الذي استخدمه ابن حزم في كتابه الفصل وفي غيره من مصنفاته التاريخية . فقد كان الاتجاه العقلاني واضحا لدى ابن حزم في مناقشة الروايات التي طرحها بكتابه الفصل ، ومن ذلك مثلا موقفه ممن قال إن المسلمين لم يبايعوا عليا بعد وفاة الرسول لأنه كان قد قتل عددا من رجالات قریش، فانحرف الناس عنه، ويرد ابن حزم بأن هذا تمويه ضعيف لأن الإحصاء يفنده ، فالذين قتلهم علي:

1 ابن حزم : الفصل ، 1/175.

- 1- رجل واحد من بني عامر بن لؤي هو عمرو بن ود.
- 2- رجال من بني مخزوم وبني عبد الدار .
- 3- اثنان من بني عبد شمس هما الوليد بن عتبة والعاص بن سهل بن العاص (وقد شارك في قتل ثالث).

هذا كل ما هنالك، ولم يقتل من بني تميم (قبيلة أبي بكر) ولا من بني عدي (قبيلة عمر) أحدا، وهما قد استبعداه من الخلافة، ولم يقتل من الأنصار أحدا (فلم يسرعوا إلى بيعته إن كان النص قد جاء بها) ولم يقتل أحدا من ربيعة ومضر واليمن وقضاعة (فلم لم تباعه هذه القبائل وبايعت أبا بكر) ⁽¹⁾ ، وهكذا يحاول ابن حزم - على قاعدة إحصائية - أن يدفع قول من قال: إن القرشيين كانوا منحرفين عن علي لأنه قتل عددا من رجالهم في حروبه مع النبي؛ ولست أقول أن هذا الجدال القائم على الإحصاءات دامغ لا ينقض، بل إن ابن حزم يعرف ذلك، فيورد حججا أخرى تؤيد البرهان الإحصائي وتعضده، ولكنه قلما يستغني عن "لغة الأرقام" لأنها رصيد ضروري مسعف عند الحاجة إليه، وإذا كان ذلك الرصيد قد يبرز بعض العجائب والنوادر في مجرى التاريخ الإنساني، فذلك في ذاته لا يمثل إلا جانبا واحدا من فوائد الإحصاء بين جوانب أخرى متعددة.

الجدير بالذكر أن منهج ابن حزم في نقد الأخبار، أو ما اصطلاح علي تسميته بفلسفة التاريخ يبرز جليا في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، ولا بد مما ليس منه بد أن نقرر أن ابن حزم قاد المحاولات الأولى لفهم وتفسير التاريخ في كتابه الأنف الذكر، وإن تعريفه للتاريخ وللمنهج التاريخي يقترب مما نعرفه اليوم؛ ولئن لم يطبق كثيرا من اقتراحاته الجزئية في كتاب خاص، فإن ذلك لا يسلبه فضل التعبير عنها بدقة ووضوح؛ ولعل السبب في شهرة ابن خلدون في هذا الموضوع ترجع إلى إفراده فصلا كاملا في

مقدمته عن النقد التاريخي تحت عنوان (المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها) (1) ، أما ابن حزم فلم تجمع آراءه دراسة متخصصة أو فصل كامل ، وإنما كانت مبثوثة في ثنايا كتبه ، لا سيما في كتابه الشهير الفصل في الملل والأهواء والنحل (2).

لقد نقل ابن حزم التاريخ من مجرد رواية للخبر إلى النقد المعتمد على أصول عقلية ومنطقية مبينا ما بالتاريخ من أساطير وخرافات وروايات كاذبة ، وظهر ذلك في رفضه لقول الأخبار التي اتفق الشيعة والسنة على صحتها ، ومنها احتجاجهم بقول رسول الله لعلي : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " (3)، وهنا يستخدم ابن حزم الواقع التاريخي في إبطال ما احتج به الشيعة من أن هذا الحديث يؤكد أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة بعد النبي فيقول: " إنما قاله رسول الله إذا استخلف علياً على المدينة في غزوة تبوك، فقال له المنافقون استثقله فخلفه، فلحق علي برسول الله فشكى إليه ذلك، فقال له ما قال " (4)، ثم يرجع إلى التوراة نفسها ليستخدمها في إبطال احتجاج الشيعة بهذا الحديث لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى ، فأنى لعلي أن يلي الأمر بعد النبي ، فيقول ابن حزم : " هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون ، فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة " (5).

1 أنظر : المقدمة ، ص 6-26 .

2 عبد الباقي السيد : ابن حزم الظاهري ، ص 260.

(3) أنظر : صحيح مسلم ، 4/1870-1871 ; جامع الترمذي ، 5/638.

(4) أنظر : الفصل ، 4/159-160 ; ابن هشام : السيرة ، 2/519-520.

(5) أنظر : الفصل ، 4/159.

لقد نجح ابن حزم في إخضاع الخبر لميزان العقل ، لأن تمحيص الخبر التاريخي من أهم مهام المؤرخ، فعند مناقشته لقول من ادعى أن عثمان بن عفان مكث مطروحا على مزبلة بعد وفاته اياما نراه يبطل ذلك بقوله : " كذب بحث، وإفك موضوع، وتوليد من لا حياء في وجهه، شهد دفنه طائفة من الصحابة هذا ما لا يتماهى فيه ممن له علم بالأخبار" (1).

وإذا كان ابن حزم لم يصنف كتابا مستقلا عن فلسفة التاريخ أو ما يسمى نقد الخبر التاريخي فقد أفرد جزءا كبيرا من مصنفه النفيس "الفصل في الملل والأهواء والنحل" للحديث عن نقد التوراة ، وركز فيه على ثلاثة أمور؛ ليثبت من خلالها التحريف الذي لحق بها وهي:

أولا: عدم الدقة التاريخية والجغرافية ، فقد ناقش ابن حزم تفاصيل توراتية عديدة ذات صبغة تاريخية أو جغرافية، وأكد على عدم صحة هذه التفاصيل؛ فعدد السنوات التي تعطى لبعض الشخصيات غير دقيق، ولا يتناسب مع التسلسل التاريخي لأحداث توراتية أخرى، ففي قصة الطوفان نجد الحساب الزمني ينحرف حوالي عشرة أشهر عما هو مذكور في سفر التكوين، وهذا الانحراف الزمني حدث لأن يد التحريف تناولته؛ لأن "الله لا يخطئ ولا في دقيقة واحدة"، كما يقول ابن حزم، وقد تكرر هذا الأمر كثيرا في تسلسل الأحداث التاريخية في التوراة، كما لاحظ ابن حزم تناقضات تاريخية بين سفر الخروج وسفر العدد (2).

ومن النصوص التوراتية المرتبطة بعلم الجغرافية، والتي تعرض لها ابن حزم النص الآتي من سفر التكوين: "ونهر يخرج من عدن فسيقي الجنات ثم يفترق فيصير أربعة اسم احدها النيل وهو محيط بجميع بلاد زويلة... واسم الثاني جيحان وهو محيط

(1) أنظر: الفصل، 239/3.

(2) أنظر: الفصل، 140/1-153.

بجميع بلاد الحبشة واسم ثالث الدجلة وهو السائر شرق الموصل واسم رابع الفرات وأخذ الله آدم ووضعه في جنات عدن".

قال ابن حزم: "في هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزء"، وهو هنا ينفي تماماً الإلهية عن هذا الكلام ويؤكد أنه لا يمكن أن يصدر إلا عن كذاب مستهزء ويبين كذبه بقوله: "أول ذلك إخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر الذي يخرج من جنات عدن التي اسكن الله فيها آدم... وكل من له ادنى معرفة بالهيئة وينصبه الربع المعمور من الأرض أو مشى إلى مصر والشام والموصل يدري أن هذا كله كذب فاضح وأن مخرج النيل من عين الجنوب ومصبه قبالة الاسكندرية فأما جيحان فيخرج من بلاد الروم حتى يصب في البحر الشامي وأما دجلة فمخرجها من أعين بقرب خلاط من عمارينية وأما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من (قالي)... فهذه كذبة شنيعة لا مخلص منها والله لا يكذب." (1).

ومن خلال هذا البيان الدقيق المستوحى من علم ابن حزم الجيد بالجغرافية، يؤكد مرة أخرى شناعة ما احتوته التوراة من الكذب الذي يستحيل أن يصدر عن الله عز وجل، وقد استمر بعد هذا في إعطاء معلومات أخرى حول هذه الأنهار خلافا لما جاء في التوراة.

وفيا يخص الحساب والتاريخ معاً فقد ساق ابن حزم في هذا الباب أمثلة كثيرة تبين جهده العظيم في نقد الخبر التوراتي والروايات التوراتية، وأكد من خلالها أن الذي ألف التوراة لم يكن له علم بالحساب، منها كلامه عن مدة تعذيب بني إسرائيل، ومدة بقائهم في مصر، والفارق الزمني بين الأحداث في التوراة مقارنة مع الإنجيل مرتبطة بالطوفان وأبناء نوح عليه السلام وسوف اقتصر على ما ساقه عن عمّر سام ابن نوح عند وقوع الطوفان حيث قال: "قال توراتهم أن نوحاً لما بلغ خمسمائة سنة ولد له يافت وسام وحام ثم ذكر أن نوحاً إذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة

وقال بعد ذلك إن سام لما كان ابن مائة سنة ولد أرفكشاد لستين بعد الطوفان " ففي الحساب الأول أن سام لما كان عمره مائة سنة وقع الطوفان، وفي الثاني لما كان عمره مائة سنة كان قد مر على الطوفان ستين، ونتيجة لهذا الاضطرب قال ابن حزم " وهذا كذب فاحش وتلون سمج وجهل مظلم... حاشى الله من مثله ".⁽¹⁾. وهو هنا ينزه الذات الإلهية عن الكذب والخطأ وينسبها لمن أَلَف التوراة.

ثانيا : سلوكيات غير مقبولة ، فقد اعتبر ابن حزم أن القصص المتكررة عن الزنا في سفر التكوين، والمنسوبة إلى أجداد وأنبياء بني إسرائيل دليلاً قاطعاً على تحريف الكتاب المقدس، فقد أَلَقَت هذه القصص بظلالها على السلوك الأخلاقي للأنبياء والأجداد، وقد أحصى ابن حزم هذه القصص وتبعها؛ فذكر قصة لوط وزنا ابنتيه به، وقصة زواج إبراهيم من أخته غير الشقيقة (سارة) (تكوين 12: 12-13)، وكيف اضطجع يعقوب مع ليئة التي تزوجها خطأ بدلاً من أختها (تكوين 15: 29)، وكيف اضطجع رأوبين (أحد أبناء يعقوب عليه السلام) مع "بلهة" زوجة أبيه، وكيف تخلص داوود من أحد أتباعه ليتزوج امرأته، وكيف استمالت زوجات سليمان زوجهن لعبادة ألهتهن... إلخ.

لقد كان واضحاً أن ابن حزم في هجومه على التوراة يدحض مفاهيم مسيحية كذلك؛ وقد عبر عن دهشته من قبول المسيحيين للعهد القديم، رغم "فساد نصه"؛ لكنه كان يربط ذلك بقبولهم لقصص الأناجيل المتناقضة وغير الصحيحة⁽²⁾. ويختتم ابن حزم نقده لنصوص التوراة موضحاً بطلانها بالبرهان القاطع بقوله: "هذا آخر توراتهم وتماها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة وإنها تاريخ مؤلف، كتبه لهم من تحرض بجهله أو تعمد

1 أنظر: الفصل، 147/1.

2 أنظر: الفصل، 159، 160.

بفكره، وانها غير منزلة من عند الله تعالى؛ إذ لا يمكن ان يكون هذا الفصل منزلا على موسى في حياته وقوله لم يعرف قبره آدمي الى اليوم بيان لما ذكرنا كاف، وانه تاريخ الف بعد دهر طول ولا بد. " ثم يستطرد قائلا بأن فصلا واحدا من الفصول التي ذكر موجب لتحريف التوراة ، فكيف وهي سبعة وخمسون فصلا قد تجمع الفصل منها سبع كذبات أو مناقصات " (1).

لم تقتصر جهود ابن حزم بخصوص هذا الصنف من أصناف الكتابة التاريخية على كتابه العظيم الفصل ؛ بل كانت له مشاركات عديدة نذكر منها :

1-الأصول والفروع ، وهو أشبه بمختصر لكتاب الفصل إن لم يكن هو بالفعل المختصر الذي أشار إليه الذهبي وغيره من كتاب السير والتراجم.

2-كتاب السياسة الذي صنفه تقريبا سنة 418هـ/1026م وقد نشر محمد إبراهيم الكنانى بمجلة تطوان عدد (5) سنة 1960م ص 95-107 نتفا ذكر أنها من كتاب السياسة ، والأمر ليس كذلك لأمر عدة ذكرناها بكتابنا : " كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم وأثره في الحضارة الإسلامية " ، منها :

الأول : أن التنف المنشورة تعالج قضية الخلافة وما يتبعها من خطط وولايات سياسية وإدارية ودينية ومالية ، وهو ما يؤكد ما نذهب إليه من أن هذه التنف من كتاب الإمامة والسياسة في سير الخلفاء ومراتبها ، وليست من كتاب السياسة .

الثاني : أن ابن حزم أشار إلى كتاب السياسة في كتابه التقريب لحد المنطق حال حديثه عن تمييز النفس ومنفعة العقل ، ومن ثم رأيناه يقرن بينه - أى كتاب السياسة - وبين كتابه عن أخلاق النفس بقوله : " وبيان ذلك مذكور في كتابنا في " أخلاق النفس والسيرة الفاضلة " ، وفي كتابنا في " السياسة " إن شاء الله تعالى ... " (2).

1 أنظر : الفصل ، 212/1.

2 أنظر : التقريب ، رسائل ابن حزم ، 4/319.

الثالث : أن ذكر ابن حزم لكتابه السياسة جاء في الباب السادس عشر من كتابه التقريب وعنوانه : " باب الكلام في فضل قوة إدراك العقل على إدراك الحواس " (1) ، وهو ما يؤكد أن كتاب السياسة الذي صنفه ابن حزم لا دخل له بخطط الدولة ولا بنظمها ، بل هو على منوال كتب السياسة التي صنفها الفلاسفة كالفارابي وابن سينا ، وغيرهما ممن عرضنا لكتبهم بالفصل الثاني من كتابنا : " كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم وأثره في الحضارة الإسلامية " .

3- كتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها (2) ، وورد عند ابن حيان في كتابه المتين (3) باسم : " الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها " (4) ؛ وذكره أبو العباس أحمد العزفي السبتي باسم " سياسة الإمامة وتدبير المملكة " (5) ؛ وذكره المقرئ باسم " الإمامة والخلافة " (6) ، ولا شك أن التسمية الأولى التي وردت عند ابن حيان مؤرخ الأندلس الشهير ومعاصر ابن حزم هي أدق التسميات للكتاب ، وعنه أخذها ابن بسام في

1 أنظر : التقريب ، 312/4-320.

2 ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، 143/1 ؛ وانظر : المقرئ : نفح الطيب ، 1/365.

3 من كتب ابن حيان المفقودة والتي نقل عنه ابن بسام في ذخيرته نقولا مطولة ، ومن جملتها ترجمة ابن حزم ، والتي فصل فيها ابن حيان كثيرا من الأمور عن ابن حزم حتى وفاته في العام 456هـ ، وقد جمع أستاذنا الدكتور عبدالله جمال الدين ما توفر له من نصوص المتين ، وطبعها في مجلد بالمجلس الأعلى للثقافة ، وهو في أصله كان القسم العربي من أطروحته للدكتوراة التي حصل عليها من جامعة مدريد .

4 نقلا عن : عبدالله محمد جمال الدين : من نصوص كتاب المتين ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1418هـ/1997م ، ص 48 .

5 أنظر : إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدرهم والصاع والمد ، تحقيق محمد الشريف ، ط 1999م ، ص 104.105 .

6 أنظر : نفح الطيب ، 1/365.

ذخيرته وأثبتها كما هي ؛ ومن ثم أثبتناها عنه ، وأما ما ذكره العزفي عن اسم الكتاب فلا شك أنه عني بما ذكره مضمون الكتاب ، وهو وإن كان قد ابتعد كثيراً عن الاسم الحقيقي له إلا أنه أكد لنا أن مضمون الكتاب يخص الخلافة وتدبير الدولة الإسلامية ، وما يتبع الإمامة من خطط وولايات . الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى ما ذهبنا إليه من أن الشذرات التي نشرها الكتاني ليست من كتاب السياسة لابن حزم ، وإنما هي من كتاب الإمامة والسياسة .

وقد وردت شذرات من كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم ضمن كتاب الشهب اللامعة والسياسة النافعة لابن رضوان ، وضمن بدائع السلك لابن الأزرق ، وضمن كتاب السياسة لمجهول . فضلاً عن اعتماد كل من أبي العباس العزفي ، وأبي الحسن على بن يوسف الحكيم - صاحب الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة - عليه ونقلهما منه ؛ وقد تقصينا هذه النصوص بالفصل الرابع من كتابنا : " كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم وأثره في الحضارة الإسلامية " .

4- كتاب الإمامة والمفاضلة ، صنفه ابن حزم ككتاب مفرد تناول فيه ما يخص الخلافة من شروط وأحكام ، وطرق البيعة ، وإمامة المفضول إلخ . ثم ضمنه في كتابه الفصل (1) .

5- الرسالة اللازمة لأولى الأمر ، وللأسف هي من كتبه المفقودة ، ولكن لا شك أن هذه الرسالة تناولت ما يخص الخليفة وكل ما وسد إليه أمراً من أمور الحكم في الدولة الإسلامية . كما هو واضح من عنوانها .

الخاتمة

وصفوة القول ، وقد وصلت الدراسة إلى متنهاها فقد تمخضت عن عدة نتائج منها:
أولاً : أثبتت الدراسة أن التدوين التاريخي بالأندلس بدأ مع بداية العصر الأموي، وكان أكثر الإخباريين والمؤرخين - في بداية هذا العصر - من موالى الأمويين الذين قصدوا بكتاباتهم إظهار ما للأندلس من فضائل تتميز بها.

ثانياً : بينت الدراسة أن أقدم الكتب المدونة في تاريخ الأندلس تعود للعقود الأولى للقرن الهجري الثالث ، وترتبط بمؤلفات عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة 238هـ / 852م فهو أول أندلسي يؤلف كتاباً يعرض فيه تاريخ بلاده واسمه (مبتدأ خلق الدنيا) أو (استفتاح الأندلس) المعروف بتاريخ عبد الملك بن حبيب الألبيري.

ثالثاً : أبرزت الدراسة أن الكتابة التاريخية اتسمت خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى بغزارة الروايات والأسانيد وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعلم الحديث، والسيرة، والأنساب، واللغة والأدب، واختلفت مستوياتها من حيث الصحة، والدقة، والشمول، وتأثرت بالأهواء السياسية والمذهبية والدينية.

رابعاً : أكدت الدراسة أن الكتابة التاريخية تطورت في القرن الرابع الهجري تطوراً ملحوظاً من حيث تدوين المادة، وتنظيمها، وتطور الفكر التاريخي، وفلسفته. ومع انتشار الورق وظهور المخطوطات المكتوبة، ورغبة المؤرخين في الاختصار، أدى ذلك إلى سقوط الإسناد. وبذلك بدأت الصلة تضعف بين علم التاريخ وعلم الحديث، وبدأ التاريخ يستقل عن الحديث ولكن دون أن يهمل التوثيق.

خامساً : برهنت الدراسة على تأثر ابن حزم بشخصية والده الوزير أحمد بن سعيد تأثراً ظهر جلياً عليه، وظل والده نبراساً له طيلة حياته.

سادساً : أكدت الدراسة أن ابن حزم بدأ حياته العلمية منذ نعومة أظفاره فدرس العلوم الإسلامية عامة، وبعض العلوم العقلية والفلسفية.

سابعاً : أبرزت الدراسة أن المعارضة بين ابن حزم وبين فقهاء المالكية اتخذت شكلاً أشد مما كانت عليه بكثير بعد عدوله إلى مذهب أهل الظاهر الذي نقحه وجادل عنه ووضع الكتب في بسطه ودعا الأندلسيين لأصوله وعارض ما اعتمدت عليه المالكية من أصول تختلف مع مذهبه الظاهري من خلال المناظرة وتصنيف الكتب في ذلك مثل : معارضته للقياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل .

ثامناً : أكدت الدراسة على أن بروز المذهب الظاهري بالأندلس لم يأت جملة بل مر بمراحل حتى تشكلت المدرسة الظاهرية التي ترسخت جذورها على يد قاضي القضاة منذر بن سعيد البلوطي ومن تلاه حتى ظهر ابن حزم ، ولعب دوراً كبيراً في ترسيخ جذور المذهب ، وكانت جهوده مقدمة لمرحلة متطورة في تاريخ المذهب حيث تم اختياره المذهب الرسمي في عهد دولة الموحدين .

تاسعاً : أبرزت الدراسة أن ابن حزم رغم تضييقه لنطاق التاريخ وميله للإيجاز وبعده عن التفريعات والتفصيلات فقد تناول التاريخ على أنه علم من العلوم ، وأطلق عليه علم الأخبار ، وجعله قسماً من الأقسام السبعة التي تنقسم إليها العلوم عند كل أمة ، وفي كل زمان ومكان .

عاشرًا : أظهرت الدراسة أهمية وقيمة ما دونه ابن حزم من كتابات تاريخية ، لا سيما وأنه كان صاحب مصادر متعددة ومتنوعة .

حادى عشر : أبرزت الدراسة تنوع أشكال البحث التاريخي ومجالاته عند ابن حزم ، والتي شملت السيرة النبوية ، والتراجم والطبقات ، والتاريخ المحلي ، وتاريخ الدول والحكام ، والأنساب ، ومعاجم الشيوخ .

ثاني عشر : اثبتت الدراسة أن الصدق والضبط وقوة الذاكرة والذكاء والدقة ، وقوة الملاحظة وحسن الاستدلال وجودة الاستنباط ، وربط الأحداث بعضها ببعض ، كل ذلك صفات وشروط تجعل من يكتب التاريخ راويةً أميناً ، ومحققاً نزيهاً ، وهو ما ينطبق على ابن حزم .

ثالث عشر : أكدت الدراسة أن ابن حزم استفاد كثيرا من طريقة أهل الحديث والفكر الفلسفي في التدوين التاريخي .

رابع عشر : برهنت الدراسة على أن ابن حزم نقل التاريخ من مجرد رواية للخبر إلى النقد المعتمد على أصول عقلية ومنطقية مبينا ما بالتاريخ من أساطير وخرافات وروايات كاذبة.

الملاحق ملحق رقم (1)

نص من كتاب حجاب خلفاء الأندلس لعيسى بن أحمد بن محمد الرازي عن الحاجب هاشم بن عبد العزيز في إمارة الأمير المنذر بن محمد (1).
وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازي في كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس من تأليفه أن المنذر بن محمد أستخلف يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين بعد وفاة أبيه بأربع ليال إذ كان غازيا بناحية رية فأغذ السير ودخل القصر يوم الأحد وصلى على أبيه - وكانت وفاته ليلة الخميس ليلة بقيت من صفر - ودفن . وبويع للمنذر بقية الأحد ويوم الاثنين بعده وأستحجب هاشم بن عبد العزيز إلى أن قتله .

قال : ولما قدم المنذر نزل في السطح وقعد للبيعة في ثياب سفره وربما اتكأ على فراشه لما كان أخذه من النصب وألم السفر لطيه المراحل . فلما دخل الناس قام هاشم ويده كتاب البيعة فأفتتح قراءته فلما بلغ إلى ذكر الإمام محمد حنقته العبرة فلم يبن كلامه . ثم أستدرك أمره ورجع من أول الكتاب حتى إذا انتهى إلى الموضوع الذي انتهى إليه أولا أخذه أيضا الحصر فلحظه المنذر لحظة منكرة ورآها منه هاشم فمضى في قراءة الكتاب حتى أكمله . فلم يشك كل من رأى تلك اللحظة أنه قاتله . قال : ولما وضع نعش الإمام محمد على قبره ألقى هاشم رداءه وقلنسوته ودخل القبر وبكى بكاء شديدا ثم قال متمثلا وهو يقبر :

أعزى يا محمد عنك نفسي ... معاذ الله والمنن الجسام

1 ابن الآبار : الحلة السيرة ، 138/1 . وقد وجهنا هذا النص إلى إعادة بناء بعض كتب آل الرازي ، ومنهم عيسى بن أحمد بن محمد الرازي صاحب كتاب حجاب خلفاء الأندلس ، والله تعالى نسأله السداد والتوفيق .

فهلأ مات قوم لم يموتوا ... ودوفع عنك لي كاس الحمام
فكان ذلك مما أوقد عليه موجدة المنذر ; والبيتان لأبي نواس الحسن ابن هانئ يقولهما
في محمد الأمين حين قتل .

قال الرازي : وذكر أن محمد بن جمهور وعبد الملك بن أمية كانا يرفعان عليه
ويغريان به وأنه خرج توقيع بخط يد الإمام المنذر فيه وهم فتنفس هاشم فرفع عنه .
قال : وحدث من كان حاضرا عند هاشم - يعنى يوم القبض عليه - إذ أقبل
صاحب الرسائل مستحثا له فخرج هاشم ومعه عمر ابنه فقبض منه كتباً كانت بيده .
وكان في رحبة داره قوم من أهل لبلة قد أتوا لشكر ابن أخيه - وكان عاملهم - فلما
خرج هاشم اندفعوا مستهلين بالشكر فأنتهرهم الفتى الذي أتى فيه وخرج عليهم
وأغلظ لهم وقال لهم : يا كذبة !

قال : فرأيت هاشما قد أربد وجهه غير أنه لم يقارضه بكلمة ومضى
وكان تحته فرس رائع أشقر فلما أتى عند باب الجنان كبا الفرس بهاشم فأستقل به
ووقف وقد امتقع لونه ساعة ثم تقدم ودخل . قال : فلم ينفض أهل موكبه حتى خرج
راجلا مكبلا فوالله ما رأيت يوما أكثر باكيا من ذلك اليوم ولو قلت إنه لم تخل دار
بقرطبة من بكاء على هاشم يوم حبس لما أبعدت ولصدقت فإنه كان رحمة مبسوطة
للعامّة والخاصة

قال : وأمر المنذر بحبس أكابر أولاده غير فإنه كان عينا للمنذر عليه يخاطبه بأسراره
وجميع أخباره ولم يزل عبد الملك بن أمية يغرى به ويرفع عليه ويستعين بالسيدة أخت
المنذر في مطالبته حتى كان من ضربه وهدم داره وإخراجه منها وقتله ما كان
قال : وأخرج هاشم صبيحة الليلة التي قتل فيها - ليلة الأحد لأربع بقين من شوال
سنة ثلاث وسبعين - غطيت جثته ورأسه بثوب وبعث به إلى أهله . وكان مولده في
أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم . ومن شعره وكتب به من محبسه إلى جاريته عاج :

وإني عداني أن أزورك مطبق ... وباب منيع بالحديد مضرب
فإن تعجبي يا عاج مما أصابني ... ففي ريب هذا الدهر ما يتعجب
وفي النفس أشياء أبيت بغمها ... كأني على جمر الغضى أتقلب
تركت رشاد الأمر إذ كنت قادرا ... عليه فلاقيت الذي كنت أرهب
وكم قائل قال : أنج ويحك سالما ... ففي الأرض عنهم مستراد ومذهب
فقلت له : إن الفرار مذلة ... ونفسي على الأسواء أحلى وأطيب
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني ... وما من قضاء الله للمرء مهرب
فمن يك مسرورا بحالي فإنه ... سينهل في كاسي وشيكا ويشرب
وله وكتب به إلى وليد بن غانم الوزير في أسره أثناء مخاطبة :
فكم غصة بالدمع نهنت خوف أن ... يسر بها أبديه شنان كاشح
تحاملت عنه ثم نادمت في الدجى ... نجوم الثريا والدموع سوافح
وله مما قاله بديها ووقع بذلك على ظهر رقعة لأحد أبنائه خاطبه فيها بشعر ضعيف :
لا تقل إن عزمت إلا قريضارئا لفظه ثقيفا رصينا
أودع الشعر فهو خير من الغث إذا لم تجد مقالا سميئا وما أحسن قول عبد الجبار بن
حمديس الصقل في هذا المعنى :
حرر لمعناك لفظا كي تزان به ... وقل من الشعر سحرا أو فلا تقل
فالكحل لا يفتن الأبصار منظره ... حتى يصير حشو الأعين النجل
ولهاشم في البيرة يذم وروده عليها وهي مكان أوليته :

إذا نحن رحنّا عنك يا شر بلدة ... فلا سقيت ربّاك صوب الرواعد
ولا زال سوط من عذاب منزل ... على قائم من ساكنيك وقاعد
فأجابه فتى من أهلها المتأدين يعرف بابن وجيه :
لقد حرم التوفيق من ذم بلدة ... يروح بها في نعمة وفوائد
ومن يتمنى سوط خزي منزل ... على قائم من ساكنيها وقاعد
فإن كنتم لم تحمدوا ما اخترتم ... فكل لكل لائم غير حامد

ملحق رقم (2)

أرجوزة ابن عبد ربه في مغازي عبدالرحمن الناصر⁽¹⁾

وقد أسبقها ابن عبد ربه بقوله : وهذه الأرجوزة التي ذكرت جميع مغازيه، وما فتح الله عليه فيها في كل غزاة :

- 1- سبحان من لم تحوه أقطار ... ولم تكن تدركه الأبصار
- 2- ومن عنت لوجهه الوجوه ... فما له ندو لا شبيه
- 3- سبحانه من خالق قدیر ... وعالم بخلقه بصير
- 4- وأول ليس له ابتداء ... وآخر ليس له انتهاء
- 5- أوسعنا إحسانه وفضله ... وعز أن يكون شيء مثله
- 6- وجل أن تدركه العيون ... أو يحويه الوهم والظنون
- 7- لكنه يدرك بالقريحه ... والعقل والأبنية الصحيحه
- 8- وهذه من أثبت المعارف ... في الأوجه الغامضة اللطائف
- 9- معرفة العقل من الإنسان ... أثبت من معرفة العيان
- 10- فالحمد لله على نعمائه ... حمدال جزيلا وعلى آلائه
- 11- وبعد حمد الله والتمجيد ... وبعد شكر المبدىء المعيد
- 12- أقول في أيام خير الناس ... ومن تحلى بالندى والبأس

1 أنظر : العقد الفريد ، تحقيق عبدالمجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1404هـ ، 242/5-265. وقد طرحنا على طلبة الدراسات العليا تخصص (المغرب والأندلس) هذه الأرجوزة كنموذج للأراجيز التي يمكن استخدامها في التدوين التاريخي في الأندلس ، في إطار توظيف العلوم البيئية في كتابة التاريخ ، وهي وغيرها بحاجة لوقفه متأنية من الباحثين للتعويل عليها في تدوين تاريخ عبدالرحمن الناصر مقارنة بما ورد بالمصادر الأندلسية المعاصرة لعصر الناصر . كما تناولناها للتدليل على أهمية الشعر في تدوين التاريخ ، وذلك في العديد من محاضراتنا التي تناولنا فيها قضية المعرفة التاريخية .

- 13- ومن أباد الكفر والنفاق ... وشرد الفتنة والشقاقا
- 14- ونحن في حنادس كالليل ... وفتنة مثل غشاء السيل
- 15- حتى تولى عابد الرحمن ... ذاك الأغر من بنى مروان
- 16- مؤيد حكم في عداته ... سيفا يسيل الموت من طباته
- 17- وصبح الملك مع الهلال ... فأصبحا يدين في الجمال
- 18- واحتمل التقوى على جبينه ... والدين والدنيا على يمينه
- 19- قد أشرقت بنوره البلاد ... وانقطع التشغيب والفساد
- 20- هذا على حين طغى النفاق ... واستفحل النكاث والمراق
- 21- وضافت الأرض على لسكانها ... وأذكت الحرب لظى نيرانها
- 22- ونحن في عشواء مدلهمة ... وظلمة ما مثلها من ظلمه
- 23- تأخذنا الصيحة كل يوم ... فما تلذ مقله بنوم
- 24- وقد نصلى العيد بالنواظر ... مخافة من العدو الثائر
- 25- حتى أتانا الغوث من ضياء ... طبق بين الأرض والسماء
- 26- خليفة الله الذي اصطفاه ... على جميع الخلق واجتباه
- 27- من معدن الوحي وبيت الحكمه ... وخير منسوب إلى الأئمة
- 28- تكل عن معروفه الجنائب ... وتستحي من جوده السحائب
- 29- في وجهه من نوره برهان ... وكفه تقبيلها قربان
- 30- أحيا الذي مات من المكارم ... من عهد كعب وزمان حاتم
- 31- مكارم يقصر عنها الوصف ... وغرة يحسر عنها الطرف
- 32- وشيمة كالضباب أو كالماء ... وهمة ترقى إلى السماء
- 33- وانظر إلى الرفيع من بنيانه ... يريك بدعا من عظيم شأنه
- 34- لو خايل البحر ندى يديه ... إذا لجت عفاته إليه
- 35- لغاض أو لكاد أن يغيبا ... ولا استحي من بعد أن يفيضا

36- من أسبغ النعمى وكانت محقا ... وفتق الدنيا وكانت رتقا

37- هو الذي جمع شمل الأمه ... وجاب عنها دامسات الظلمه

38- وجدد الملك الذي قد أخلقا ... حتى رست أوتاده واستوسقا

39- وجمع العدة والعديدا ... وكثف الأجناد والحشودا

40- أول غزاة غزاها عبد الرحمن أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد

41- ثم انتحى جيان في غزاته ... بعسكر يسعر من حماه

42- فاستنزل الوحش من الهضاب ... كأنها حطت من السحاب

43- فأذعنت مراقها سراعا ... وأقبلت حصونها تداعي

44- لما رماها بسيوف العزم ... مشحوة على دروع الحزم

45- كادت لها أنفسهم تجود ... وكادت الأرض بهم تويد

46- لولا الإله زلزلت زلزالها ... وأخرجت من رهبة أثقالها

47- فأنزل الناس إلى البسط ... وقطع البين من الخليط

48- وافتتح الحصون حصنا حصنا ... وأوسع الناس جميعا أمنا

49- ولم يزل حتى انتحى جيانا ... فلم يدع بأرضها شيطانا

50- فأصبح الناس جميعا أمه ... قد عقد الإل لهم والذمه

51- ثم انتحى من فوره إلبيره ... وهى بكل آفة مشهوره

52- فداسها بخيله ورجله ... حتى توطا خدها بنعله

53- ولم يدع من جنها مريدا ... بها ولا من إنسها عنيدا

54- إلا كساه الذل والصغارا ... وعمه وأهله دمارا

55- فما رأيت مثل ذاك العام ... ومثل صنع الله للإسلام

56- فانصرف الأمير من غزاته ... وقد شفاه الله من عداته

57- وقبلها ما خضعت وأذعنت ... إستجة وطالما قد صنعت

58- وبعدها مدينة الشئيل ... ما أذعنت للصارم الصقيل

- 59- لما غزاها قائد الأمير ... باليمن في لوائه المنصور
60- فأسلمت ولم تكن بالمسلمة ... وزال عنها أحمد بن مسلمه
61- وبعدها في آخر الشهور ... من ذلك العام الزكى النور
62- أرجفت القلاع والحصون ... كأنها ساورها المنون
63- وأقبلت رجالها وفودا ... تبغى لدى إمامها السعودا
64- وليس من ذي عزة وشده ... إلا توافوا عند باب السده
65- قلوبهم باخعة بالطاعه ... قد أجمعوا الدخول في الجماعه

سنة إحدى وثلثمائة

- 66- ثم غزا في عقب عام قابل ... فجال في شذونة والساحل
67- ولم يدع رية والجزيرة ... حتى كوى أكلبها الهريه
68- حتى أناخ في ذرى قرمونه ... بكلكل كمدرة الطاحونه
69- على الذي خالف فيها وانتزى ... يعزى إلى سواده إذا اعتزى
70- فسال أن يمهله شهورا ... ثم يكون عبده المأمورا
71- فأسعف الأمير منه ما سأل ... وعاد بالفضل عليه وقفل

سنة اثنتين وثلثمائة

- 72- كان بها القفول عند الجيه ... من غزو إحدى وثلثمائة
73- فلم يكن يدرك في باقيها ... غزو ولا بعث يكون فيها

سنة ثلاث وثلثمائة

- 74- ثم أغزى في الثلاث عمه ... وقد كساه عزمه وحزمه
75- فسار في جيش شديد الباس ... وقائد الجيش أبو العباس
76- حتى ترقى بذرى ببشتر ... وجال في ساحاتها بالعسكر

- 77- فلم يدع زرعاً ولا ثماراً ... لهم ولا علقالاً ولا عقاراً
78- وقطع الكروم منها والشجر ... ولم يبايع عالجها ولا ظهر
79- ثم انثنى من بعد ذاك قافلاً ... وقد أباد الزرع والمأكلاً
80- فأيقن الخنزير عند ذاك ... أن لا بقاء يرتجى هنا
81- فكاتب الإمام بالإجابة ... والسمع والطاعة والإجابة
82- فأحمد الله شهاب الفتنة ... وأصبح الناس معاً في هدنة
83- وارتعت الشاة معاً والديب ... إذا وضعت أوزارها الحروب

سنة أربع وثلثائة

- 84- وبعدها كانت غزاة أربع ... فأى صنع ربنا لم يصنع
85- فيها ببسط الملك الأواه ... كلتا يديه يا سبيل الله
86- وذاك أن قود قائدين ... بالنصر والتأييد ظاهرين
87- هذا إلى الثغر وما يليه ... على عدو الشرك أو ذويه
88- وذا إلى شم الربا من مرسيه ... وما مضى جرى إلى بلنسية
89- فكان من وجهه للساحل ... القرشى القائد القنابل
90- وابن أبي عبدة نحو الشرك ... في خير ما تعبى وشك
91- فأقبلا بكل فتح شامل ... وكل ثكل للعدو تاكل
92- وبعد هذي الغزوة الغراء ... كان افتتاح لبلة الحمراء
93- أغزى بجند نحوها مولاه ... في عقب هذا العام لا سواه
94- بدرأ فضم جانبيها ضمة ... وغمها حتى أجابت حكمه
95- وأسلمت صاحبهما مقهوراً ... حتى أتى بدر به مأسورا

سنة خمس وثلثائة

- 96- وبعدها كانت غزاة خمس ... إلى السوادي عقيد النحس
97 لما طغى وجاوز الحدودا ... ونقض الميثاق والعهودا
98- ونابذ السلطان من شقائه ... ومن تعديه وسوء رائه
99- أغزى إليه القرشى القائدا ... إذ صار عن قصد السبيل حائدا
100- ثم شد أزره ببدر ... فكان كالشفع لهذا الوتر
101- أهدقها بالخيـل والرجال ... مشمرا وجد في القتال
102- فنازل الحصن العظيم الشان ... بالرجل والرماة والفرسان
103- فلم يزل بدر بها محاصرا ... كذا على قتاله مثابرا
104- والكلب في تهور قد انغمس ... وضيق الحلق عليه والنفس
105- فافترق الأصحاب عن لوائه ... وفتحوا الأبواب دون رائه
106- واقتحم العسكر في المدينة ... وهو بها كهيئة الظعينة
107- مستسلما للذل والصغار ... وملقيا يديه للإسار
108- فنزع الحاجب تاج ملكه ... وقاده مكتفا لهلكه
وكان في آخر هذا العام ... نكب أبي العباس بالإسلام
غزا وكان أنجد الأنجاد ... وقائدا من أفحل القواد
فسار في غير رجال الحرب ... الضاريين عند وقت الضرب
محاربا في غير ما محارب ... والحشم الجمهور عند الحاجب
واجتمعت إليه أخلاط الكور ... وغاب ذو التحصيل عنه والنظر
حتى إذا أوغل في العدو ... فكان بين البعد والدنو
أسلمه أهل القلوب القاسيه ... وأفردوه للكلاب العاويه
فاستشهد القائد في أبرار ... قد وهبوا نفوسهم للباري
117- في غير تأخير ولا فرار ... إلا شديد الضرب للكفار

سنة ست وثلاثمائة

ثم أقاد الله من أعدائه ... وأحكم النصر لأوليائه
في مبدأ العام الذي من قابل ... أزهق فيه الحق نفس الباطل
فكان من رأي الإمام الماجد ... خير مولود وخير والد
أن احتمى بالواحد القهار ... وفاض من غيظ على الكفار
فجمع الأجناد والحشودا ... ونفر السيد والمسودا
وحشر الأطراف والثغورا ... ورفض اللذات والحبورا
حتى إذا ما وفّت الجنود ... واجتمع الحشاد والحشود
قود بدرا أمر تلك الطائفة ... وكانت النفس عليه خائفه
فسار في كتائب كالسيل ... وعسكر مثل سواد الليل
127- حتى إذا حل على مطنيه ... وكان فيها أخبث البريه

ناصرهم حربا لها شرار ... كأنها أضرم فيها النار
وجد من بينهم القتال ... وأحدثت حولهم الرجال
فحاربوا يومهم وباتوا ... وقد نفت نومهم الرماة
فهم طوال الليل كالطلائح ... جراحهم تنغل في الجوارح
ثم مضوا في حربهم أياما ... حتى بدا الموت لهم زؤاما
لما رأوا سحائب المنيه ... تمطرهم صواعق البليه
تغلغل العجم بأرض العجم ... وانحشدوا من تحت كل نجم
فأقبل العلج لهم مغيثا ... يوم الخميس مسرعا حثيثا
بين يديه الرجل والفوارس ... وحوله الصلبان والنواقس
وكان يرجو أن يزيل العسكرا ... عن جانب الحصن الذي قد دمرا
فاعتاقه بدر بمن لديه ... مستبصرا في زحفه إليه
حتى التقت ميمنة بميسرة ... واعتنت الأرواح عند الخنجره
ففاز حزب الله بالعلجان ... وانهزمت بطانة الشيطان

فقتلوا قتلا ذريعا فاشيا ... وأدبر العليج ذميما خازيا
وانصرف الناس إلى القليعه ... فصباحوا العدو يوم الجمعة
ثم التقى العليجان في الطريق ... البنلوني مع الجلقى
فاعقدا على انتهاب العسكر ... وأن يموتا قبل ذاك المحضر
وأقسما بالجبت والطاغوت ... لا يهزما دون لقاء الموت
فأقبلوا بأعظم الطغيان ... قد جللوا الجبال بالفرسان
حتى تداعى الناس يوم السبت ... فكان وقتا يا له من وقت
فأشرعت بينهم الرماح ... وقد علا التكبير والصياح
وفارقت أعمادها السيوف ... وفغرت أفواهها الحتوف
والتقت الرجال بالرجال ... وانغمسوا في غمرة القتال
في موقف زاغت به الأبصار ... وقصرت في طوله الأعمار
وهب أهل الصبر والبصائر ... فأوعقوا على العدو الكافر
حتى بدت هزيمة الشكنس ... كأنه متضرب بالورس
فانقضت العقبان والصلالقه ... زعقا على مقدم الجلالقه
عقبان موت تخطف الأرواحا ... وتشبع السيوف والرماحا
فانهزم الخنزير عند ذاكا ... وانكشفت عورته هناك
فقتلوا في بطن كل وادي ... وجاءت الرؤوس في الأعواد
وقدم القائد ألف راس ... من الجلاليق ذوي العماس
فتم صنع الله للإسلام ... وعمنا سرور ذاك العام
وخير ما فيه من السرور ... موت ابن حفصون به الخنزير
فاصل الفتح بفتح ثانى ... والنصر بالنصر من الرحمن
162- وهذه الغزاة تدعى القاضية ... وقد أتتهم بعد ذاك الداهية

سنة سبع وثلثمائة

وبعدها كانت غزاة بلده ... وهى التى أودت بأهل الرده
وبدؤها أن الإمام المصطفى ... أصدق أهل الأرض عدلا ووفاء
لما أتته ميتة الخنزير ... وأنه صار إلى السعير
كاتبه أولاده بالطاعة ... وبالدخول مدخل الجماعة
وأن يقرهم على الولاية ... على درور الخرج والجباية
فاختار ذلك الإمام المفضل ... ولم يزل من رأيه التفضل
ثم لوى الشيطان رأس جعفر ... وصار منه نافخا في المنخر
فنقض العهود والميثاقا ... واستعمل التشغيب والنفقا

171- وضم أهل النكث والخلاف ... من غير ما كاف وغير وافي

172- فاعتاقه الخليفة المؤيد ... وهو الذي يشقى به ويسعد

173- من عليه من عيون الله ... حوافظ من كل أمر داهى

174- فجند الجنود والكتائب ... وقود القواد والمقانب

ثم غزا في أكثر العديد ... مستصحبا بالنصر والتأييد

حتى إذا مر بحصن بلده ... خلف فيه قائدا في عده

يمنعهم من انتشار خيله ... وحارسا في يومه وليلهم

ثم مضى يستنزل الحصونا ... ويبعث الطلاع والعيونا

حتى أتاه باشر من بلده ... يعدو برأس رأسها في صعه

فقدم الخيل إليها مسرعا ... واحتلها من يومه تسرعا

فحفها بالخيول والرماة ... وجملة الحماة والكمأة

فاطلع الرجل على أنقابها ... واقتحم الجند على أبوابها

فأذعن ولم تكن بمذعنه ... واستسلمت كافرة لمؤمنه

فقدمت كفارها للسيف ... وقتلوا بالحق لا بالخياف

وذاك من يمن الإمام المرتضى ... وخير من بقي وخير من مضى

ثم انتحى من فوره بيشترا ... فلم يدع بها قضيبا أخضرا
وحطم النبات والزروعا ... وهتك الرباع والربوعا
فإذا رأى الكلب الذي رآه ... من عزمه في قطع متواه
ألقى إليه باليدين ضارعا ... وسال أن يبقى عليه وادعا
وأن يكون عاملا في طاعته ... على درور الخرج من جبايته
فوثق الإمام من رهانه ... كيلا يكون في عمى من شأنه
192- وقبل الإمام ذاك منه ... فضلا وإحسانا وسار عنه

سنة ثمان وثلاثمائة

193- ثم غزا الإمام دار الحرب ... فكان خطبا يا له من خطب
194- فحشدت إليه أعلام الكور ... ومن له في الناس ذكر وخطر
195- إلى ذوي الديوان والريات ... وكل منسوب إلى الشامات
196- وكل من أخلص للرحمن ... بطاعة في السر والإعلان
وكل من طاع في الجهاد ... أو ضمه سرج على الجياد
فكان حشدا ياله من حشد ... من كل حر عندنا وعبد
فتحسب الناس جرادا منتشر ... كما يقول ربنا فيمن حشر
ثم مضى المظفر المنصور ... على جبينه الهدى والنور
أمامه جند من الملائكة ... آخذا لربها وتاركه
حتى إذا فوز في العدو ... جنبه الرحمن كل سو
وأنزل الجزية والدواهي ... على الذين أشركوا بالله
فزلت أقدامهم بالرعب ... واستنفروا من خوف نار الحرب
واقترحوا الشعاب والمكامنا ... وأسلموا الحصون والمدائن
فما بقى من جنات دور ... من بيعة لراهب أو دير
إلا وقد صيرها هباء ... كالنار إذ وافقت الأباء

وزعزعت كتائب السلطان ... لكل ما فيها من البنيان
فكان من أول حصن زعزعوا ... ومن له من العدو أوقعوا
مدينة معروفة بوخشمه ... فغادروها فحمة مسخمه
ثم ارتقوا منها إلى حواضر ... فغادروها مثل أمس الدابر
ثم مضوا والعلاج يحتذيهم ... بجيشه يخشى ويقتفيهم
213- حتى أتوا توا لوادي دي ... ففيه عفى الرشد سبل الغي

لما التقوا بمجمع الجوزين ... واجتمعت كتائب العلجين
من أهل أليون وبنبلونه ... وأهل أرنيط وبرشلونه
تضافر الكفر مع الإلحاد ... واجتمعوا من سائر البلاد
فاضطربوا في سفح طود عالي ... وصففوا تعبئة القتال
فبادرت إليهم المقدمة ... سامية في خيلها المسومه
وردها متصل برد ... يمدده بحر عظيم المد
فانهزم العلجان في علاج ... ولبسوا ثوبا من العجاج
كلاهما ينظر حيناً خلفه ... فهو يرى في كل وجه حتفه
والبيض في إثرهم والسمر ... والقتل ماض فيهم والأسر
فلم يكن للناس من براح ... وجاءت الرؤوس في الرماح
فأمر الأمير بالتقويض ... وأسرع العسكر في النهوض
فصادفوا الجمهور لما هزموا ... وعاینوا قوادهم تخرموا
فدخلوا حديقة للموت ... إذ طمعوا في حصنها بالفوت
فيالها حديقة ويالها ... وافت بها نفوسهم آجالها
تحضنوا إذ عاینوا الأهوالا ... لمعقل كان لهم عقالا
وصخرة كانت عليهم صيلما ... وانقلبوا منها إلى جهنما
تساقطوا يستطعمون الماء ... فأخرجت أرواحهم ظماء

فكم لسيف الله من جزور ... في مآذب الغربان والنسور
وكم به قتل من القساوس ... تندب للصلبان والنواقس
ثم ثنى عنانه الأمير ... وحوله التهليل والتكبير
مصمما بحرب دار الحرب ... قدامه كتائب من عرب
فداسها وسامها بالخسف ... والهلك والسفك لها والنسف
فحرقوا ومزقوا الحصونا ... وأسخنوا من أهلها العيونا
فانظر عن اليمين واليسار ... فما ترى إلا لهيب النار
وأصبحت ديارهم بلاقعا ... فما ترى إلا دخانا ساطعا
239- ونصر الإمام فيها المصطفى ... وقد شفى من العدو واشتفى

سنة تسع وثلثائة

وبعدها كانت غزاة طرش ... لسا إليها جيشه لم ينهش
وأحدقت بحصنها الأفاعي ... وكل صل أسود شجاع
ثم بنى حصنا عليها راتبا ... يعتور القواد فيه دابا
حتى أنابت عنوة جنانها ... وغاب عن يافوخها شيطانها
فأذعنت لسيد السادات ... وأكرم الأحياء والأموات
خليفة الله على عباده ... وخير من يحكم في بلاده
وكان موت بدر بن أحمد ... بعد قفول الملك المؤيد
واستحجب الإمام خير حاجب ... وخير مصحوب وخير صاحب
248- موسى الأغر من بنى جدير ... عقيد كل رافة وخير

سنة عشر وثلثائة

وبعدها غزاة عشر غزوه ... بها افتتاح متلون عنوه
غزا الإمام في ذوي السلطان ... يؤم أهل النكث والطغيان

فاحتل حصن متتلون قاطعا ... أسباب من أصبح فيه خالعا
 سار إليه وبني عليه ... حتى أتاه ملقيا يديه
 ثم انثنى عنه إلى شذونه ... فعاصها سهلا من الحزونه
 وساقها بالأهل والولدان ... إلى لروم قبة الإيمان
 ولم يدع صعبا ولا منيعا ... إلا وقد أذلهم جميعا
 256- ثم انثنى بأطيب القفول ... كما مضى بأحسن الفضول
 سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

وبعدها غزاة إحدى عشرة ... كم نبهت من نائم في سكره
 غزا الإمام ينتحى ببشتر ... في عسكر أعظم بذاك عسكرا
 فاحتل من ببشتر ذراها ... وجال في شاط وفي سواها
 فخرّب العمران من ببشتر ... وأذعنت شاط لرب العسكر
 فأدخل العدة والعديدا ... فيها ولم يترك بها عنيدا
 ثم انتحى بعد حصون العجم ... فداستها بالقضم بعد الخضم
 ما كان في سواحل البحور ... منها وفي الغابات والوعور
 وأدخل الطاعة في مكان ... لم يدر قط طاعة السلطان
 ثم رمى الثغر بخير قائد ... وذادهم عنه بخير ذائد
 به قما الله ذوي الإشراك ... وأنقذ الثغر من الهلاك
 وانتاش من مهواتها تطيله ... وقد جرت دماؤها مطلولة
 وطهر الثغر وما يليه ... من شيعة الكفر ومن ذويه
 269- ثم انثنى بالفتح والنجاح ... قد غير الفساد بالصلاح
 سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

وبعدها غزاة ثنتى عشرة ... وكم بها من حسرة وعبره
غزا الإمام حوله كتائبه ... كالبدر محفوفاً به كواكبه
غزا وسيف النصر في يمينه ... وطالع السعد على جبينه
وصاحب العسكر والتدبير ... موسى الأغر حاجب الأمير
فدمر الحصون من تدمير ... واستنزل الوحش من الصخور
فاجتمعت عليه كل الأمه ... وبايعته أمراء الفتنة
حتى إذا أوعب من حصونها ... وجل الحق على متونها
مضى وسار في ظلال العسكر ... تحت لواء الأسد الغضنفر
رجال تدمير ومن يليهم ... من كل صنف يعتزى إليهم
حتى إذا حل على تطيله ... بكت على دمائها المطلوله
وعظم ما لاقت من العدو ... والحرب في الرواح والغدو
فهم أن يديخ دار الحرب ... وأن تكون ردأه في الدرب
ثم استشار ذا النهى والحجر ... من صحبه ومن رجال الثغر
فكلهم أشار أن لا يدربا ... ولا يجوز الجبل المؤشبا
لأنه في عسكر قد انخرم ... بنذب كل العرفاء والحشم
وشنعوا أن وراء الفج ... خمسين ألفاً من رجال العلبج
فقال لا بد من الدخول ... وما إلى حاشاه من سبيل
وأن أديخ أرض بنبلونه ... وساحة المدينة الملعونه
وكان رأياً لم يكن من صاحب ... ساعده عليه غير الحاجب
فاستنصر الله وعبي ودخل ... فكان فتحاً لم يكن له مثل
لما مضى وجاوز الدروبا ... وادرع الهيجاء والحروبا
عبي له علبج من الأعلاج ... كتائباً غطت على الفجاج
فاستنصر الإمام رب الناس ... ثم استعان بالندى والباس

وعاذ بالرغبة والدعاء ... واستنزل النصر من السماء
فقدم القواد بالحشود ... وأتبع المدود بالمدود
فانهزم العليج وكانت ملحمة ... جاوز فيها الساقة المقدمه
فقتلوا مقتلة الفناء ... فارتوت البيض من الدماء
ثم آمال نحو بنبلونه ... واقتحم العسكر في المدينة
حتى إذا جاسوا خلال دورها ... وأسرع الخراب في معمورها
300- بكت على ما فاتها النواظر ... إذ جعلت تدقها الحوافر
لفقد من قتل من رجالها ... وذل من أيتم من أطفالها
فكم بها وحوها من أغلف ... تهمل عليه الدمع عين الأسقف

وكم بها حقر من كنائس ... بدلت الأذان بالنواقس
يبكى لها الناقوس والصليب ... كلاهما فرض له النحيب
وانصرف الإمام بالنجاح ... والنصر والتأييد والفلاح
ثم ثنى الرايات في طريقه ... إلى بنى ذى النون من توفيقه
فأصبحوا من بسطهم في قبض ... قد ألصقت خدودهم بالأرض
حتى بدوا إليه بالبرهان ... من أكبر الأباء والولدان
309 فالحمد لله على تأييده ... حمدا كثيرا وعلى تسديده

سنة ثلاث عشرة وثلثمائة

ثم غزا بيمينه أشونا ... وقد أشادوا حولها حصونا
وحفها بالخييل والرجال ... وقاتلوهم أبلغ القتال
حتى إذا ما عاينوا الهلاك ... تبادروا بالطوع حينذاكا
وأسلموا حصنهم المنيعا ... وسمحوا بخرجهم خضوعا
وقبلهم في هذه الغزاة ... قد هدمت معاقل العصاة

وأحكم الإمام في تدبيره ... على بنى هابل في مسيره
ومن سواهم من ذوي العشيره ... وأمرأ الفتنة المغيرة
إذ حبسوا مراقبا عليهم ... حتى أتوا بكل ما لديهم
من البنين والعيال والحشم ... وكل من لا ذبهم من الخدم
فهبطوا من أجمع البلدان ... وأسكنوا مدينة السلطان
فكان في آخر هذا العام ... بعد خضوع الكفر للإسلام
مشاهد من أعظم المشاهد ... على يدي عبد الحميد القائد
لما غزا إلى بنى ذي النون ... فكان فتحا لم يكن بالدون
إذ جاوزوا في الظلم والطغيان ... بقتلهم لعامل السلطان
وحاولوا الدخول في الأذية ... حتى غزاهم أنجد البرية
فعاقهم عن كل ما رجوه ... بنقضه كل الذي بنوه
وضبطه الحصن العظيم الشان ... أشنين بالرجل وبالفرسان
ثم مضى الليث إليهم زحفا ... يختطف الأرواح منهم خطفا
فانهزموا هزيمة لن ترفدا ... وأسلموا صنوهم محمدا
وغيره من أوجه الفرسان ... مغرب في مآثم الغربان
مقطع الأوصال بالسنايك ... من بعد ما مزق بالنيازك
ثم لجوا إلى طلاب الأمن ... وبذلهم ودائعا من رهن
فقبضت رهانهم وأمنوا ... وأنغصوا رؤوسهم وأذعنوا
ثم مضى القائد بالتأييد ... والنصر من ذي العرش والتسديد
حتى أتى حصن بنى عماره ... والحرب بالتدبير والإداره
335- فافتتح الحصن وخلى صاحبه ... وأمن الناس جميعا جانبه

سنة أربع عشرة وثلثائة

لم يغز فيها وغزت قواده ... واعتورت ببشتر أجناده
فكلهم أبلى وأغنى واكتفى ... وكلهم شفى الصدور واشتفى
ثم تلاهم بعد ليث الغيل ... عبد الحميد من بنى بسيل
هو الذي قام مقام الضيغم ... وجا في غزاته بالصيلم
برأس جالوت النفاق والحسد ... من جمع الخنزير فيه والأسد
فهاكه مع صحبه في عدة ... مصليين عند باب السدة
قد امتطى مطية لا تبرح ... صائمة قائمة لا ترمح
مطية إن يعرها انكسار ... يطبها النجار لا البيطار
344- كأنه من فوقها أسوار ... عيناه في كليهما مسمار

مباشرا للشمس والرياح ... على جواد غير ذي جراح
يقول للخاطر بالطريق ... قول محب ناصح شفيق
هذا مقام خادم الشيطان ... ومن عصى خليفة الرحمن
فما رأينا واعظا لا ينطق ... أصدق منه في الذي لا يصدق
فقل لمن غر بسوء رائه ... يمت إذا شاء بمثل دائه
كم مارق مضى وكم منافق ... قد ارتقى في مثل ذاك الخالق
وعاد وهو في العصا مصلب ... ورأسه في جذعه مركب
فكيف لا يعتبر المخالف ... بحال من تطلبه الخلائف
353- أما تراه في هوان يرتع ... معتبرا لمن يرى ويسمع

سنة خمس عشرة وثلثائة

فيها غزا معتزما ببشتر ... فجال في ساحتها ودمرا
ثم غزا طلعجيرة إليها ... وهى الشجى من بين أخذعيها
وامتدها بابن السليم راتبا ... مشمرا عن ساقه محاربا

حتى رأى حفص سبيل رشدہ ... بعد بلوغ غاية من جهده
358- فدان للإمام قصدا خاضعا ... وأسلم الحصن إليه طائعا

سنة ست عشرة وثلثائة

لم يغزو فيها وانتحى ببشتر ... فرمها بما رأى ودبرا
واحتلها بالعز والتمكين ... ومحو آثار بني حفصون
وعاضها الإصلاح من فسادهم ... وطهر القبور من أجسادهم
حتى خلا ملحود كل قبر ... من كل مرتد عظيم الكفر
عصابة من شيعة الشيطان ... عدوة لله والسلطان
فخرمت أجسادها تحرما ... وأصليت أرواحهم جهنما
ووجه الإمام في ذا العام ... عبد الحميد وهو كالضرغام
إلى ابن داود الذي تقلعا ... في جبل شذونة تمنعا
فحطه منها إلى البسيط ... كطائر آذن بالسقوط
368- شم أتى به إلى الإمام ... إلى وفي العهد والذمام

سنة سبع عشرة وثلثائة

وبعد سبع عشرة وفيها ... غزا بطليوس وما يليها
فلم يزل يسومها بالخسف ... وينتحيها بسيوف الحنف
حتى إذا ما ضم جانيها ... محاصرا ثم بنى عليها
خلى ابن إسحاق عليها راتبا ... مثابرا في حربه مواظبا
ومر يستقصي حصون الغرب ... ويبتليها بويل الحرب
حتى قضى منهن كل حاجه ... وافتتحت أكشونية وباجه
وبعد فتح الغرب واستقصائه ... وحسمه الأدواء من أعدائه
لجت بطليوس على نفاقها ... وغرها اللجاج من مراقها

حتى إذا شافهت الحتوفا ... وشامت الرماح والسيوفا
دعا ابن مروان إلى السلطان ... وجاءه بالعهد والأمان
379- فصار في توسعة الإمام ... وساكن في قبة الإسلام

سنة ثمانى عشرة وثلثائة

فيها غزا بعزمه طليطله ... وامتنعوا بمعقل لا مثل له
حتى بنى جرنشكه بجنبها ... حصنا منيعا كافلا بحربها
وشدها بابن سليم قائدا ... مجالدا لأهلها مجاهدا
383- فجاسها في طول ذاك العام ... بالخسف والنسف وضرب الهام

سنة تسع عشرة وثلثائة

ثم أتى ردفا له دري ... في عسكر قضاؤه مقضى
فحاصروها عام تسع عشره ... بكل محبوبك القوى ذي مره
386- ثم أتاها بعد بالرجال ... فقاتلوهم أبلغ القتال

سنة عشرين وثلثائة

حتى إذا ما سلفت شهور ... من عام عشرين لها ثبور
ألقت يديها للإمام طائعه ... واستسلمت قسرا إليه باخعه
فأذعنت وقبلها لم تذعن ... ولم تقد من نفسها وتمكن
ولم تدن لربها بدين ... سبعا وسبعين من السنين
ومبتدى عشرين مات الحاجب ... موسى الذي كان الشهاب الثاقب
وبرز الإمام بالتأييد ... في عدة منه وفي عديد
صمدا إلى المدينة اللعينة ... أتعسها الرحمن من مدينه
مدينة الشقاق والنفاق ... وموئل الفساق والمراق

حتى إذا ما كان منها بالأمم ... وقد ذكا حر الهجير واحتدم
أتاه واليها وأشياخ البلد ... مستسلمين للإمام المعتمد
فوافقوا الرحب من الإمام ... وأنزلوا في البر والإكرام
ووجه الإمام في الظهيرة ... خيلا لكى تدخل في الجزيره
جريدة قائدها دري ... يلعم في متونها الماضي
400- فاقترحوا في وعرها وسهلها ... وذاك حين غفلة من أهلها
ولم يكن للقوم من دفاع ... بخيل دري ولا امتناع
وقوض الإمام عند ذلكا ... وقلبه صب بما هنالكا
حتى إذا ما حل في المدينه ... وأهلها ذليلة مهينه
أقمعها بالخييل والرجال ... من غير ما حرب ولا قتال
وكان من أول شيء نظرا ... فيه وما روى له ودبرا
تهدم لبابها والسور ... وكان ذاك أحسن التدبير
حتى إذا صيرها براحا ... وعاینوا حريمها مباحا
أقر بالتشييد والتأسيس ... في الجبل النامى إلى عمروس
حتى استوى فيها بناء محكم ... فحله عامله والحشم
410- فعند ذاك أسلمت واستسلمت ... مدينة الدماء بعد ما عتب

سنة إحدى وعشرين وثلثمائة

فيها مضى عبد الحميد ملتئم ... في أهبة وعدة من الحشم
حتى أتى الحصن الذي تقلعا ... يحيى بن ذي النون به وامتنعا
فحطه من هضبات ولب ... من غير تعنيت وغير حرب
إلا بترغيب له في الطاعة ... وفي الدخول مدخل الجماعه
حتى أتى به الإمام راغبا ... في الصفح عن ذنوبه وتائبا
فصفح الإمام عن جنايته ... وقبل المبدول من إنابته

417- ورده إلى الحصون ثانيا ... مسجلا له عليها واليا

سنة اثنتين وعشرين وثلثائة

ثم غزا الإمام ذو المجدين ... في مبتدا عشرين واثنتين
في فيلق مجمهر هام ... مدكدك الرؤوس والآكام
حاف الربى لزحفه تجيش ... تجيش في حافاته الجيوش
كأنهم جن على سعالى ... وكلهم أمضى من الرئبال
فاقتحموا ملوندة ورومه ... ومن حوالها حصون حيمه
حتى أتاه المارق التجيبي ... مستجديا كالتائب المنيب
تخصه الإمام بالترحيب ... والصفح والغفران للذنوب
ثم حباه وكساه ووصل ... بشاحج وصاهل لا يمثل
كلاهما من مركب الخلائف ... في حلية تعجز وصف الواصف
وقال كن منا وأوطن قرطبه ... ندنيك فيها من أجل مرتبة
تكن وزيرا أعظم الناس خطر ... وقائدا تجبي لنا هذا الثغر

فقال إني ناقة من علتى ... وقد ترى تغيري وصفركي
فإن رأيت سيدي إمهالى ... حتى أرم من صلاح حالي
ثم أوافيك على استعجال ... بالأهل والأولاد والعيال
وأوثق الإمام بالعهود ... وجعل الله من الشهود
فقبل الإمام من أيانه ... ورده عفوا إلى مكانه
ثم أتته ربة البشاقص ... تدلى إليه بالوداد الخالص
وأنها مرسلة من عنده ... وجدها متصل بجده
واكتفلت بكل بنبلونى ... وأطلقت أسرى بنى ذي النون
فأوعد الإمام في تأمينها ... وتكب العسكر عن حصونها

ثم مضى بالعز والتمكين ... وناصر لأهل هذا الدين
في جملة الرايات والعساكر ... وفي رجال الصبر والبصائر
إلى عدى الله من الجلالق ... وعابدي المخلوق دون الخالق
فدمروا السهول والقلاعا ... وهتكوا الربوع والربعا
وخرّبوا الحصون والمدائن ... وأنفروا من أهلها المساكن
فليس في الديار من ديار ... ولا بها من نافخ للنار
فغادروا عمرانها خرابا ... وبدلوا ربوعها يبابا
وبالقلاع أحرّقوا الحصونا ... وأسخنوا من أهلها العيونا
ثم ثنى الإمام من عنانه ... وقد شفى الشجى من أشجانه
447- وأمن القفار من أنجاسها ... وطهر البلاد من أرجاسها

المصادر والمراجع⁽¹⁾

- 1- المصادر العربية والمعرّبة .
- 2- المراجع العربية والمعرّبة.
- 3- الرسائل العلمية.
- 4- المقالات العربية (الدوريات).
- 5- المصادر الأجنبية .
- 6- المراجع الأجنبية .
- 7- دوريات أجنبية .

(1) ملاحظتان :

- 1- رتبت هذه المصادر والمراجع حسب الترتيب الأبجدي لأسماء مؤلفيها مع اعتبار الاسم المشهور للمؤلف دون النظر إلى ال... وابن ... وأب .
- 2- هناك مصادر ومراجع ساهمت في الدراسة بطريقة ثانوية فاكتفيت بذكرها في الهوامش فقط .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية :-

- القرآن الكريم

- الأنجيل الأربعة

- التوراة

- ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت 658هـ / 1260م) :-

التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق إبراهيم الإياري ، دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة - بيروت ، ط 1 ، 1410هـ / 1989م .

التكملة لكتاب الصلة ، نشر السيد عزت العطار الحسيني ، الجزآن الأول والثاني ، مطبعة السعادة ، مصر 1375هـ / 1955م .

الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، الجزآن الأول والثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1985م .

- ابن بسام ، أبو الحسن علي الشنتريني (ت 542هـ / 1147م) :-

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، ، قسم 1 ج 2 ، 1 ، قسم 3 ج 1 ، قسم 4 ج 1 ، 2 ، دار الثقافة ، بيروت 1399هـ / 1979م .

- البغدادي ، أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر (ت 429هـ / 1037م) :-

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة الساعي ، الرياض 1409هـ / 1988م .

- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف (ت 578هـ / 1182م) :-

الصلة ، تحقيق إبراهيم الإياري ، الأجزاء الثلاثة ، دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة - بيروت 1410هـ / 1989م .

- البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، نشر دي سلان ، الجزائر ، 1857م.
- البناهي ، أبو الحسن عبدالله بن الحسن (توفي بعد عام 794هـ/1390م) :-
- تاريخ قضاة الأندلس المعروف بالمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشر ليفي بروفنسال ، دار الكاتب المصري ، 1948م.
- ابن تغري بردي ، أبوالمحسن يوسف (ت 874هـ/1469م) :-
- (أ) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة 1353هـ/1935م ، ج 5.
- (ب) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، لجنة تحقيق التراث ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 2008 ، ج 7.
- ابن جليل : طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 2 ، 1985.
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/1063م) :-
- (أ) طوق الحمامة في الإلفة والألف ، تحقيق الطاهر مكي ، دار الهلال ، القاهرة 1412هـ/1992م.
- (ب) طوق الحمامة ، تحقيق ، سعيد كريم الفقى ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية (د.ت).
- (ج) جوامع السيرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت).
- (د) الرسائل الخمس ، تعليق أحمد حسن جابر ، هدية مجلة الأزهر ، جمادى الآخرة 1413هـ ، شعبان 1413هـ.
- (هـ) البيوع المنهى عنها ، تحقيق إبراهيم إسماعيل القاضي وآخرين ، دار الحرمين ، القاهرة 1419هـ/1998م.
- (و) المحلى بالآثار شرح المجلى باختصار ، تحقيق ، عبدالغفار سليمان ، الأجزاء من 1-12 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1402هـ/1988م.

- (ز) الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق أحمد شمس الدين، الأجزاء من 1-3، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1416، 1هـ/1996م.
- (ح) رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، الأجزاء من 1-3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1987م، الجزء الرابع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة الأولى 1983م.
- (ط) جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت 1403هـ/1983م.
- (إ) الإحكام في أصول الأحكام، ثمانية أجزاء، دار الحديث، القاهرة 1413هـ/1992م.
- (ى) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1978م.
- (ك) رسالة المفاضلة بين الصحابة، نشر وتحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر العربي، بيروت 1389هـ/1969م.
- (ل) الأصول والفروع، تحقيق محمد عاطف العراقي وآخرين، دار النهضة العربية، القاهرة 1978م.
- (م) حجة الوداع، تحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت 1966م.
- (ن) ديوان الإمام ابن حزم، تحقيق صبحي رشاد، دار الصحابة للتراث، طنطا 1410هـ/1990م.
- (ص) علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد حجازي السقا، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة 1989م.
- (ع) الدرّة فيما يجب اعتقاده، تحقيق أحمد ناصر الحمد، سعيد بن عبد الرحمن القزّمي، مكتبة التراث، مكة المكرمة 1408هـ/1988م.
- (ف) ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق 1379هـ/1960م.

- (ش) النبذة الكافية في أصول أحكام الدين ، تحقيق محمد سعيد البدرى ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ، القاهرة - بيروت 1412هـ / 1991م .
- (ك) جمل من التاريخ ، تحقيق ابن عقيل ، عبدالحليم عويس ، دار الاعتصام ، القاهرة ، 1977م .
- ابن حجر العسقلانى ، شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على (ت 853هـ / 1449م) :-
- لسان الميزان ، الجزء الرابع ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة فى الهند ، حيدرآباد الدكن 1330هـ .
- فتح البارى شرح صحيح البخارى ، تحقيق محب الدين الخطيب وآخرين ، الجزء السابع والثالث عشر ، دار الريان ، القاهرة 1407هـ / 1987م .
- ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف (ت 469هـ / 1076م) :-
- (أ) المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق محمود على مكى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة 1390هـ / 1971م ، قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط .
- (ب) المقتبس ، تحقيق : ب. شالميتا ، ف. كورينطى ، المعهد الأسباني العربى للثقافة ، مدريد ، 1979م .
- الحميدى ، أبو الفتوح محمد بن أبى نصر فتوح بن عبدالله بن حميد الأزدى (ت 491هـ / 1097م) :-
- جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الإييارى ، الجزء الأول والثانى ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ، القاهرة - بيروت 1410هـ / 1989م .
- الحميرى ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت 900هـ / 1494م) :-
- صفة حزيرة الأندلس ، تحقيق ليفى بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1937م .
- ابن حبيب الأندلسى : عبد الملك بن حبيب السلمى (ت 238هـ / 852م) :

مبتدأ خلق الدنيا أو تاريخ عبد الملك بن حبيب : اعتنى به عبدالغنى مستور ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1429هـ/2008م.

- ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود على مكى ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ، الرياض ، ط 1 ، 1424هـ/2003م ، السفر الثانى قطعة الأمير الحكم وبداية حكم الأمير عبدالرحمن.

- الخشنى : أخبار الفقهاء والمحدثين ، تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1992م.

- ابن الخطيب ، لسان الدين (ت776هـ/1374م) :-

(أ) أعمال الأعلام فيمن ولى قبل الاحتلام ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الجزء الثانى ، دار المكشوف ، بيروت 1956م .

(ب) أعمال الإعلام ، تحقيق ليفى بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2006م.

(ج) الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، الجزء الأول ، دار المعارف بمصر 1375هـ/1955م ، الأجزاء الثانى والثالث والرابع ، مكتبة الخانجى ، القاهرة 1394هـ/1974م ، 1395هـ/1975م ، 1397هـ/1977م .

- ابن خلدون ، ولى الدين عبدالرحمن بن محمد (ت808هـ/1406م) :-

(أ) المقدمة ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية (د.ت).

(ب) العبر وديوان المبتدأ والخبر فى العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، الجزءان الرابع والسادس ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، 1391هـ/1971م .

- ابن خاقان ، أبونصر الفتح بن محمد بن عبدالله (ن535هـ/1140م) :-

قلائد العقيان ، مطبعة التقدم العلمية 1320هـ..

مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس ، تحقيق محمد على شوابكة ، دار عمار مؤسسة الرسالة 1413هـ/1983م.

- ابن خير الإشبيلي (ت 575هـ/1179م):-
 فهرسة ابن خير، تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة - بيروت 1410هـ/1989م .
- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م):-
 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ثمانية أجزاء، الأجزاء الثاني والثالث والرابع ، دار صادر، بيروت ، 1398هـ/1978م .
- الحشني، أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام بن ثعلبة (ت 286هـ/840م):-
 قضاة قرطبة ، تحقيق إبراهيم الإيباري ، دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة - بيروت 1410هـ/1989م .
- ابن الدلائى ، أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت 478هـ/1085م):-
 نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، تحقيق عبدالعزيز الأهواني ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمديرية 1965م .
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1374م):-
 (أ) سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى ، الجزء الثامن عشر ، مؤسسة الرسالة 1419هـ/1998م .
- (ب) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الجزء الحادى عشر، دار الغد العربى ، القاهرة 1996م .
- (ج) تاريخ الإسلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط 1، 1987م .
- (د) تذكرة الحفاظ ، الجزء الثانى والثالث ، دارة المعارف النظامية الكائنة فى الهند ، حيدرآباد الدين 1334هـ .
- ابن رشد الجد ، أبوالوليد محمد بن أحمد (ت 520هـ/1126م):-

البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة ، تحقيق أحمد الشرقاوى إقبال ، عشرين جزء ، الجزء الرابع والخامس ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، 1404هـ/1984م .

فتاوى ابن رشد ، تحقيق مختار بن الطاهر التليلي ، الأجزاء الأول والثاني والثالث ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ط 1407 ، 1987م .

- الزركشى ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (توفى بعد 894هـ/1488م) :-

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس 1966م .

- الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، 1954م .

- السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م) :-

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة 1409هـ/1989م .

- السبكى ، تاج الدين أبونصر عبد الوهاب بن على (ت 771هـ/1369م) :-

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمد الطناحى ، وعبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابى الحلبي 1383هـ/1964م .

- ابن سعيد ، أبو الحسن على بن موسى (ت 685هـ/1286م) :-

المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف ، الجزء الأول ، دار المعارف ، القاهرة 1964م ، الجزء الثانى ، دار المعارف ، القاهرة 1955م .

- السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/1505م) :-

طبقات الحفاظ ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة 1393هـ/1973م .

- ابن سهل ، أبو الإصبع عيسى (ت 487هـ/1094م) :-

- (أ) وثائق في أخبار القضاء الجنائي في الأندلس ، دراسة محمد عبد الوهاب خلاف وآخرين ، المركز العربي للدول للإعلام ، القاهرة 1400هـ/1980م .
- (ب) ثلاث وثائق في محاربة أهل الأهواء والبدع في الأندلس ، دراسة محمد عبد الوهاب خلاف وآخرين ، المركز العربي للدول للإعلام ، القاهرة 1981م .
- (ج) وثائق في أحكام أهل الذمة في الأندلس ، دراسة محمد عبد الوهاب خلاف وآخرين ، المركز العربي للدول للإعلام ، القاهرة 1400هـ/1980م .
- الشوكاني ، محمد بن علي (ت 1255هـ/1839م) :-
- قطر الولي على حديث الولي ، تحقيق إبراهيم إبراهيم هلال ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة 1979م .
- القاضي صاعد ، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462هـ/1070م) :-
- طبقات الأمم ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة 1993م .
- الضبي ، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت 599هـ/1202م) :-
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي 1967م .
- الطرطوشي ، محمد بن الوليد (ت 520هـ/1126م) :-
- سراج الملوك ، تحقيق جعفر البياني ، رياض السريس للكتب والنشر ، 1990م .
- الحوادث والبدع ، تحقيق علي بن حسن الحلبي ، دار ابن الجوزي ، السعودية 1417هـ/1996م .
- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف (ت 463هـ/1070م) :-
- (أ) جامع بيان العلم وفضله ، دار الكتب الإسلامية ، 1402هـ/1982م .
- (ب) الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق شوقي ضيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1431هـ/2010م
- ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد العامري (ت 543هـ/1148م) :-

- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص)، تحقيق محيي الدين الخطيب، ومحمود مهدي الاستانبولي، مكتبة السنة، القاهرة 1412هـ.
- العزفي: إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدرهم والصاع والمد، تحقيق محمد الشريف، ط 1999م.
- عبد الله بن بلقين (ت 483هـ/1090م):-
- التيان المعروف بمذكرات الأمير عبدالله، تحقيق ليفيروفنسكال، دار المعارف بمصر 1955م.
- ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1404هـ.
- القاضي عياض اليعصبى (ت 544هـ/1149م):-
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير، ثلاثة مجلدات، المجلدان الأول والثاني، مكتبة الحياة، بيروت، مكتبة الفكر، طرابلس.
- ابن العماد الحنبلي (مجهول الوفاة):-
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ثمانية أجزاء، الجزء الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- ابن عذارى المراكشي (توفي أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي):-
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أربعة أجزاء، الجزء الثالث، تحقيق كولان وليفي بروفنسكال، دار الثقافة، بيروت، ط 2، 1400هـ/1980م.
- ابن الفرضي، أبو الوليد بن محمد الأزدي (ت 403هـ/1012م):-
- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الإيباري، جزءان الأول والثاني، دار الكتاب المصري واللبناني والكتب الإسلامية، القاهرة - بيروت 1403هـ/1983م.
- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم (ت 799هـ/1397م):-
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مراجعة طه عبدالرؤف سعد ،
جزءان الأول والثاني، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م.
- الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م):-
البلغة في أئمة اللغة ، تحقيق محمد المصري ، مطبعة جامعة دمشق 1972م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت770هـ/):-
المصباح المنير، المطبعة الأميرية بمصر، ط2، 1909م.
- القلقشندي ، أحمد بن عبدالله (ت 821هـ/1418م) :-
مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، الجزء الأول، مطبعة
حكومة الكويت ، الكويت ، ط2 ، 1985م .
- القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ/ 1272م) :-
الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أحمد عبدالعليم ، الجزء الأول، دار الشعب ، القاهرة
1372هـ.
- ابن القوطية ، أبوبكر محمد بن عمر (ت367هـ/977م):-
تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين، بيروت
1957م.
- القفطى ، جمال الدين علي بن الأشرف يوسف (ت646هـ/1248م):-
أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مطبعة السعادة، مصر 1326هـ.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفدا إسماعيل (ت774هـ/1372م):-
البداية والنهاية، دار الغد العربي، القاهرة، ج12، 11.
- المقري، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1632م):-
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، عشرة
أجزاء، الأجزاء من الأول إلى السادس ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1367هـ/1949م .
- المقدسى : محمد بن أحمد (ت 390هـ/999م):-

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن 1909 م .
- الماوردى ، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/1058م):-
- (أ) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، دار الوفاء، المنصورة 1409هـ/1989م.
- (ب) أعلام النبوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1406هـ/1986.
- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع 1414هـ/1994م.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (توفي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي):-
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي ، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1368هـ/1949م.
- المراكشي :
- (أ) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق محمد بن شريف ، بيروت ، د. ت ، السفر الأول ، القسم الأول .
- (ب) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة : السفر السادس ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973م.
- مغلطاي : بو عبد الله علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي : (ت 762هـ) :
- مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق يحيى بن حمزة الوزنة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط 1 ، 1423هـ/2003م.
- ابن النديم ، محمد بن إسحاق (مجهول الوفاة):-
- الفهرست، تحقيق محمد أحمد ، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د.ت).
- الونشريسي ، محمد بن يحيى (ت 904هـ/1498م):-

المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والمغرب، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ثلاثة عشر جزء ، الأجزاء الأول والثاني والخامس والسادس والسابع والثامن والعاشر والثاني عشر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1401هـ/1981م.

- ياقوت الحموي ، أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1228م):-
معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد رفاعي، الجزء الثاني عشر، دار المأمون ومكتبة القراء والثقافة الأدبية.

معجم البلدان، الأجزاء الأول والثالث والرابع والخامس، دار صادر، بيروت 1399هـ/1979م.

ثانيا المراجع العربية والمعرية:-

أحمد رمضان أحمد :

(أ) الخلافة في الحضارة الإسلامية، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة 1403هـ/1983م.

(ب) الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة (د.ت).

(ج) تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م.

- أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، دمشق، 1972م.

- أحمد بن ناصر الحمد: ابن حزم وموقفه من الإلهيات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، مكة 1406هـ.

- أحمد طاهر النقيب : منهج المدرسة الظاهرية في تفسير النصوص الدينية ، دار ابن حزم ، الرياض ، ط 1 ، 1425هـ/2004م.

- إحسان عباس :

- (أ) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت 1960م.
- (ب) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت 1981م.
- (ج) أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، دار الثقافة ، بيروت 1963م.
- أنور خالد الزغبى : ظاهرية ابن حزم الأندلسي " نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان ، ط1، 1996م.
- أرنست (كاسرر) : في المعرفة التاريخية ، ترجمة أحمد حمدى محمود ، القاهرة ، د.ت.
- بيريس، هنري: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة الطاهر مكى، دار المعارف، القاهرة ، ط1، 1408هـ/1988م.
- بروفنسال، ليفى: الحضارة العربية في أسبانيا، ترجمة الطاهر مكى، دار المعارف، القاهرة، ط1405، 2هـ/1985م.
- بروكلمان، كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت 1988م.
- بالنشأ، آنخل جونثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1955م.
- بويكا : المصادر العربية في الأندلس (القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن الحادى عشر الميلادى) ترجمة : نايف أبو كرم ، دار علاء الدين ، ط1، دمشق ، 1999م.
- جودة هلال: قرطبة في التاريخ الإسلامى، المكتبة الثقافية 1962م، رقم 72.
- حامد طاهر: منهج البحث بين التنظير والتطبيق " دار نهضة مصر، القاهرة ، ط1، 2007م
- حسان محمد حسان: ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، دار الفكر العربى، القاهرة (د.ت).

- حسين مؤنس:

(أ) فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1959م.

(ب) معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة 1420هـ/1999م.

(ج) شيوخ العصر في الأندلس، المكتبة الثقافية، 1986م.

(د) تاريخ الجغرافيه والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1986م.

- دوزي، رينهرت:

(أ) المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الأجزاء الثلاثة، الهيئة العامة للكتاب 1998م.

(ب) ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي 1351هـ/1933م.

- ربييرا، خوليان: التربة الإسلامية في الأندلس، ترجمة الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة 1994م.

- الزركلي، خير الدين: الأعلام، الجزء الرابع، دار العلم للملايين، بيروت 1980م.

- زكريا إبراهيم: ابن حزم الأندلسي، سلسلة أعلام العرب، عدد 56.

- سالم يفوت: ابن حزم والفكر الفلسفي بالغرب والأندلس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1986م.

- سامية مصطفى سعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية 2000م.

- سعيد الأفغاني: نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي، دار الفكر، دمشق 1382هـ/1973م.

- سيدة إسماعيل كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1960م.

- سعيد بنكروم وآخرون : ابن حزم الأندلسي: المنهج والمعرفة ، منشورات كلية الآداب، جامعة الحسن الثاني، المغرب ، 2005م.
- شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون.
- شوقي الجمل : علم التاريخ نشأته وتطوره ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2010م.
- صلاح الدين بسيوني: الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة 1978م.
- صلاح خالص: إشيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت 1965م.
- طه الحاجري: ابن حزم صورة أندلسية، دار الفكر العربي، (د.ت).
- الطاهر أحمد مكى:
- (أ) دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، دار المعارف، القاهرة 1993م.
- (ب) دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة 198م.
- عبد الحميد العبادي: المجلد في تاريخ الأندلس، جمع مادته أحمد إبراهيم الشريف، وراجع مختار العبادي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د.ت).
- عبد الواحد ذنون طه :
- (أ) نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، دار المدار الإسلامي، بيروت ، 2004م.
- (ب) عبد الواحد ذنون : تراث وشخصيات من الأندلس ، دار المدار الاسلامي، طرابلس ، 2009م.
- عبدالعزيز سيد الأهل: الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة 1386هـ/ 1966م.
- عبد المحسن طه رمضان: الحروب الصليبية في الأندلس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2001م.

- عبدالكريم خليفة: ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ومكتبة الأقصى، بيروت - عمان (د.ت).
- عبدالحليم عويس:
- (أ) ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1409هـ/1988م.
- (ب) تفسير التاريخ علم إسلامي، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، ط 1، 1998م.
- (ج) التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، طبع وزارة الأوقاف، الدوحة، قطر، ط 1، 1996م.
- أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، نوادر الإمام ابن حزم، الجزء الثاني، الرياض 1404هـ/1984م.
- عبدالرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق - بيروت 1396هـ/1976م.
- عبداللطيف شرارة: ابن حزم رائد الفكر العلمي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (د.ت).
- عبدالله علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي، دار المعارف بمصر 1968م.
- عبدالباقى السيد عبدالهادي :
- (أ) تاريخ أهل الظاهر، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014م.
- (ب) ابن حزم الظاهري واثره في المجتمع الأندلسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014م.
- (ج) الظاهرية والمالكية واثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014م.

- عبادة كحيله : تاريخ النصارى فى الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة ، القاهرة 1414هـ/1993م.
- عباس رضا : المكتبة الأندلسية ، مطبعة الكتاب ، بغداد ، 2008م.
- عارف خليل محمد: الإمام داود الظاهري وأثره فى الفقه الإسلامى، دار الأرقم، الكويت، ط1، 1404هـ/1984م.
- عاصم الدسوقي : البحث فى التاريخ ، مكتبة القدسى .
- عفت الشرقاوي: فى فلسفة الحضارة ، دار النهضة العربية، بيروت ، ط4 ، 1985م.
- على محمد حمودة: تاريخ الأندلس السياسى والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربى بمصر 1376هـ/1957م.
- عمر فروخ : ابن حزم الكبير، دار لبنان للنشر، بيروت، ط 1، 1980م .
- غرسيه غومث، إميليو :
- (ا) مع شعراء الأندلس والمتنبى، ترجمة الطاهر مكى، دار المعارف، القاهرة 1412هـ/1992م.
- (ب) الشعر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1952م.
- فوزى سعد عيسى: رسائل أندلسية، منشأة المعارف، الإسكندرية 1989م.
- كمال السيد أبو مصطفى: بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1413هـ/1993م.
- كراوس، بول: رسائل فلسفية ، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1402هـ/198م.
- كليكي سارنللى تشرکوا: مجاهد العامرى قائد الأسطول العربى فى غربى البحر المتوسط فى القرن الخامس الهجرى، لجنة البيان العربى 1961م.
- ليث سعود جاسم: ابن عبد البر وجهوده فى التاريخ، دار الوفاء، المنصورة 1408هـ/1988م.

- لينبول، ستانلى: العرب فى أسبانيا، ترجمة على الجارم، دار المعارف 1947م.
- لطفى عبدالبديع: الإسلام فى أسبانيا، مكتبة النهضة المصرية 1958م.
- محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس، مؤسسة الرسالة 1414هـ/1993م.
- محمد عبدالحميد عيسى، تاريخ التعليم فى الأندلس، دار الفكر العربى 1982م.
- محمد عبدالوهاب خلاف:
- (أ) قرطبة الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى، الدار التونسية للنشر 1984م.
- (ب) تاريخ القضاء فى الأندلس من الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن الخامس الهجرى، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة 1413هـ/1002م.
- محمد عبد الله الشرقاوي : منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبنوزا ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، د.ت.
- محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1381هـ/1961م، ج2، 1.
- محمد عبدالله عنان:
- (أ) دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الأول ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1362هـ/1943م.
- (ب) دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الأول ج2، مؤسسة الخانجى، القاهرة 1380هـ/1960م.
- (ج) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1380هـ/1960م.
- (د) أندلسيات، كتاب العربى، يوليو 1988م.
- (هـ) تراجم إسلامية مشرقية وأندلسية، مكتبة الخانجى بالاشتراك مع مكتبة الأسرة 2000م.

- محمد أبوزهرة:

(أ) تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).

(ب) ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة 1373هـ/1954م.

- محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت 1417هـ/1997م.

- محمد صالح البنداق: يحيى بن الحكم الغزال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1979م.

- محمد بنيعيش: الفكر السلوكي عند ابن حزم، دار غراب للنشر والتوزيع، القاهرة.

- محمود علي حماية: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان "دار المعارف القاهرة، ط 1، 1983م.

- محمود إسماعيل:

(أ) سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، سينا للنشر، القاهرة، 2000م.

(ب) الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، المغرب، ط 1، 2008م.

- منشد مجيد خلف: ابن حزم ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية، دار ابن حزم، بيروت، 2002م.

- هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1979م.

- وات، منتجمري: في تاريخ أسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت 1998م.

- ثالثا الرسائل العلمية:-

- إبراهيم محمد عبدالرحيم: الفكر الفقهي لابن حزم الظاهري، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1401هـ/1981م.
- إبراهيم محمد إبراهيم حريبة: ابن حزم والقيمة العلمية لنقده لليهودية والنصرانية، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة 1982م.
- أحمد ذكي بن حاج: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدول الطوائف بالأندلس، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم جامعة القاهرة 1414هـ/1994م.
- انتصار عبدالنبي: لسان الدين بن الخطيب مؤرخا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2015م.
- حسنى عبدالسميع إبراهيم: مدرسة الظاهرية في ضوء الدراسات الفقهية، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر بالقاهرة 1414هـ/1994م.
- حسن محمد قرني: المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بنى أمية، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة 1417هـ/1997م.
- خالد عبدالحليم عبدالرحيم: جهود ابن حزم وابن أبى عبيد الخزرجي في مجادلة أهل الكتاب بالأندلس، رسالة دكتوراه، كلية البنات جامعة عين شمس (د،ت).
- سهير فضل الله الشافعي: ابن حزم وآراؤه الكلامية والفلسفية، رسالة دكتوراه بكلية البنات جامعة عين شمس 1974م.
- سعد نيكروم محمد: المنهج الظاهري في العقائد عند ابن حزم، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، 1406هـ/1986م.
- صلاح خليل إبراهيم: عامة إشبيلية في عصر بنى عباد، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة عين شمس 1414هـ/1993م.
- صفية العدوى خليل: الفعل الإنسانى عند كل من القاضى عبدالجبار وابن حزم، رسالة دكتوراه بكلية البنات جامعة عين شمس 1416هـ/1996م.

- عادل عبد المنعم: النقد الاجتماعي عند المؤرخين والكتاب الأندلسيين ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق.
- عبدالله بن عبدالله الزايد: ابن حزم الأصولي، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر بالقاهرة (د.ت).
- عزت قاسم: فقهاء المالكية وأثرهم في المجتمع الأندلسي إلى نهاية عصر الخلافة، رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة عين شمس 1993م.
- عزة العدوى خليل: دور كل من ابن حزم والغزالي في تطور المنطق العربي، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة طنطا 1410هـ/1990م.
- فهمي محمد علوان: المنهج النقدي عند ابن حزم، رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة القاهرة 1985م.
- محمد الدعوى: العرب أول من وضع الموسوعات الإعلامية بحياد وأمانة، ص 69، مجلة تراث، عدد 81، السنة السابعة ، الإمارات ، 2005م.
- المهدي عياد الصابري: قواعد المنهج عند ابن حزم الأندلسي، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم جامعة القاهرة 1995م.
- ناصر هاشم محمد : المنطق عند ابن حزم، رسالة ماجستير بكلية البنات جامعة عين شمس 1410هـ/1990م.
- نصر محمد نصر: ابن حزم الأندلسي مفكرا وناقدا، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة (د.ت).
- نجاح محسن مدبولي: الفكر السياسي عند ابن حزم، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة سوهاج 1990م.
- يعقوب يوسف الفلاحى: ابن حزم لغويا، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم جامعة القاهرة 1400هـ/1980م.

- رابعا الدوريات العربية:-

- أحمد مختار العبادي: من التراث العربي الأسباني، ص 43، مقال نشر بمجلة عالم الفكر، مجلد 8، عدد 1، الكويت، 1977.

- إحسان عباس: ابن حزم، مقال بمجلة العربي، رمضان 1380هـ / مارس 1961م، عدد 28.

- الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي القرطبي (ت774هـ/1081م):

وصية القاضي أبي الوليد لولديه، نشر جوده عبدالرحمن هلال، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، 1374هـ/1955م، العدد الثالث مجلد 1 ص 30-46.

رسالة في الحدود، نشر جوده هلال، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، 1373هـ/1954م ، المجلد الثاني ص 3-35.

- حسين مؤنس: الحكومة الأسبانية والهيئات العلمية والأوربية تحتفل بالذكرى المئوية التاسعة لوفاة ابن حزم، مجلة العربي، ربيع الأول 1383هـ/أغسطس 1963م، عدد 57 ص 20-23.

- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، الجزء الأول، دار الشعب 1969م.

- ابن الشباط ، محمد بن علي بن محمد المصري (ت681هـ/1282م):

وصف الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 1967م، 1968م، مجلد 14 ص 99-163.

- شريف مفلح: رحلات يحيى الغزال الأندلسي ، التراث العربي ، سوريا ، 1997م ، يناير - شعبان ، عدد 66 ، مجلد 17 ، ص 129-140.

- أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: مؤلفات ابن حزم المفقودة، مجلة الفيصل، شعبان 1399هـ/ يوليو 1979م، عدد 26 ص 60-63.
- عبد الباقي السيد: سؤالات وتساؤلات عن أهل الظاهر، مقال بمجلة فقه الوحي الإلكترونية، العدد الأول رجب 1433هـ / يونية 2012م.
- ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي (ت 571هـ/ 1175م):
منتقى فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية، القاهرة ربيع أول 1375هـ/ نوفمبر 1955م، المجلد الأول ج 2 ص 272-310.
- فؤاد أفرام البتاني: دائرة المعارف بيروت 1958م، مجلد 2.
- ابن الكردابوس، (عاش في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي):
تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد 1965م، 1966م، مجلد 13 ص 7-126
- محمد إبراهيم الكنانى:
- (أ) هل أثر ابن حزم في الفكر المسيحي، مجلة البينة، ذوالحجة 1381هـ/ يونيو 1962م، عدد 3.
- (ب) مؤلفات ابن حزم ورسائله بين أنصاره وخصومه، مجلة الثقافة المغربية، شوال ذوالقعدة 1389هـ/ يناير-فبراير 1970م، ص 83-107.
- (ج) بين يدي شذرات من كتاب السياسة لابن حزم، مجلة تطوان، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، 1960م، عدد 5 ص 95-107.
- محمد عبد الحميد عيسى: المدرسة التاريخية في الأندلس في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، مركز الشرق الأوسط، القاهرة، 1992م.
- محمد الوزاد، الاتجاهات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس 1980م، 1981م، عدد 4، ص 149-165.

- محمد عبدالله عنان: ابن حزم المؤرخ الذى أرخ لعصر ملوك الطوائف ، مجلة العربي ، 1988م.
- محمود مكى : باب استفتاح الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1957م، المجلد الخامس ، عدد 1 - 2، الصفحات 221 - 248.
- ندوة علمية عن حياة وآثار أبى مروان ابن حيان، المملكة المغربية وزارة الشؤون الثقافية، الرباط 1402هـ/ 1981م.

- خامساالمراجع الأوربية:-

- Aguado bleye , Pedro: Manual de Historia de Espana , Madrid, 12ed , 1975, tomo.1.
- Ali bouamama: la Litterature polemiques Musulmane contre le christianisme de puis SES origines jusqu ou x111 siecle , Entre prise nationale du livre , Alger 1988.
- Altamira ,Rofael : AHistory of Spain from the beginning to the present Dar , translated by muna lee , London , ed.1, 1949.
- Arnoldez, Roger:
 - (a) La profession de fold ibn hazm primer cograso de estudios arabes eslamicos , Cordoba 1962 .
 - (b) Grammaire E theologie chez ibn Hazm de cordove essal sur Las trueture Et les conditions de pensee musulmane , liprairie philosophique , Paris 1956.

– Ashtor , Eliyahu: The jews of muslem spain , translated from Hebrew by Aaron Klein and jenny Klein, the Jewish publication society of America Philadelphia, 1979,vol .2.

– Asinplacios , Miguel:

(a) The mystical philosophy of Ibn masarra and his followers , translated by elmerh Douglas and howardw yoder , Leiden 1978.

(B) Aben hazam de Cordoba y Su historia critica de Las ideas religiosus , Madrid 1927, tomo primero.

– Isidro de Las cagigas: Andalucia Musulmana, institute de estudios africanos , Madrid 1950.

– Castro, Antonio arjona : Anales de cordoba musulmana (711–1008), publicaciones del monte de piedady caja de ahorros de cordoba, cordoba 1982.

– Dozy, renhert: Recherchés sur L.Histoire et la litterature de L.Espagne pendant le moyen age, parise–leyde , troisieme ed, 1881, 2 tomes, tome premier.

– Garcia Gomez , Emilio: Poesia arabico andaluza breve sintesis historica , instituto faruk 1 de Estudios islamicos , Madrid 1952.

– Goldziher: le livre de Mohammed ibn toumert Mahdi les almhades , Alger 1903.

– Imamuddin :

(a) The economic history of Spain under the Umayyads (711–1031) A.C, Dacca 1963.

(b) Alfilahah in Muslim Spain islamie studies, Pakistan 1962, v.1 .

– Nykl: Hispano Arabic poetry and relation with the Old Provençal troubadours, Baltimore 1946.

– Prieto y vives, Antonio: Los Reyes de taifas estudio historica numismatica Los musulmanes espanoles en el siglo V de la hegira, Madrid 1926.

– Provençal, Levi:

(a) Inscriptions arabes de espagne, Paris 1931.

(b) L.Espagne Musulmane ou Xeme siecle, institutyons et vie sociol, paris 1932.

©Histoire de Ispagne Musulmane, Paris 1953, 3tomes, t.1 111.

– Pavono maldonado, basilio: Tratado de arquite etura Hispano Musulmana, consejo superior de investigaciones cientificas, Madrid 1990, part.1. Agua.

– Pellat, Charles: The Origin and Development of Historiography in Muslim spain, Print in Historians of the Middle east, Edited by Bernard lewis, p. M. Holt. Oxford. University press, 1952.

– Simonet, Francisco Javier: Glosario de voces ibericas y latinas usadas Entre Los mozarabes precedide un estudio sobre El dialecto Hispano mozarabe, Madrid 1888.

– Vernet, Juan: Estudios sobre historia de la ciencia medieval, Barcelona, 1979.

- سادسا الدوريات الأوربية:-

– Asin placios, Miguel: Inexplorado del cordobes ibn hazm alandalus, revista de Las escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada 1934,vol.11

– Burns, Robert: Muslims Christians and Jews in the crusader kingdom of Valencia, Cambridge university press 1984.

– Garcia Gomez, Emilio: polemica religiosa Entre ibn hazm e ibn alnagrila, alandalus, revista de Las escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada 1936–1939,vol, 1V.

– Glick: Islamic and Christian Spain in the early middle ages, Princeton university press, Newgersy 1979.

– Guichard: the social history of Muslim Spain from the conquest to the end of the almohad, the legacy of Muslim Spain, Leiden 1992,P.679–708

– Khuda bukhsh :contributions to the history of Islamic civilization, university of Calcutta, 2ed, 1929,vol.1.

– Lomba, joaquin: Ibn hazm sobre conocimiento del Alma de lo Que. noes ellay de Su desconcimiento de Su propia esencia, revista del instituto de estudios islamicos en Madrid 1997,t.29, p.139–161.

– Provencal, Levi: la description de L.Espagne d.ahmad alrazi, alandalus, revista de Las escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada 1953,vol.18 fasc.1p.51–108.

– Ramon gverrero, Rafael: El arte de la logica en cordoba El libro (altaqrib lihadd almantiq) de ibn hazm, revista del instituto de estudios islamicos en Madrid 1997,t.29, p.163–180.

– Resxher, Nicholas: Arabic logic, in the encyclopedie of philosophy, vol.3.

– The combridge history of Islam, combridge unviersity press 1920,2vols,v.2.

– Encyclopaedia universalis, Paris, editeur.a, 1984,corpus.2.

المؤلف في سطور

EXPERIENCE (الخبرات العملية)

2011 - 2016م	مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
2013م - 2014م	باحث سيرة وسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
سبتمبر 2011م - 2012	محاضر بأكاديمية الصحابة بالقاهرة .
سبتمبر 2010م - 2016م	محاضر بوزارة الثقافة.
2007 - 2016م	خطيب بمديرية الأوقاف بالقليوبية.

الأنشطة : Activities

ديسمبر 2013م - 2016م	عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
أبريل 2012 - 2016م	عضو مجلس إدارة شركة مصباح الربيع العربي للدراسات والبحوث
1998م - 2016م	ضيف مشارك على قنوات النيل للأخبار والدلتا ومصر الزراعية والمنارة والنيل الثقافية والحدث والقاهرة ، والنيل للتعليم العالى ، والفضائية المصرية الثانية ، اقرأ ، وإذاعة صوت العرب ، وإذاعة القرآن الكريم ، وإذاعة الشباب والرياضة ، وإذاعة صوت جنوب الوادى فى البرامج التاريخية والحضارية والدينية والسياسية.
2011 - 2016م	كاتب بجريدة القليوبية ، جريدة اليوم السابع ، الأسبوع ، جريدة المشهد الإلكترونية ، جريدة الثورة المصرية ، جريدة أخبار الشعوب ، جريدة أحوال مصر الإلكترونية ، شبكة محيط العربية .

المصنفات المطبوعة :

- 1- بيان الشبهات والظنون في كتاب هر مجدون ، مؤسسة مجدى ، 2002م.
- 2- أطروحات فقهية (الجزء الأول) ، مؤسسة مجدى ، 2003م.
- 3- رسالة في إبطال دعوى جواز إمامة المرأة الرجال . نفذت الطبعة الأولى ، وقدم للثانية الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية السابق ، مكتبة الهدى ، 1426هـ/2005م.
- 4- إرشاد الفائز بجواز رفع الايدى فى صلاة الجنائز ، مكتبة الهدى ، 1429هـ/2008م.
- 5- حدائق الياسمين فى قوانين الملوك والسلاطين لابن كنان الصالحى ، تحقيق ودراسة مستفيضة عن النظام الإدارى فى الدولة الإسلامية ، دار البيان العربى ، 2004م.
- 6- النسخ فى القرآن هل هو واقع على آيات الأحكام ؟ ، مكتبة الهدى ، 1430هـ/2009م.
- 7- ابن حزم الظاهري وأثره فى المجتمع الأندلسى ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2014م.
- 8- الظاهرية والمالكية وأثرهما فى المغرب والأندلس فى عهد الموحدين ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2014م.
- 9- تاريخ أهل الظاهر ، دراسة عن حكام وولاة وأمراء وقضاة وعلماء المذهب الظاهري عبر العصور فى شتى المجالات والتخصصات ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2014م.
- 10- الأريوسية فى مصر البيزنطية ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2016م.
- 11- الأزهر وأثره فى ترسيخ القيم والتعايش السلمى بين الواقع والمأمول ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2016م.

- 12- المناضل عبدالرحمن البيضاني وجهوده في إحياء الأمة اليمنية ، دار مصباح للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2016م .
- 13- كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم الظاهري وأثره في الحضارة الإسلامية ، دار الآفاق العربية ، القاهرة .
- 14- التدوين التاريخي عند ابن حزم الظاهري ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، وهو كتابنا هذا .

مصنفات تحت الطبع :

- 1- أهل السنة وأثرهم بالمجتمع المصري في العصر الفاطمي .
- 2- الفرق الإسلامية وأثرها في المجتمع الأندلسي من الفتح حتى السقوط .
- 3- المسائل الخلافية بين داود بن علي الأصفهاني وابن حزم الأندلسي .
- 4- تاريخ أئمة المذاهب الإسلامية ، دراسة عن الأئمة العشرة أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وداود الظاهري والأوزاعي وأبي ثور والطبري والحسن البصري وسفيان الثوري ، نشأتهم ، تطور فكرهم ، أصول مذاهبهم ، تلاميذهم ، مصنفاتهم .
- 5- الأقوال الجلية في أصول واعتقاد الظاهرية .
- 6- المذهب الظاهري .. نشأته وتطوره .
- 7- سؤالات وتساؤلات حول الظاهرية .
- 8- شبهات وأباطيل روجت ضد الإمام ابن حزم وأهل الظاهر .

ومن المشاريع العلمية الكبيرة :

- 1- موسوعة تاريخ العالم في مائة مجلد لم تكتمل بعد ، أعمل فيها منذ عام 1999م ، وقد قسمتها إلى أربعة أقسام يضم القسم الأول تاريخ آسيا ، والثاني تاريخ أفريقيا ، والثالث تاريخ أوروبا ، والرابع تاريخ العالم الجديد ويضم الأمريكتين وأستراليا . وقد

استخدمت فيها عدة مناهج منها الاستقرائى والنقدى والوصفى والسردى والبنىوى ، وانتهيت بفضل الله من قرابة عشرين مجلدا.

2- تاريخ علماء الإسلام . قسمته على البلدان (بضعة مجلدات).

3- (كافي الكليني فى الميزان) دراسة فى المتون والأسانيد (بضعة مجلدات).

4- مشروع تلخيص المحلى لابن حزم (فى مجلدين).

* ومن الموضوعات التى حاضرت فيها وصدرت صوتيا ومرثيا:

1- سلسلة فى السيرة النبوية (10 محاضرات حتى الهجرة إلى المدينة وبصدد استكمال السلسلة).

2- سلسلة الخلفاء الراشدين (20 محاضرة)

3- سلسلة شبهات وأباطيل حول الإسلام والرد عليها (ثمان محاضرات)

4- سلسلة أدب الاختلاف (ست محاضرات).

5- سلسلة شرح كتاب القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد (أربع محاضرات).

سلسلة فى إبطال النحلة الاحمدية القاديانية (ثمان محاضرات).

6- سلسلة وقفات مع كتاب المحلى لابن حزم الظاهري (متجدد).

7- سلسلة فى تاريخ المنهج الظاهري (10 محاضرات).

8- سلسلة محاضرات فى تاريخ المغرب والأندلس على قناة التعليم العالى (10 محاضرات).

الأبحاث العلمية المنشورة :

1- المذهب الظاهري نشأته وتطوره بالمغرب والأندلس حتى نهاية الموحدين ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، يونية 2012م .

2- الفتنة الثانية فى عصر الراشدين ...قراءة جديدة ، مجلة الثقافة الجديدة ، القاهرة ، أغسطس 2014م .

3- أهل الظاهر بمصر في العصر المملوكي (648هـ-923هـ) ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ديسمبر 2014م.

أبحاث علمية تحت الطبع :

1- مجتمع مكة في العصر الأيوبي من واقع رحلة ابن جبير ، حولية كلية الآداب - جامعة القاهرة .

2- الفرق الإسلامية في الأندلس في عصر الخلافة ، حولية الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

3- فقهاء السنة وأثرهم السياسي بالمجتمع المصري في العصر الفاطمي ، حولية الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

4- النوازل مصدرا ضافيا لتاريخ المهمشين في الأندلس ، المؤتمر الدولي عن المهمشين بقسم التاريخ كلية الآداب - جامعة القاهرة ، 28-30 نوفمبر 2015م.

5- أجناس الكتابة التاريخية عند أبي الحسن البناهي المالقي . المؤتمر الدولي للحضارة الإسلامية في الأندلس بمكتبة الإسكندرية ، 15-17 نوفمبر 2017م .

أبحاث لم تطبع بعد :

1- الأريوسية وأثرها الفكري والمذهبي بمصر في القرنين الرابع والخامس الميلاديين في ضوء المصادر المسيحية والإسلامية ، 2014م. المؤتمر الدولي الأول بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة عين شمس .

2- سمات وخصائص العمران في كتب النوازل والأحكام ، مارس 2014م .

3- ثورات الفقهاء بمصر في عصر سلاطين المماليك " ديسمبر 2014م. المجلس الأعلى للثقافة .

4- التحولات الفكرية في عهد الموحدين (الأشعرية أنموذجا) 4 مارس 2015م. ندوة أندلسيات بكلية الآداب - جامعة القاهرة .

- 5- النوازل ودورها في تدوين التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الأندلس ، أبريل 2015م. سيمينار قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة القاهرة .
 - 6- سيناء في عصر سلاطين المماليك ضمن ندوة سيناء عبر التاريخ بالمجلس الأعلى للثقافة أبريل 2015م.
 - 7- الطائفة السنية بالإسكندرية في العصر الفاطمي " 28 مارس 2016م . سيمينار قسم التاريخ كلية الآداب جامعة عين شمس .
 - 8- الليث بن سعد ونزعتة التجديدية في الفقه ، مؤتمر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، أبريل 2016م.
 - 9- الشيخ عبدالله السالم الصباح ومشروعه الإصلاحى ، أبريل 2016م.
 - 10- عبدالهادى اليمانى وجهوده فى الكتابة التاريخية ، أبريل 2016م.
 - 11- أثر فقهاء السنة السياسى بالمجتمع فى مصر الفاطمية " مارس 2016م . الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
 - 12- الصراعات الفكرية بين الظاهرية والمالكية فى الأندلس فى عهد الموحدين . سيمينار قسم التاريخ كلية التربية - جامعة عين شمس 12 أبريل 2016م .
 - 13- ابن رشد الحفيد وأثره فى المجتمع الأندلسى . سيمينار قسم التاريخ كلية التربية - جامعة عين شمس أكتوبر 2016م .
 - 14- المعرفة التاريخية وقراءة المصادر ، سيمينار قسم التاريخ ، بكلية البنات - جامعة عين شمس .
 - 15- المصادر غير التقليدية فى تدوين التاريخ ، 1 ديسمبر 2016م سيمينار قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بنى سويف .
- كتب تم التقديم لها :

- 1- شخصيات لا تنسى من التاريخ ، لهيام عبده مزيد ، المدينة المنورة ، ط 1 ، 1433هـ.
- 2- المواريث والتركات في الشريعة والقانون ، لفضيلة الشيخ مصطفى عبدالفتاح السملاوى ، دار حسناء القاهرة ، 2016م.
- 3- تاريخ عمارة المسجد النبوى عبر العصور ، لهيام عبده مزيد ؛ تحت الطبع ، دار الآفاق العربية ، القاهرة.

الفهرست

3	الإهداء
5	المقدمة
11	الفصل الأول : الكتابة التاريخية بالأندلس نشأتها وتطورها حتى عصر ابن حزم:.....
43	الفصل الثاني : منهج ابن حزم ومرجعياته التاريخية.....
45	المبحث الأول : شروط المؤرخ عند ابن حزم.....
67	المبحث الثاني : ابن حزم وفلسفة التاريخ.....
73	المبحث الثالث : منهج ابن حزم وأسلوبه في الكتابة التاريخية :.....
95	المبحث الرابع : المرجعية التاريخية لابن حزم الظاهري.....
121	الفصل الثالث : أجناس الكتابة التاريخية عند ابن حزم.....
123	المبحث الأول : السيرة النبوية.....
139	المبحث الثاني : التراجم والطبقات.....
155	المبحث الثالث : التاريخ المحلي (تاريخ المدن).....
173	المبحث الرابع : تاريخ الدول والحكام.....
183	المبحث الخامس : تاريخ الفتوح.....
189	المبحث السادس : الأنساب ومعاجم الشيوخ.....

195	المبحث السابع : تاريخ الأديان والفرق والأفكار.....
213	الخاتمة
217	الملاحق
245	قائمة المصادر والمراجع
281	الفهرست